تجليد صالح الدقر
تلفون ٢٢٩٧٧

1 FEB 1974

22 DEC 1971

892.7109
Ha381saA
c 2

الشعر العربي في المهجر

تأليف

محمد عبد الغني حسن

تصدير

عزيز أباظة

ملتزم الطبع والنشر
مكتبة الخانجي
القاهرة
١٩٥٥

حقوق الطبع والنشر والترجمة محفوظة
لمؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر

M. Abdel Ghany Hassan's "Emigrant Poets"
All rights reserved
Franklin Publications Inc.

تقديم للتصدير

بقلم حسن جلال العروسى

المستشار العام للمؤسسة

قد يبدو غريباً أن يحتاج التصدير إلى تقديم ، أو أن تدعو مثلى حاجة إلى أن يزج بنفسه طرفاً ثالثاً فى معركة أدبية حول الشعر العربى ، يتحمس لشعر المهجر فيها مؤلف هذا الكتاب الأستاذ محمد عبد الغنى حسن ، وهو شاعر موهوب راسخ القدم فى دنيا الشعر ، بينما يقف من هذا الشعر موقفاً مخالفاً شاعر مصر والعربية الفحل أستاذنا عزيز أباظة .

فما أنا من الشعر إلا واحدٌ من عشاقه الذين قد يتذوقون جماله ، فيحسنون تذوقه ، وترتوى نفوسهم بسحره ، ولكنهم مع ذلك ليسوا إلا رعايا متواضعين من رعايا آلهته . . .

وقد يبدو أشد غرابة أن تنشر مثل مقدمة الأستاذ عزيز أباظة لكتاب الأستاذ محمد عبد الغنى حسن ، فقد جرت تقاليد النشر على أن يكون مقدم الكتاب مؤمناً بما تضمنه ، مقدراً لموضوعه . وشاعرنا الكلاسيكى الأستاذ عزيز أباظة ليس من المتحمسين لمدرسة المهجر فى الشعر ، كما يستشف من مقدمته : ما جاء منه فى سطورها ، وما لا تصعب قراءته بين سطورها .

والحق أن الأستاذ عزيز أباظة لم يفاجئنى برأيه فى الشعر المهجرى ، ولا برأيه فى الأدب الأمريكى ، بل كنت أعرفه عنه ، ومع ذلك فقد رحبت برأيه الحر فى الموضوع .

ولو أنه شاء أن يكون أكثر قسوة أو أقل مجاملة فى نقده لما ترددت فى أن أفسح له مجال القول . وهل كانت الحقيقة أبداً إلا وليدة اصطراع الآراء واختصام الحجج ؟

ولو أن مؤسسة فرانكلين كانت مؤسسة تجارية تبتغى الربح وانتشار مطبوعاتها وحسب ، لشعرت بحرج أى حرج فى أن أكون مسئولا عن هـــذا الوضع غير المألوف . أما وهى مؤسسة ثقافية غير تجارية ، فليس غريباً أن تؤمن وأن يؤمن القائمون بأمرها بأن الثقافة الحق لا تكون حيث لا تتوطد أصول حرية الرأى .

وبعد . . . فأن الآراء التى يتضمنها التصدير التالى آراء شخصية ، يحمل مسئوليتها شاعرنا الكبير الأستاذ عزيز أباظة وحده ، وهو بحمد الله قادر على تحمل مسئولية آرائه .

وليس يضير هاتيك البلابل الصداحة التى أطرب جرس موسيقاها الأذن العربية عشرات من السنين أن يحمل الأستاذ عزيز أباظة لواء معركة أدبية جديدة بين المحافظين والمجددين ، أو بين القديم والجديد .

حسن جلال العروسى

تصدير : بقلم الشاعر الكبير الأستاذ عزيز أباظة

ساير الشعر قافلة البشرية مذ تفتقت فى الإنسان البدائى أكمامُ العواطف ، وتفجرت نفسه بينابيعَ دفاقة من الأهواء والرغبات ، وأحس وهو يجوب صحراء الزمن المحرقة أنه مفتقر إلى سكينة الحياة ، فراح يلتمس فى الغناء متعة الروح ، وغذاء النفس ، ومن ثم انبثق الشعر على لسانه قبل أن يتسم بطابَع فنى ، وكان اليونان أسبق الأمم جميعاً فى هذا المجال ، مجال النظم والغناء ، فقد وعت ذاكرة الدنيا لهم أناشيد مميزة المعالم ، واضحة السمات ، جادت بها العبقرية اليونانية قبل الميلاد باثنى عشر قرناً على الأرجح ، كما أن الشعر عندهم أوفى على الغاية ، واستشرف المدارج السامقة فى تلك الأحقاب الموغلة فى القدم ، فى حين أن الشعر العربى لم ينبعث له نغم واحد على فم الدنيا قبل أن تضع حرب « البسوس » أوزارها ، ففى اليونان كان الكهنة وسدنة المعابد يصوغون أناشيد الحرب ، ومزامير العبادة ، وكانوا يتخذون من سير الأبطال وعقائد الدين مادة حفيلة بالمعانى لتلك الأناشيد ، لتكون سلوة الخائضين فى رهج الوغى ، وترنيمة الخاشعين فى محراب الصلاة.

ولم يمض طويل زمن على الشعر فى هذا الطور التاريخىّ حتى نما وتطور ، وزكا عوده ، فاقتبل مرحلة جديدة من مراحل النضج الفنى ، إذ اتجه سمت تصوير الملاحم فى الصورة التى ما زالت مفخرة الذهن البشرىّ حتى اليوم ، وظل شعر الملاحم قرابة ثلاثة قرون تتردد أنغامه فى أرجاء اليونان ، وكانت الأغانى التى تفهق بها الملاحم لبنة جديدة فى إقامة صرح عال لشعر الغناء المحض ، ولعل هذه الظاهرة تنتظم الشعوب جميعاً ، على تباين الأذواق ، واختلاف المشارب ، فمن الحقائق الأدبية أن الشاعر البدائى ينسى ذاتيته فى سبيل قومه ، ولكن

سرعان مايعرض أحاسيسه الخاصة فى إطار من الصدق، بعد أن يزورّ قليلا عن المشاعر القومية العامة .

ولقد تلبّث الشعر الغنائى ثلاثة قرون أخرى تصاحبه الموسيقى، بينما كان شعر الملاحم لا يُنشد إلا على رنين القيثارة وحدها ، ثم كان الشعر التمثيلى نهاية المراحل الثلاث، وهى نتيجة حتمية لقانون الحياة فى الأدب ، فالشعر التمثيلى فى أية أمة هو الرمز المقدس لارتقاء الذوق فيها ، والبينة على تحليق الذهن ، ورفرفة الخيال الطليق فى أجواء الحياة ، فلا عجب وقد بلغ اليونان هذا الشأو ، أن يصبح فى رأى الدارسين المنهل الثرّ للأدب . . . على أرضه نبتت خمائل الشعر ، وتحت أندائه تفتحت أكمامه ، وأينع ثمره ، وبين آفاقه تجاوبت أصداء الفن ، وعن عبقريته الخلاقة شرعت الأذهان ترود مجاهل الألهام.

ويروى لنا التاريخ أن الرومان اقتبسوا الصور الأدبية مكتملة الألوان والظلال من تلك الشطفاوة التى تخايلت أشعتها فى سماء اليونان ، مُلاوة من الزمن ، ونتج عن ذلك أن تألق شعراء ممتازون من الرومان ، رفعوا سمك الشعر ، ووطدوا أواسيه على أساس مكين. فبصيرة النقاد تضع مكانة لهوراس ، تماثل مكانة هوميروس ، من حيث ابتكار الصور الفنية ، وسمو الخيال .

اطّردت هذه النهضة الفكرية التى غزت العقول والقلوب فى أوربا ، والعرب لا نصيب لهم فى هذا المضمار ، إذ أن حجاب التخلف الذى ران على العقلية العربية لم يهتك إلا بعد قرون عديدة ، وناهيك بأن الشعر فى الجاهلية لم يخط نحو التوثب والانطلاق إلا بمقدار ما أتاح له الخيال العربى المحدود فى هـــذه الفترة ، فالتطور الذى سرى فى كيانه نقله من المقطعات إلى الأفق الجديد الذى تراءى بظهور المعلقات السبع ، أو العشر ، فلا ريب أن هذه المعلقات حطمت الأغلال التى كان يرسف فيها الشعر العربى من ناحية البناء وحده ، أى غايرت المقطعات فى استرسال الخيال ، ووفرة المعانى ، أما الأغراض فقد ظلت على نشأتها الأولى ، لم تتدرج إلى فلك أسنى من الفلك الذى ولدت لديه ، وعاشت فى ظلاله ، الا فى النادر القليل ، ومرد ذلك إلى أن النبع الذى ارتوت منه المشاعر العربية لم تتنوع أذواقه وطعومه ،

فالشعر العربى يصور لنا الطباع الكامنة فى نفوس العرب ، مبرزاً تلك الطباع فى إطارها الإنسانىّ دون تمويه أو تزويق .

ومن البدائه أن التفاخر والكرم وحب النساء ورعاية الجار وحماية الذمار من الشمائل الأصيلة فى النفس العربية ، وأن التغنى بهذه الشمائل لازمة من لوازم الحياة فى الصحراء . لذلك وقف الشعر العربى عند هذه الآفاق لم تبهر عينيه أضواء جديدة فى سماء الفن . . وتناقلت القبائل فن الشعر على أنه مقطعات وقصائد ، ولم يحدث أن حطم شاعر قَبلىٌّ واحد هذه الحدود الضيقة ، وإنما كان التنافس شديداً على سموق الألفاظ ورنات التعابير ، وبقى الشعر يضطرب فى هذا المحيط ، حتى أطل الأسلام على العالم من شرفة النور الالهى ، فخفتَ صوتُ الشعر . وتضاءل سمته ، وأعيت بلاغة القرآن كل مفوَّه منطيق ، ولكن التغيير الذى جد ببزوغ الإسلام فى أفق الوجود ، كان الشعر بعض أسلحته ، فقد انقسم الشعراء إلى معسكرين كما يقولون ، معسكر يذود عن الدين الجديد ، ومعسكر يذب عن آلهة قريش ، ومن هذا الصراع بين الحق والباطل ، نشأ لون من الشعر لاعهد للصحراء بمثله من قبل ، وظفر الشعر بأغراض جديدة تمخضت عنها الوجهة التى ولى العالم وجهه شطرها ، كما توسّع بألفاظ لم تكن معروفة لدى العرب فى الجاهلية ، كالروح الأمين ، والملائكة ، والخلد ، والأنبياء وما شابه ذلك .

أما العلة فى ظهور الأغراض التى اشتمل عليها الشعر فقد كانت منطقاً طبيعياً للحياة التى يحياها العرب وغير العرب من المسلمين ، وما ذلك إلا لأن التقاليد والعادات التى كانت سائدة فى الجاهلية ذهب بها الإسلام ، وأبدلهم خيراً منها ، فلم يعد الشعر يستمد معانيه ؛ من معاقرة الخمر ، ومنادمة النساء ، والتفاخر بالأنساب ، والتخايل بالغنى والجاه والسلطان ، وإنما دمغ هذه التقاليد التى درج عليها العرب فى الجاهلية بشريعته السمحة ، وسنته التى تربط بين المرء وربه برباط التقوى ، وتجمع بينه وبين الناس على المحبة والمودة فى القربى ، فحلت العصبية الدينية محل العصبية القبلية ، ومع ذلك فقد شذ عن المحجة الواضحة للإسلام بعض الشعراء ، وتغنوا بما أمر الله به أن يدرج فى تلافيف النسيان .

والذى يؤسف له ويبعث على الدهشة أن العرب بعد ذلك ترجموا من علوم اليونان ما وسعتهم الترجمة ، ولم ينقلوا إلى العربية شيئاً من ذخائر اليونان الأدبية ، فظل الشعر القصصى والشعر التمثيلى لا يعرفان سبيلا إلى شمالى الجزيرة العربية ، وهى الأرض الطيبة التى أنبتت عباقرة الشعراء ، غير أن الشعر انطلق بعد ذلك فوقع التطور ولكن فى بلاد الأندلس ، حيث انبعثت لمحات جديدة باستحداث التواشيح ، ووضع قواعد الزجل ، فكانت هذه الأنغام الطليقة فى جو الأندلس محل إعجاب الشعراء فى جنوب فرنسا ، فتأثروهم فى عرض الصور الفنية ، وابتكار المعانى والأخيلة ، ثم خطا الشعر العربى نحو الفكر المجرد بضع خطوات بما أتاحه له أبو العلاء وأضرابه فى قصائدهم من خطرات فلسفية . وما أضافه إليه شعراء الفرس من همسات صوفية . ومن ثم كان ائتلاقه بالعوامل الثلاثة التى ألمعنا إليها فى هذا المجال .

من هذه النظرة العجلى فى تاريخ الشعر يتبين أن العرب تخلفوا فى ناحيتين هما : الشعر القصصى والشعر التمثيلى ، ولم تكن المذاهب الأدبية التى تمثل اليوم اتجاهات متباينة ، معروفة لدى القدماء حتى جاء القرن السابع عشر . . وكان المذهب الكلاسيكى يسود أوربا ، وكان الأدب اللاتينى من الموارد التى تحوم عليها الأذهان وتستقى منها . فهو عمل فنى تتألق فيه لمحات العقل أكثر ما تختلج فيه ومضات الخيال ، ولكن سرعان ما انصهر الناس فى بوتقة المآسى المتخلفة من الحروب ، وجنح الأدباء إلى الانطلاق من الواقع الذى يرمض الجوانح ، ويقض المضاجع ، ويسجر النفس ألماً وحسرة . . ومن هنا ظهر المذهب الرومانسى ، وهو المذهب الذى تمتد جذوره من الأندلس فيما نعتقد ، وتوالت المذاهب الأدبية بعد ذلك . لكل مذهب شيعته التى تتعصب له ، وتتفيأ ظلاله ، وتفتن فى الإبداع فيه ، والذود عنه .

كان هذا الصراع الناشب بين المذاهب الأدبية فى أوربا ، والشعر العربى يتصلى محنة عنيفة من تدهور اللغة وفساد الذوق ، فقد انحدر من القمة التى وصل إليها فى العصر العباسى إلى درك من المحسنات البديعية ، كالجناس والطباق والمقابلة ، إلى أن بدأت طلائع التجديد تغزو « لبنان » وتفتح فيه آفاقاً رحيبة للفكر والفن ، ذلك أن « لبنان » كان أسبق الدول العربية إلى الاتصال

باللغة الفرنسية ، كما كان للإرساليات المسيحية فضلُ تغذية الأذهان بصنوف من العلوم والفنون حتى أخذت سمتها إلى مدارج الثقافة الأوربية ، ورفّت فى أفقها الإضحيانى الجميل .

من هذه المنابع التى أتيحت للبنان أخذ الخيال العربى يحلق فى مسابح الخيال الأوروبى . وشرع اللبنانيون يُسيغون من هذا الرحيق الخالد ، فهتفوا بملاحَن غريبة على الأذن العربية ، وألوان لم تكن مألوفة للذوق العربى من قبل ، ولما كان سلطان العثمانيين على بلاد الشام فى تلك الفترة يلقى على معارف وجه الحياة سدلا كثيفاً من الجهامة والقتام . فقد هاجرت إلى العالم الجديد كوكبة من الشعراء والكتاب ابتغاء الحرية والثراء . وهنالك تنسمت الأذهان عبيراً من الحرية لم تعبق به سماء لبنان ، وحلقت تلك البلابل المهاجرة فى أجواء لم يخفق فيها جناح عربى. فلم تلهها انفعالات الحياة الجديدة عن الحنين إلى الوطن ، والتغنى بمهد الأحلام ، ومرتع الصبا ، وملعب الشباب ، ومسرح الذكريات ، فقد فاض شعور المهاجرين فى مطارح النوى ، بالحنان والحنين ، واختلجت أنفسهم باللوعة والأنين ، حتى إن إيليا أبا ماضى فى قصيدة الشاعر فى السماء يقول مصوراً موقفاً تخيله بينه وبين الله :

فأشرف الله من عـلاه يشهد لبنـان فى المساء
فقال . . ما أنت ذو جنون وإنمـا أنت ذو وفـاء
فإن لبنـان ليس طـودا ولا بـلادا لكن سماء

ولكنه فى موضع آخر يرسل شعوره نحو الوطن فى نغم هادىء متسلسل لا تكلف فيه ولا اصطناع فيقول :

الأرض سوريّا ، أحب ربوعها عندى ، ولبنان أحب جبالها
والناس أكرمهم على عشيرها روحى الفداء لرهطها ولآلها

أما نسيب عريضة فإن حنينه إلى الوطن ملتاع مشبوب . يسأل الدهر فى لهفة متى يعود إلى (حمص) ولو مدرجاً فى الكفن :

يا دهر قد طال البعاد عن الوطن هل عودة ترجى وقد فات الظعن؟
عد بى إلى حمص ولو حشو الكفن واهتف أتيت بعاثر مردود . .

ومحبوب الحورى الشرتونى يرى التمتع برؤية وجه الوطن كنزاً ، ولثم ترابه من النعم ، وذكراه مثل نفحات العنبر ، وحديث العودة إليه كالمدام .

قالوا : الشآم فقلت رؤية وجهها كنز ولثم ترابهـــا أنعـــام
وطن لنـــا ذكراه نفحة عنبر . . وحديث عودتنا إليـــه مـــدام

وهكذا تتحد مشاعر المهاجرين فى الحنين إلى الوطن ، وتلتقى خواطرهم حول التعلق بالأرض التى درجوا على أديمها ، واكتحلت أعينهم فيها بمرآى الحياة . يوم دبت خطاهم على عتبات الوجود ، وهنا نسمع همسة يمتزج فيها الأسى بالحنين ، ويختلط فيها التبريح بالترنيم . همسة أرسلها رياض المعلوف من قلب مكلوم وشعور مكظوم :

ما أحســـن الذكر فى مقلـــة الغريب
فهـــو إذا ذكر موطنـــه الحبيب
يرتعش النظـــــر وعينـــه تغيب
هـــل يا ترى نعود
إليـــك يا لبنـــان ؟

على أن التأمل فى الحياة والطبيعة ، وإرسال الفكر وراء كل خفقة من خفقات الكون ، أو خالجة من خوالج النفس ، أهم ما يمتاز به شعر المهجر من خصائص ، فالبحث فى الحقائق الكونية والدقائق النفسية ، قذف بشعراء المهجر فى تيه من الشكوك والريب ، وأغرقهم فى لجة عميقة من الأوهام والظنون . وقد يكون الشك عند الفلاسفة ذريعة من الذرائع التى يتسلقون عليها لهتك حجاب الحقيقة أو إزالة النقاب عن وجه اليقين . أما فى شعر المهجر فلا تجد إلا الشك — والشك المجرد — وإذا كان الشعر قديماً قد استوعب بعض النظريات الفلسفية فى قصائد أبى العلاء وأرجوزة ابن المعتز وقصيدة ابن سينا ، فإن الشعر حديثاً لم يستغرق مذهباً كاملا فى الفلسفة . وإنما هى خطرات لا تنتهى إلا حيث انتهى أبو العلاء . هذا مع وجود ثقافات متباينة ، وتراث فكرىٍّ ضخم خلفته القرون .

فهذا إيليا فى كثير من قصائده يحض على الاستمتاع بملذات الحياة واطِّراح الكآبة ، ولقاء صروف الزمن بثغر باسم وقلب مغتبط ، وشعور جذلان . نراه يدعو إلى ذلك ، ولكن الشكوك التى تساوره تسوقه إلى حيرة من أمره حتى يتمنى عزلة الغاب ، وحتى يتشهى مزايلة المجتمع ، ثم فى النهاية يلقى نفسه عبد المنى ، أسير الرغاب ، لم تجرده العزلة من أهوائه ، ولم تخرجه الوحدة من العالم الفكرى الذى يعيش فيه .

علمتنى الحياة فى القفر أنى ... أينما كنت ساكن فى التراب
وسأبقى ما دمت فى قفص الصلصـ ... ـال عبد المنى أسير الرغاب
غير أنى فى القفر أصبحت وحدى ... فإذا النـاس كلهم فى ثيابى

وقصيدة الطلاسم تدلنا على مبلغ الشكوك التى ألقت جناحيها على مخيِّلة أبى ماضى حتى وقع فى مغالطات فكرية ، من ذلك مثلا قوله :

إن يك الموت قصاصاً ... أى ذنب للطهـاره !
وإذا كان ثواباً ... أى فضـل للدعاره !
وإذا كان وما فيه . . ... جـزاء أو خساره

فلم الأسماء إثم وصلاح ؟
لست أدرى

لقد انسرب خيال الشاعر فى أودية الظنون ، وعلل الموت بتعلات لا يجد العقل المؤمن لها مساغاً ، وتناسى أن الموت تشذيب لشجرة الإنسانية ، فلا فضل للدعارة ، ولا ذنب للطهارة ، وإنما هى نهاية للبشرية ماصلح منها أو طلح .

والشك طابع شعر المهجر المميز له ، فنسيب عريضة الشاعر الذى انسرح فكره فى مرآة الحياة ، وأطال التأمل فى أسرار الكون ينوء ذهنه بالرِّيب فى الحياة وما بعد الحياة ، فيقول :

شربت كأسى أمام نفسى ... وقلت يا نفس : ما المرام ؟
حياة شـك وموت شـك ... فلنغمر الشـك بالمدام .

ويقف شكر الله الجرّ ليوازن بين راهبة الدير وبين المومس ، وهو بين أكداس من الأوهام ، فيختلط عليه الأمر ولا يدرى أيهما عند الله أفضل :

إن تجـد راهبة الديـــر تصلى وتصوم
فانظر المومس فى الفحشـ ـاء تهـوى وتعـوم
من ترى منهن عند اللـ ـه يا صـاح العظيم ؟.

ومن المعلوم فى أدب الغرب أن الشك لون من ألوان الفلسفة الحديثة حتى إن « ديكارت » وضع له مذهباً محدد الأصول ، ولعل انتفاع أدباء المهجر بالأدب الأوربى أورثهم هذه النزعة ، فشكوا فى كل شىء ، ولم يهتدوا إلى شىء ...

وحين يتجه الشعر إلى مناقشة المعايير والقيم التى صاحبت الإنسانية منذ القدم ، ليصل إلى مركز الإنسان فى الحياة ، ويحدد مكانته فى الوجود . . . حين يتجه إلى هذا ينقلب شعراً فلسفياً « ميتافيزيقيا » . وقد تفجرت ينابيع الشعر « الميتافيزيقى » فى القرن السابع عشر على يد الشاعر الإنجليزى جون دن ، حتى إن السير هربرت جريرسون وصف الآثار الأدبية لهذا الشاعر بأنها استيفاء للأطوار التى مرت بالإنسان فى مسرحية الحياة الكبرى . . . فانبعاث هذا الشعر من جديد فى القرن العشرين منطق طبيعى لهذه الحياة التى تعتورها الظنون والريب من كل جانب ، ولعل هناك من أوجه الشبه العديدة بين التيارات الفكرية التى اختلجت فى حنايا هذين القرنين ما يتيح لهذا الشعر أن يجد مادة خصيبة للنماء والازدهار ، ففى القرن السابع عشر احتدم صراع عارم بين تعاليم الكنيسة وبين المكتشفات العلمية ، فقد حطمت المكتشفات العلمية والجغرافية الأوهام التى ابتدعها القساوسة ، ورسفت العقول فيها أحقاباً طويلة من الزمن ، كما أن القرن العشرين تسوده أمواج فكرية تتسرب خلالها ألوان متنوعة من الشكوك ، وفى الشعر الأمريكى المعاصر نجد أمثال والاس ستيفنس وأيلينور وجون رانسوم يتجهون إلى الفلسفة ليستقوا من هذا النبع الممتزج بأوهام العقل البشرى ، ولهم فى ذلك آراء ونظريات . . .

وقد كان حظ شعراء المهجر من الانتفاع بالشعر الأمريكى غير ضئيل ، إلا أن شعرهم فى هذه الناحية يكاد يكون إلى الترجمة المصفّاة أقرب منه إلى

التوليد وانهم وإن يكن لهم فكر ذاتى مستقل فى بعض الأحيان ، إلا أنهم غلب عليهم تصوير الأفكار الشائعة فى مشاعر العامة تصويراً لا يصعب فهمه واستساغته .

وكما أن كثيراً من أدباء الغرب لا ينظرون إلى الأديان نظرة ملؤها القدسية والاحترام فكذلك نرى شعراء المهجر لا يأبهون بتعاليم الدين ، ولا يحفلون بمراسم العبادة ، حتى إن إيليا أبا ماضى يزعم أن « جهنم » ليست غير فكرة تاجر ، وأن الله أمر الناس بأن يرحم بعضهم بعضاً فكيف يرضى بأن يعذبهم ، وهذه الفكرة أشبه بما قاله جان بول سارتر فى مسرحية الذباب المعروفة .

كم روعوا بجهنم أرواحنا ... فتألمت من قبل أن نتألما
زعموا الإله أعدها لعذابنا ... حاشا وربك رحمة أن يظلما
ما كان من أمر الورى أن يرحموا ... أعداءهم إلا أرق وأرحما
ليست جهنم غير فكرة تاجر ... ألله لم يخلق لنا إلا السما

والغريب أنك لا تكاد تلمس خفقات القلب بين ومضات الفكر ، ولا خلجات العاطفة بين صيحات العقل ، فى حين أن « لبنان » — الذى ترعرعت فيه هذه البلابل قبل أن تهاجر إلى العالم الجديد — هو موطن السحر والفتنة ، وبلد الجمال الخلوب ، والروعة المتألقة ، فالحب عند شعراء المهجر يكاد يكون ثانوىّ القيم فى عناصر الحياة ، لا معنى عميقاً فى أغوار الإنسانية ، فأيليا أبو ماضى حين يتحدث عن الحب لا يحلل عاطفة ذاتية وإنما يزجى حقيقة عامة :

قال قوم : إن المحبة إثم ... ويح بعض النفوس ما أغباها
إن نفساً لم يشرق الحب فيها ... هى نفس لم تدر ما معناها .

أما فوزى المعلوف فقلبه ينبض بعاطفة صادقة ، ولكنها ليست بعيدة الغور إذ أنه يرى الغنى فى امتلاكه لمحبوبته ، ناسياً أن الحب فوق قيم الحياة ، وما فيها من كنوز وذخائر . . .

أحبك للعبادة ، آه منك ... وقلبك بين تأكيد وشك
إذا ملكت يدى الدنيا ، سأبقى ... فقيراً قبلما تضحين ملكى

وربما كان تعليل ذلك أن التوغل فى شئون الحياة المادية ، بعد طغيان فهجرة ، حال دون التهاب حاسة الشعراء بمعانى الحب وانصهار عواطفهم فى حرارة الوجد وانشغالهم بذلك الجانب الإنسانى ، حتى إن إلياس فرحات يروى لمسة وجدانية عامة فيقول :

إذا ما لغات الشفاه اختلفن ... فما للقلوب سوى واحدة
خفوق يخر لديه البيـــان ... وتعنو المعانى له ســـاجدة

ويختلف شعراء المهجر فى حقيقة الموت ، فإيليا يرى الخلود مرتبطاً بالحب ، لأنه نور متصل بالأبدية ، كلما أفلت منه لمحة بزغت أخرى مكانها .

إنا سنبقى بعد أن يمضى الورى ... ويزول هذا العالم المنظور
فالحب نور خالد متجدد ... لا ينطوى إلا ليسطع نور

وأما ميخائيل نعيمة ، فإنه يرى الحياة تبدأ فى اللحد منذ اللحظة الأولى :

وعندما الموت يدنو ... واللحد يفغر فـــاه
أغمض جفونك تبصر ... فى اللحد مهد الحياه

كما أنه يرى أشباح الموت تحيط بالمرء ، فإحساسه بالحياة لا يمنع من أن تحدق المنايا فيه ، ويرى كذلك أن هنالك دودا وراء الجفون :

بعينيك نور تراه العيون ... جميلا فيضحك منك المنون
لأن المنايا تحدق فيـــك ... بعين الزمان التى لا تخون
فتبصر فى مقلتيك ترابا ... وتبصر دودا وراء الجفون

ولكن جبران خليل جبران يرتئى أن صفاء الروح فى الحياة والسمو بالنفس عن معانى التراب التى تتمثل فى النزعات الأرضية للإنسان هى من العناصر المؤدية إلى الخلود ، وأن الفناء لا يذهب إلا بمن التصقت نفسه بمعانى الأرض :

والموت فى الأرض لابن الأرض خاتمة ... وللأثيرىّ فهو البـــدء والظفر
فالموت كالبحر ، من خفت عناصره ... يجتـــازه وأخو الأثقال ينحـــدر

وفى هذا الفلك يدور شعراء المهجر ، فالمعنى الواحد تتداوله الأذهان بالتحوير ، مع إضافات من سموات الخيال ، فما قاله نسيب عريضة فى الموت لا يختلف عن أنداده ونظرائه :

لا بأس ، ليس الحياة إلا مرحلة بدؤها ختـــام

أما شعر الطبيعة عند أدباء المهجر فقد نحوا فيه منحى شعراء الرومانسية الذين ظهروا فى القرن التاسع عشر ، فوقفوا يقارنون بين عالم الطبيعة فى قدسيته وطهارته ، وبين عالم الإنسان فى شروره ومثالبه ، وأوغلوا فى الامتزاج بمعانى الطبيعة حتى تمنوا أن يكون دينهم كدين الروض فى العطر والظلال ، أو كدين الشهب فى الإشراق والجمال ، أو كدين الغيث فى السماحة والكرم ، ولديهم من النماذج ما يفوق الحصر ، ومن أمثلة ذلك ما قاله إيليا أبو ماضى :

ولقد نظرت إلى الحمائم فى الربى وعجبت من حال الأنام وحالها
فغبطتها فى أمنهـــا وســـلامها ووددت لو أعطيت راحة بالها

إلا أن الطبيعة فى شعرهم ــ كما أراها ــ ليست تلك الطبيعة الحارة المتدفقة التى نتملاها عند الشعراء الرومانسيين ، فالأزهار التى يصفونها ليست من ذلك الطراز الذى يأخذ العيون بسمته وروعته ، ويملك المشاعر بعبقه وشذاه ، ولكنها لاتفترق عن الأزهار الصناعية الرائعة التى تُزين بها بعض البيوت اليوم ، وعلى هذا النمط نجد شعر الطبيعة عند شعراء المهجر .

وكما أن موجة التجديد فى الأندلس قد جرفت الشعراء فى تيارها الزفيف حتى خلعوا رداء اللغـة عن طواعية ، فأحسنوا وأســاءوا ، فكذلك نرى فى المهجر هذه النزعة ، أو هذه البـدعة ، إذ ثار جبران خليـل جبران وطائفة معه على موسيقى الشعر ، ووجهوا طاقتهم الفنية إلى الابتداع فى النثر ، والحق أنهم أتوا فيه بمـا يقارب الشعر فى إشراقة الديباجة ، وسمو الخيال ، وتجويد الصور ، ومع ذلك فلم يساير هذا النثر مواكب الشعر ، رغم أنه يزخر بالمعانى اللماحة ، والألفاظ المونقة ، والتعبير الخلاب ، أما الرنة الصوفية التى تنبعث من ثنـايا شعر المهجر فإنها من رواسب الماضى الحافل بأمتع

الذكريات عن لبنان، حيث تتألق فى أوديته سكينة الحياة ، وتعبق أجواؤه بأنفاس الجمال ، والسكينة والجمال يوحيان للنفس الشـــاعرة أرفع أسباب تصلها بالسماء .

والذى يؤخذ على شعراء المهجر — فى الأغلب الأعم — أنهم استظهروا الثقافات الأجنبية ، وأحاطوا بدقائقها ، وعرفوا ما للأدب التمثيلى من مكانة فى نفوس الغربيين ، ولكنهم لم يتعاطوا فنه ، ولم يزاولوا صناعته ، وكان جديراً بهم أن يحظوا فيه بما عجز الكثيرون عن إدراكه .

ولشعراء المهجر صناعة بيانية ربما ازورّت قليلا عن الذوق العربى السليم ، فأسلوبهم فى الشعر — إلا نفراً منهم — لاشية فيه من البلاغة وحسن السبك ، ويعللون ذلك بأن لغة الشعر يجب أن تنسلخ عن لغة الخطابة ، وأن التأمل فى الحقائق الكونية تعجز الألفاظ الموشّاة عن تأديته أصدق أداء ، ورأيُنا أن الشعر الخالد لا تكفى المعانى وحدها لخلوده ، وإنما لا بد من مصاحبة القيم التعبيرية له حتى يظفر بالبقاء ، ويُكتب له الخلود .

بعد ذلك يتساءل القارىء : ما هى مكانة الأدب المهجرى بين الآداب الحديثة ؟ وما هى القيم التى يتضمنها وينطوى عليها هذا الأدب ؟ وأنا أحب — كمتصل بالأدب — وقد سنحت لى الفرصة أن أجلو رأيى فى هذا الموضوع فأقول : إن شعراء المهجر — مع تقديرى البالغ لكثير منهم — لم يفتحوا آفاقاً جديدة فى الفن عجز عن الصعود إليها إخوانهم فى لبنان ، وإن الأدب المهجرى لم يتبلور بعد ، ولم يتخذ له صورة واضحة المعالم ، بحيث يفرد له أثر بعيد المدى فى تطور الأدب العربى المعاصر . وموقف الشعر المهجرى من الشعر العربى فى هذه الفترة كموقف أدباء أمريكا من اللغة الإنجليزية — وهى لغة الموطن الأول لهم — فإن الأدب الأمريكى لم يبلغ حتى هذه اللحظة مرحلة التألق وإن كان فى طريقه إليها ، وكذلك الأدب المهجرى. ولنا أن نأمل أن لاينسلخ أدباء المهجر عن اللغة شيئاً فشيئاً ، تمشيا مع مايسمى الآن بالتجديد والتطور ، وبذلك وحده يكون لهم فن خالد يرمز إليهم ، ويشير إلى مكانة تلك البلابل المهاجرة فى سماء العالم الجديد .

هذه لمحة خاطفة عن تطور الشعر فى المهجر عرضناها فى إيجاز ، ولعل القارىء يجد بقية الجوانب الإنسانية لهذا الشعر فى الفصول التى دبجتها يراعة الأستاذ محمد عبد الغنى حسن بهذا الكتاب ،وإنها لفصول ممتعة تدل على براعة فى العرض ، وأصالة فى التفكير .

عزيز أباظة

الفصل الأول

دراسات في شعر المهجر

هجرة العرب إلى العالم الجديد

من كان يصدق أن رحاب العالم الجديد ستتسع لتستقبل ألوفاً من العرب نزحوا من الأرض التى مس جلدهم ترابها ، وأقاموا فى أمريكا الشمالية والجنوبية غرباء عن أوطانهم ، ولكنهم ليسوا غرباء الوجوه والأيدى والألسنة ، ففى عيونهم السود ، وفى نظراتهم الحالمة ، وفى السمرة التى تركتها شمس الشرق الملوحة على أديم جلدهم ، وفى حشو ثيابهم من الروح الشرقية العربية ، وفى الملامح والسمات التى حملوها من أرض العروبة وسمائها ما يؤنسهم فى وحشة الغربة التى اتخذوها لهم وطناً ومراداً للرزق ، ومسعى فى مناكب الأرض .

وليس عجباً أن يهاجر السورى أو اللبنانى إلى مصر أو العراق فيجد فيها أهلا بأهل ، ولا يحس فرقاً بين موطنه ومهجره ، لأنها كلها رقاع من أرض العروبة التى تفرقها التخوم ، وتوحد بينها آلام وآمال . ولكن العجب أن يكون للجالية العربية فى نيويورك وبوسطن ودترويت وفيلادلفيا وواشنطون وسان باولو وريو دى جانيرو وغيرها صحف ومجلات عربية تنشر أخبارهم فى المهاجر ، وتعبر عن شعورهم فى منازحهم ، وتسجل من شعر شعرائهم ونثر أدبائهم ما يدل على أن العربية تقوم وتثبت كيانها حتى على أرض غير عربية .

وأعجب ما فى القضية أن العرب المهاجرين فى أمريكا الشمالية والجنوبية لم يحتفظوا فقط بكيانهم العربى ومقومات لغتهم العربية ، بل احتفظوا بالشعر العربى على ما فيه من قيود الوزن والقافية والطابع الخاص ، وظلوا يغنون فى المهجر على أوتار الغربة شعراً فيه من الفتنة والجمال والإحساس بالحياة ، ما يذكرنا بالشعر العربى فى الأندلس ، منذ أن فتحها المسلمون على يد طارق بن زياد .

وهذا الشعر العربى فى المهجر الأمريكى هو الذى نعرضه بالدرس الوجيز على قدر ما يأذن به المقام ، ونعرض نماذج منه ترينا ألوانه وفنونه واتجاهاته ، وتكشف لنا عن مدى البعد والقرب بين الشعر العربى فى أوطان العروبة وفى المهاجر . ونحن على رجاء أن تدلنا الدراسة والموازنة على مبلغ ما بين شعر المواطن

العربية وشعر المهاجر من التقاء وافتراق . . . فلن نتعجل الحكم على قضية لا تزال فى بدء دراستها . . . ولكن وجود شعر عربى على ثرى العالم الجديد وتحت سمائه هو فى ذاته دليل على أن البلبل الصداح لا يعدم أسباب الغناء على أى أرض ، وفوق أية شجرة . . . فقد تجرد العربى من كل شىء ، ولكنك لا تستطيع أن تحطم فيه تلك الروح الشاعرة التى ورثها عن آبائه فى أنغام الحداء ، على مسارب الصحراء . . .

ولقد دخل العرب الأندلس فاتحين آخذين لها من يد القوط والفرنج ، فكان لهم فيها تاريخ صنعوه على أيديهم ، وكان لهم فيها شعر جديد وموشحات جديدة ، وأدب يمتاز من أدب المشارقة فى كثير من الوجوه . . . ودخل أبناء العرب أمريكا فارين من الفقر والظلم فى موجات كثيرة فى أواخر القرن التاسع عشر ، فكان لهم مقام ومستقر فى العالم الجديد ، وكان معهم أدبهم وشعرهم العربى لم يتخلوا عنهما ، ولم يتركوهما فى ميدان الصراع فى سبيل الرزق والحياة . وكانت معهم لغتهم العربية التى يقول فيها شاعرهم :

لغة يهون على بنيها أن يروا يوم القيامة قبل يوم وفاتها

ولعل قيام هذا العدد الكاثر من الصحف والمجلات العربية فى أمريكا الشمالية والجنوبية هو دليل على تصميم العرب هناك على أن تبقى العربية بينهم لغة الأبناء والأحفاد ، فلا تزاحمها الإنجليزية فى الشمال ، والأسبانية والبرتغالية فى الجنوب .

ولا ننسى ونحن نؤرخ للهجرة إلى أمريكا أن عربياً نابه القدر والمكان سبق موجات الهجرة العامة بثلاثة عقود من الزمان ، هو الدكتور لويس صابونجى ، صاحب مجلة « النحلة » المشهورة التى كان يصدرها فى لندن . فكان فيما نعلم أول عربى وطئت قدماه أرض « كولمبوس » ، وكان شاعراً أديباً ملحوظ المكان ، وله فى وصف السنترال بارك بمدينة نيويورك قصيدة على النهج القديم نظمها سنة ١٨٧٢ . فكانت أول شعر عربى أوحت به طبيعة العالم الجديد إلى شاعر عربى من العالم القديم [١] .

---

(١) ديوان شعر النحلة ص ٣٤٢

أسباب الهجرة

إن هجرة اللبنانيين والسوريين إلى العالم الجديد كانت على هيئة موجات متتالية منذ العقد الأخير من القرن التاسع عشر[1] ، وكانت الموجة تزيد كل عام حتى بلغت قمتها فى سنة ١٩١٣ حيث دخل أمريكا الشمالية وحدها فى ذلك العام ٩٢١٠ مهاجر[2] . فلماذا ترك هؤلاء العرب أوطانهم إلى بلاد لا يعرفون عنها شيئاً ، ولا تمت إلى أرومتهم ولغتهم بأدنى سبب ؟ سنأخذ الجواب عن هذا السؤال من أفواه المهاجرين أنفسهم .

وإذا كان أبو تمام يعلل من أكثر من ألف عام لهجرته وطنه بقوله :

سأصرف وجهى عن بلاد غدا بها لسانى معقولا وقلبى مقفلا
وإن صريح العزم والرأى لامرىء إذا بلغته الشمس أن يتحولا ...

فان أحد مهاجرى السوريين يقول : « نحن جئنا المهاجر مستجيرين مسترزقين »[3] ، على أن الشاعر المهجرى مسعود سماحة يعلل لنا لماذا وطن عزمه على الهجرة إلى أمريكا سنة ١٩١٣ فى قوله :

سأترك أرض الجدود ففيها حياة الجبان وموت الجرى
تقيد أقلام أحرارها وتطلق أيدى ذوى الميسر
سأضرب فى الأرض لاخائفاً من البر أو لجج الأبحر
وأنزل فى بلد دونه سمو المجرة والمشترى
يدب الهناء على تربه ويجرى الرخاء مع الأنهر
سلام على أرض كولمبس سلام على ربعها الأزهر

وهذا الأمل فى الحرية وفى الغنى هو الذى كان يراود شكر الله الجر حينما قال فى هجرته إلى الجنوب :

فياليت شعرى ! أيحظى المهاجـ ـر فيما يرجّيه من هجرته ؟

---

(١) الناطقون بالضاد فى أمريكا ص ١٩ .
(٢) المصدر السابق
(٣) ديوان فرحات . طبع سان باولو . مقدمة جورج معلوف .

فقد خرج كل مهاجر والأمل يداعبه ، ولكنه غير واثق مما تجنه له الأقدار فى جعبتها .

على أن الهجرة فى نظر الشاعر إيليا أبى ماضى كانت نوعاً من تحليق النسور بعداً عن محابس الطين ، وطلباً لصيد اللؤلؤ المكنون . . . فهو يقول :

لبنان ! لا تعذل بنيك إذا هم ركبوا إلى العلياء كل سفين
لم يهجروك ملالة لكنهم خلقوا لصيد اللؤلؤ المكنون . .
لما ولدتهم نسوراً حلقوا لا يقنعون من العلا بالدون
والنسر لا يرضى السجون وإن تكن ذهباً ، فكيف محابس من طين ؟
الأرض للحشرات تزحف فوقها والجو للبازى وللشاهين

فالهجرة من سورية ولبنان إلى أمريكا لم تكن فى مجموعها إلا فراراً من سوء الحالة فى الأوطان ، أو بعداً عن الضيق ، والتماساً للرزق فى أفق فسيح ، أو التجاء إلى كنف الحرية الأمين فى بلاد تقدس الحرية ، بعد أن ضاقت نفوس الأحرار بالأوطان كما يقول شكر الله الجر :

إيه لبنان يشهد الله أنا ما هجرناك عن قلى وصلابه
إنما أصبح المقام بأرض الـ أرز للحر ذلة ومعابه
كيف لا يهجر الأبى مكانا ملأ اليأس جوه ورحابه ؟ (١)

أما الشاعر المصرى الدكتور أحمد زكى أبو شادى فقد أحس غربة الفكر فى وطنه مصر ، فتركها سنة ١٩٤٦ معللا هجرته إلى أمريكا بقوله :

وغربة الفكر فى داريمجدها أقسى على الحر من فقدان ناظره (٢)

على أن أقوال شعراء المهجر أنفسهم عن أسباب هجرتهم تظاهرها أقوال المؤرخين ومؤرخى الآداب حين يقول أحدهم : (وكان الباعث الأكبر على المهاجرة اختلال الأحوال الاقتصادية فى السلطنة العثمانية ، بفساد الحكومة الاستبدادية . . . حتى تضعضع الأمن وسادت الفوضى ، ودرس العلم ، وثقلت المعيشة)(٣) .

---

(١) ديوان الروافد لشكر الله الجر . الأرجنتين ص ١٨ .
(٢) ديوان «من السماء» طبع نيويورك . ص ٩٧ .
(٣) الاتجاهات الأدبية فى العالم العربى الحديث لأنيس المقدسى ج ٢ ص ٦٨ .

بين القديم والجديد

نزح العرب المهاجرون إلى العالم الجديد وهم يحملون أوقاراً من القديم الذى طالت عليهم عصور وهم ينوءون تحت أثقاله . وتفتحت عيونهم المتطلعة إلى آفاق جديدة لم يرتادوها من قبل . وهنا بدأ الصراع بين القديم والجديد يعتمل فى نفوسهم : أيظلون على ما وجدوا آباءهم عليه من أمة فى عالم يضج كل ما فيه بحياة جديدة ؟ أم ينزعون إلى الجديد جملة ، ويخلعون الثوب الذى لف كيانهم وأرواحهم فى مطاوى الزمن آلافاً من السنين ؟

إن هذا الصراع بدا أمام المهاجرين فى كل مظهر من مظاهر الحياة هناك ، حتى لقد قامت حرب كلامية عنيفة بين العرب المقيمين فى سان باولو بالبرازيل حول إطلاق كلمة « السيد » أو « الخواجة » على أبناء العروبة هناك . ويصور لنا الشاعر القروى تلك الحرب فى أبيات يقول فيها :

ما بين لفظة سيد وخواجا ... حرب لها هاج البريد وماجا
والناس فى هذا قد انقسموا إلى ... قسمين كل تابع منهاجا
فالبعض يرغب فى الجديد وبعضهم ... يهوى القديم لأنه قد راجا[1]

ولقد لقيت الثورة على القديم البالى إجماعاً ، أو ما يشبه الإجماع ، بين العرب فى أمريكا الشمالية ، حتى وطدوا العزم على أن يبتوا كل صلة لهم بقديمهم . أما العرب فى البرازيل والأرجنتين وبقية جمهوريات أمريكا الجنوبية فقد انقسموا إلى فريقين : فريق يرى قطع الأواصر بين العرب المهاجرين وأوطانهم وماضيهم ، والتكيف بالوطن الجديد ، وفريق يرى أن الحنين إلى خيام البادية ونوقها هو أول مميزات العربى مهما نأت به الديار . ويتمثل لنا هذا الانقسام فى معارضة شعرية بين المرحوم فوزى المعلوف وإلياس فرحات ، فالأول يحض على التحرر من البداوة والتخلص من الجاهلية قائلا :

خل البداوة رمحها وحسامها ... والجاهلية نوقها وخيامها

---

(١) ديوان القروى . طبع البرازيل ١٩٥٢ ص ٨٩ .

والثانى يعارضه بقصيدة من الوزن نفسه والقافية عينها يقول فيها :

حى البداوة نوقها وخيامها والجاهلية رمحها وحسامها
حيتك أشباح القديم وسلمت فمن العدالة أن ترد سلامها
قد تبلغ النفس الطموح أشدها ويظل يذكرها الولاء فطامها (١)

وكأن الله ألف بين شعراء أمريكا الشمالية فى نزعة التجديد ، فالتقت رغباتهم جميعاً فى أهداف جماعة « الرابطة القلمية » التى أنشأوها بمدينة نيويورك سنة ١٩٢٠ مكونة من جبران ونعيمة ونسيب عريضة وإيليا أبى ماضى ورشيد أيوب وندرة حداد وغيرهم (٢) . وابتدأ نعيمة حياته الأدبية بمقال نقدى فى مجلة « الفنون » العربية التى تصدر فى نيويورك ، ندد فيه تنديداً مرا بجمود اللغة العربية . وانصراف كتابها وشعرائها عن الحياة فى داخلهم ومن حولهم إلى الشعوذات اللغوية والتقليد المميت . وكان قبل ذلك — وهو فى جامعة واشنطون سنة ١٩١٢ — نافراً من جمود أبناء العربية وتسابقهم فى تقليد القدماء (٣) .

وقام فى مدينة بونس إيرس بالأرجنتين شاعر عربى مجدد ، هو الدكتور جورج صوايا ، فدعا عرب المهجر إلى ترك طرائق شعرائنا المقلدين ، وإلى إهمال العادات القديمة ، وإلى مجاراة الإفرنج فى طرق حياتهم قائلا :

واترك أبحاثاً ينبذها شُعَرا نهضتنا الحالية
جارِ الأفرنج بما بلغو ه من الدرجات الوصفية
واهمل عادات قد رثت لعراقتها فى القدمية (٤)

ولعل فى أسلوب هذا الشعر دليلا على مدى ما تركته دعوى التجديد من ضعف الأساليب عند بعض المجددين !

على أن أنصار التجديد فى المهجر — بالرغم من قوة دعوتهم وفورتها — لم يستطيعوا أن ينسلخوا من القديم جملة ، فقد ظلت رواسب من هذا القديم الذى

---

(١) ديوان فرحات . طبع سان باولو . صفحة ٢٥٥ .
(٢) جبران خليل جبران لميخائيل نعيمة ص ١٦٩ .
(٣) جبران خليل جبران ، لنعيمة ص ١٤٥ .
(٤) ديوان همس الشاعر لجورج صوايا . طبع الأرجنتين ص ٢٥ .

ثاروا عليه تعتمل فى نفوسهم كأنها مندفعة من منطقة اللاشعور اللغوى الذى هو الميراث الكامن فى مجارى دمائهم . . . فهذا إيليا أبو ماضى يقول فى موت العبقرى :

يعظ النابغ الخلائق حيا إنما موته أجلّ عظاته

وقد تسرب إليه المعنى واللفظ من الشاعر القديم الذى يقول :

وكانت فى حياتك لى عظات وأنت اليوم أوعظ منك حيا

ونراه يقول :

دنيا مزيفة ودهر ماذق ما فى انفلاتك منهما من باس

وعبارة الشطر الثانى تكاد تكون عبارة الشاعر القديم « ما فى وقوفك ساعة من باس » .

ونراهم — فى الأكثر — على الرغم من تجديدهم ينزعون إلى معارضة القدماء وتقليدهم ، فالشاعر محبوب الشرتونى ينظم قصيدة فى وصف حمى أصابته بالمهجر[1] يعارض فيها قصيدة المتنبى فى وصف الحمى . والشاعر رشيد أيوب يجرى على نهج القدماء فى تخميس القصائد القديمة ، فنراه يخمس[2] قصيدة لابن الأربلى[3] منها البيت المشهور :

لا أرانى الله أرعى روضة سهلة الأكناف من شاء رعاها

بل نرى رشيد أيوب بالذات يستعمل الجناس بكثرة فى شعره . ونراه أكثر من هذا يلجأ إلى معارضة قصائد القدماء المشهورة ، كما فعل فى معارضته قصيدة « ياليل الصب متى غده » للشاعر القديم الحصرى[4] . وليس رشيد أيوب وحده الذى انفرد من بين شعراء المهجر بمعارضة قصيدة « ياليل الصب » ، فقد عارضها أيضاً الشاعر المهجرى مسعود سماحة[5] . ووجه الغرابة فى هـذه

---

(١) ديوان محبوب الخورى الشرتونى . طبع نيويورك سنة ١٩٣٨ ص ١٣٨ .

(٢) الأيوبيات . طبع نيويورك ص ٦٠ .

(٣) هو محمد بن يوسف الأربلى من شعراء البحرين فى القرن السادس الهجرى . انظر وفيات الأعيان ج ١ ص ٣١ .

(٤) الأيوبيات ص ١٩ .

(٥) ديوان مسعود سماحة . طبع نيويورك ص ١٨٣ .

المعارضات أنها نسق من القديم والتقليد للقدماء الذى ثار عليه شعراء المهجر ، وثار عليه أعضاء الرابطة القلمية وفى طليعتهم الشاعر رشيد أيوب ! . .

والحق أن حركة التجديد فى شعر المهجر لم تنزع من نفوس المهاجرين حفاظهم على اللغة العربية ، لغة الآباء والأجداد . فقد كان مسعود سماحة يتحسر على العربية التى كادت تشوهها العجمة قائلا :

لهفى على لغـــة يشوه لفظها وجلال رنته اللسان الأعجم (١)

وكان إلياس فرحات يتحسر على أبناء العرب المهاجرين الذين لايحسنون لغة آبائهم العرب فيقول :

وصلتنا بذوينا لغـــة لم تصلنا ببنينا الظرفاء
إن نقل قولا فصيحاً بينهم رددوه بلسان الببغاء (٢)

ولذا نجد صرخة حارة من محبوب الشرتونى يدعو فيها صديقاً له مهاجراً إلى أن يعلم طفليه لغة الضاد ، لغة الآباء والأجداد قائلا :

علمهما لغة الأجداد عن كثب واملأ فؤاديهما من حب لبنان (٣)

وأشد ما يخشاه الشاعر العربى فى المهجر أن تضيع اللغة العربية بين الأبناء الناشئين المولودين فى أرض المهجر ، فالمهاجر الأول عربى وفد على المهجر من أرض العروبة ، أما أبناؤه الناشئون فلم تظلهم أرض العروبة ولا سماؤها منذ رأوا نور الحياة تحت سماء غريبة عن سماء آبائهم . . . وهكذا نسمع الشاعر فرحات يذوب أسفاً وهو يقول :

إنا قضينا كل أيا م الصـــبا يا جارنا
فى غربة طالت فقصـ ـر طولها أعمـــارنا
نزجى لغير الفاهما ت شعورنا أشعارنا...
فنضيعها وإخال أنـ ـك مقتف آثارنا

وللعربى فى مهاجره فى أمريكا كل الحق فى أن يخشى على اللغة العربية أشد الخشية من عوامل الضعف الطارئة عليها مع الجيل الجديد . على الرغم

---

(١) ديوانه ص ٢١ .
(٢) ديوان فرحات ص ١٩٩ .
(٣) ديوانه ص ١١٠ .

من تلك الصحافة العربية المنتشرة فى الشمال والجنوب . فإن موقف العربية فى أمريكا اليوم غير موقفها فى الأندلس بالأمس . فقد فرضت لغة الضاد سلطانها فى الأندلس أكثر من ثمانية قرون لأنها كانت لغة المنتصر الفاتح ، أما العربية فى أمريكا فهى ضيفة ، وخاصة بين الأجيال الجديدة الطالعة الضعيفة الصلة بالأوطان العربية الأصلية .

على أن أجمل مزايا العرب المهاجرين فى العالم الجديد أنهم استطاعوا أن يحتفظوا بشخصيتهم العربية التى تعبر عنها لغتهم العربية أصدق تعبير ، وأنهم استطاعوا أن يبقوا للغة عدنان كياناً قائماً واضح المعالم ، على الرغم مما أدخلوه عليها ونقلوه إليها من غرائب الغرب ، فى الاستعارات والمجازات والتشبيهات ، وغريب الخيال .

ولم يرض شعراء المهجر جميعاً عن هذه الأخيلة الغريبة على لغتهم ، فنرى إلياس فرحات — وهو يمثل الحفاظ العربى فى المهجر — يعيب على الشعراء المسرفين فى التجديد إغراب خيالهم ، وتشوش لغتهم ، وحيرة معانيهم فيقول :

أصحابنا المتمردون خيالهم تقضى[1] قريش به ، وتحيا حمْير
لغـــة مشوهة ، ومعنى حائر خلف المجاز ومنطق متعثر
وزعيمهم فى زعمهم متفنن عجباً أكان الفن فيما يضمر
لا الأرض تفهم ما يصوره لها ذاك الزعيم ولا السماء تفسر[2]

ولعل هذه الحملة العنيفة على الرابطة القلمية فى نيويورك وزعيمها جبران من شاعر المهجر فى البرازيل تصور لنا قصة النزاع الطويل بين القديم والجديد...

---

(١) تقضى قريش أى تموت .

(٢) ديوان فرحات . ص ١٠ .

التأثر بمعانى الحرية
فى أمريكا

قدمنا أن من أسباب هجرة العرب إلى العالم الجديد نشدان الحرية التى فقدوها فى أوطانهم ، ولقد تفتحت لهم سموات أمريكا الديمقراطية عن جو من الحرية التى لم يعرفوها من قبل ، فهللوا لها وتغنوا بها ، وأخذوا يعبونها عبًّا ، ويعبرون عن تلك النشوة فى أشعارهم . فلقد كانت أنفاسهم محسوبة عليهم فى أوطانهم ، فلما هاجروا تنفسوا بملء أفواههم ، وشعروا بثقل الأغلال والآصار التى كانت عليهم ، ورأوا تمثال الحرية قائماً على أبواب العالم الجديد ، فاتجه إليه أمين الريحانى قائلا : « متى تحولين وجهك نحو الشرق أيتها الحرية ؟ أيتأتى أن يرى المستقبل تمثالا للحرية بجانب الأهرام ؟ أممكن أن نرى لك مثيلا فى بحر الروم؟ أيتها الحرية ! متى تدورين مع البدر حول الأرض لتنيرى ظلمات الشعوب المقيدة والأمم المستعبدة ؟ » (١) .

والحق أن العرب المهاجرين بهروا بمعانى الحرية والمساواة التى تنعم بها أمريكا والتى أصبحت دستور حياتهم . فرأينا كل شاعر عربى فى المهجر يمسك قيثارته ويضرب عليها ، مرجعاً أنغام الحرية التى كان يناجيها فى الأحلام والأمانى البعيدة ، فأضحت حقيقة بين يديه يعيش فيها ويتمتع بها . فهذا الشاعر جورج صوايا يترجم لنا شعراً رقيقاً يدور حول افتداء الحرية بالحب (٢) . وهذا مسعود سماحة ينظم لنا قصيدة عنوانها « ألا فلتعش المساواة » يقول فيها :

ألا فلتعش بين القلوب عزيزة ... وتحى بأفكار الشعوب المساواة
فما هى إلا سلَّم للألى سعوا ... تؤدى إلى المجد الرفيع ومرقاة

أما الشاعر رشيد أيوب فيناجى الحرية ويرى أنها منى الدنيا وغاية سؤلها ، فيقول :

---

(١) الاتجاهات الأدبية للمقدسى جـ ٢ ص ٧١ .

(٢) همس الشاعر . طبع الأرجنتين . ص ١٥٨ .

وحقك يا حرية قد عشقتها وأنفقت عمرى فى هواها محاربا
وسر جمال فيك هام بحبـــه بنو الشرق إجلالا فحلوا المغاربا
لأنت مُنى الدنيا وغاية سؤلها وأفضل شىء قد رأته مناسبا
فلا يُختشى ظلم وأنت عدالة ولا ظلَم، فالنور يمحو الغياهبا (١)

وعجيب أن المساواة بمعناها الجميل فى مظاهر الطبيعة لم تفت العربى وهو فى أرضه ، فلما نزح إلى العالم الجديد ، ورأى المساواة فى الحياة هناك ظاهرة من مظاهر السلوك العملى للإنسان ، عاد من جديد فتذكر المساواة فى الطبيعة التى لا تفرق بين العوسجة الشائكة ،والزهرة الناعمة. . . فإن الشمس والنور والهواء تطلع على كل منهما على قدر المساواة بلا تفريق ولا محاباة. وهنا نسمع ميخائيل نعيمة وهو يقول :

فلا التبر أغلى عندها من ترابها ولا الماس أسنى من حجارة صوان
هل استبدلت يوماً غراباً ببلبل وهل أهملت دوداً لتلهو بغزلان؟
وهل أطلعت شمساً لتحرق عوسجاً وتملأ سطح الأرض بالآس والبان؟
لعمرك يا أختاه ما فى حياتنا مراتب قدر أو تفاوت أثمان (٢)

ولعل قصيدة إيليا أبى ماضى وعنوانها « الطين » هى نغمة جديدة فى طنبور المساواة الذى غنى عليه شعراء المهجر ، فعنصر الناس جميعاً من الطين ـ ولا اتضاع فى الخلق والنشأة بعد هذا ـ فلماذا يتكبر الإنسان ويفرض لنفسه من الحقوق والطبقة ما لا تدعو إليه مهانة الأصل الذى خلق منه الإنسان ؟

وقد أصبحت فكرة حط الرحال إلى أمريكا هى فكرة الفرح بعيد الحرية عند كل مهاجر يشد إليها الركاب . فأبو شادى الشاعر المصرى يستقبل أمريكا فى بدء هجرته سنة ١٩٤٦ قائلا :

أماناً أيها الوطن السـعيد لقد دفن الردى ومضى الوعيد
فأمسى مأتم لفراق أهـلى ويومى الحر فى نجواك عيـد
عرفتك ملجأ الأحرار دوما إذا ما حورب الحر الشريد (٣)

---

(١) الأيوبيات . طبع نيويورك ص ٣٨ .
(٢) همس الجفون . لميخائيل نعيمة . ص ٧٧ .
(٣) ديوان من السماء لأحمد زكى أبى شادى ص ٩٩ .

فإذا ما بلغ به المقام فيها عامين اثنين نرى ربيع الحرية قد طلع عليه فتّان الملامح ، مشرق البسمات ، فيخاطبه قائلا :

ربيع الحر أشرق يا ربيعى وثب فرحاً مع الحمل الوديع !
كلانا كان فى عنت وضيق يعانى الأسر فى سجن منيع [1]

ولكن . . . هل أنست الحرية فى العالم الجديد شعراء المهجر أوطانهم ، على ما فيها من القيود والسدود التى تكم الأفواه وتخضد شوكة الروح ؟ لا . إن شعراء المهجر قد حنوا إلى أوطانهم حنين الإبل إلى أعطانها . . وذلك ما سنراه فى البحث التالى .

(١) ديوان من السماء ص ١٢٢ .

حنين إلى الأوطان

لقد ألف العرب المهاجرون أوطانهم الجديدة ، ولكن حنينهم كان دائماً لأول منزل — كما قال الشاعر القديم . فقد ظلوا على اغترابهم وقلوبهم وأرواحهم تهفو إلى ديارهم الأولى ، وما غنت قمرية فى المهجر ، أو هبت نسمة إلا حملت إليهم نفحات من صبا نجد ، وما حول نجد من أرض العروبة المضمخة بأكرم الطيوب . . . ومهما علل ابن الرومى الحنين إلى الأوطان للمآرب التى قضاها الشباب هنالك ، فإن شعراء المهجر لم يعللوا لنا حنيناً ، ولكنهم أسمعونا ذلك الحنين مذوّباً فى شعر رقيق يفيض بالوجد والشوق والهيام بالأوطان . ولقد قست الحياة على بعض شعراء المهجر فزاد ذلك من نغمات حنينهم إلى أوطانهم ، على أن المجدودين منهم لم تنسهم النعمة شقاء أوطانهم الأولى ، ولم تشغلهم الوفرة والجدة عن تذكرها ، فهم دائمو النزوع إليها كما قال شوقى :

وطنى لو شغلت بالخلد عنه ... نازعتنى إليه فى الخلد نفسى

وما غاب الوطن لحظة عن ضمير شعراء المهجر ، فهو ماثل دائم الحضور فى ضمائرهم . وقد عبر عن ذلك أبو ماضى بقوله :

لبنان فيكم ماثل إن كنتمُ ... فى مصر أو فى الهند أو فى الصين
إن بنتم عنه فما زال الهوى ... يدنيكم منه كما يدنينى
وحراكم لعلائه وسكونكم ... وإلى ثراه حنينكم وحنينى (١)

ويصور لنا أبو ماضى حنينه إلى لبنان وشوقه إليه فى قصيدته « الشاعر فى السماء » . فإن الله أصعد الشاعر فى السماء ، وأسكنه فى عالم الوحى والسناء ، فالتفت الشهب حول عرشه ، وسار الضياء فى طاعته ، وانعقد له فوق الغيوم لواء . . . ولكنه أبى ذلك كله ، وتمنى على الله أمنية عبر عنها بقوله :

لكن أمنية بنفسى ... يسترها الخوف والحياء

---

(١) الخمائل . لإيليا أبى ماضى . ص ١٠٧ .

فقال : يا شاعراً عجيباً قل لى إذن ما الذى تشاء ؟
فقلت : يارب فصل صيف فى أرض لبنان أو شتاء ...[1]

ولبنان دائماً هو خاتمة المطاف عند الشاعر اللبنانى المهجرى ، فهذا محبوب الشرتونى يودع مهاجراً عائداً إلى لبنان فيقول :

املأ القلب والنواظر منه كل شىء فيه أغر جميل
حَرَم أرضه فقبّل ثراها لثراها السجود والتقبيل
قد تطوف الديار..لكن إليه مرجع السير والديار سبيل[2]

وتظل العودة إلى لبنان تراود حلم كل شاعر عربى فى المهجر ، فهو حالم بها ، هائم فى ذكرياتها ، مشتاق إلى قطف العناقيد من كروم الجبل الأشم . وهذا الشاعر رياض المعلوف يعبر عن ذلك بقوله الرقيق :

هل يا ترى نعود إليك يالبنانْ
فتصدق الوعود ويسمح الزمان
فنقطف العنقود منوع الألوان
كم سحت فى المعمور ما غرنى منظرْ
فبلدى المهجور وكوخىَ الأخضر
أحلى من القصور والذهب الأصفر
هل يا ترى نعود
إليك يالبنان[3] ؟

ويصور لنا رشيد أيوب فى قصيدة « الجندى والغدير » عودة الغدير إلى النهر ، واستحالة عودة الجندى الغريب إلى وطنه ، ولعله يصور لنا حالته هو فيقول :

إنما أنت إلى البحر تعود وأنا هيهات عَودى للديار[4]

---

(١) الخمائل ص ٦٧ ، ٦٨ .
(٢) ديوان محبوب الخورى الشرتونى . طبع نيويورك . ص ١٠١ .
(٣) ديوان خيالات لرياض المعلوف . طبع سان باولو بالبرازيل . والديوان غير مرقم الصفحات .
(٤) ديوان الأيوبيات طبع نيويورك ص ٢٣ .

وقد أفصح فى قصيدة أخرى عن عدم استطاعته العودة إلى وطنه فقال :

أعلل نفسى – إن سئمت – بعودة ولكنها الأيام تباً لهـا تبا
فلله هاتيك الربى وربوعهـا فأنىَ قد ضيعت فى تربها القلبا
ويا حبـذا ذاك النسيم ، فأننى لينعشنى ذاك النسيم إذا هبا

وممن أذاب قلبه شوقاً إلى لبنان وحنيناً إلى عهوده ، الشاعر إلياس فرحات ، فقد كان يتطلع إلى وطنه مع إخوانه المهاجرين بألف مقلة ساهرة ، ويقول فى ذلك :

ومهاجر يهـدى إليك قصيدة ممزوجة بشـعور كل مهاجر
الحب أوحاها إليـه فخطها بمدامع تنهـلُّ لا بمحـابر
صعدت من الأحشاء زفرة مدنف وبدت على القرطاس فكرة شاعر
إن نام عنك اللابثون فكلنا يرنو إليـك بألف طرف ساهر(١)

ولو اتسع لنا المقام لذكرنا كثيراً فى شعر الحنين والشوق إلى الأوطان ، مما قاله أبو ماضى ورشيد أيوب ومسعود سماحة ومحبوب الشرتونى وإلياس قنصل ورياض المعلوف وميخائيل نعيمة وإلياس فرحات وشكر الله الجر ونسيب عريضة والشاعر القروى الذى له فوق قصائده الكثيرة فى الوطنيات والحنين « أنشودة الغريب » التى يقول فيها :

حتى م أحيا غريب مالى وطنْ
يا يوم وصل الحبيب أنت الزمن
دهـر بقلبى رمى سهم النـوى
يكويه ربى كما قلبى كوى
هيهات غير الحمى ما لى دوا
لبنان نعم الطبيب للمتحـن
إن كنت منـه قريب زال الحزن ...(٢)

ولا تقولن إن طول النوى هو الذى دفع هؤلاء الشعراء إلى هذا الخضم

---

(١) ديوان فرحات ص ١٠٦ .

(٢) ديوان القروى . طبع سان باولو بالبرازيل ص ٨٤ .

من الحنين المعتلج ، فهذا أبو شادى الشاعر المصرى لم يكد يمر عليه فى المهجر عام حتى بدأ الحنين إلى وطنه يراوده ، فنظم فى سنة ١٩٤٧ قصيدة «عيد النيروز» التى تعبر عن شوقه لمصر أصدق تعبير (١) .

الشـــعر الوطنى

ومن ضروب الحنين إلى الوطن فى شعر المهجر ذلك الشعر الوطنى الذى يعالج شئون الأوطان الأولى للشعراء ، ويصور فى دار الهجرة آمال البلاد وآلامها . وما حدثت فى المشرق أو فى الوطن العربى حادثة إلا وقف لها شاعر المهجر راصداً ، يعلق عليها ، ويستخرج العبرة منها . فهذا إيليا أبو ماضى يعلن فى ديوانه « الخمائل » أن مأساة فلسطين حرمت النوم على أجفانهم فى المهجر ، فكأن السيوف كانت تخز بأكبادهم :

فخطب فلسطين خطب العلا ... وما كان رزء العلا هينا
سهرنا له فكأن السيوف ... تحـــز بأكبادنا ههنا . . .
وكيف يزور الكرى أعينا ... ترى حولها للردى أعينا ؟

ولما حدثت المجاعة فى لبنان فى خلال الحرب العالمية الأولى نهض شعراء المهجر يدعون فى شعر وطنى قوى عاطفى إلى إغاثة إخوانهم وآبائهم وأمهاتهم فى ديار الحمى . . فهذا محبوب الشرتونى يدعو السوريين فى المكسيك إلى المعونة ، وهذا مسعود سماحة يدعو المهاجرين فى أمريكا إلى مساعدة المنكوبين فى الأوطان قائلا :

لا تتركوهم للعراء وللطوى ... هدفاً ، وللأسقام والأحزان
لو كان يقريهم أنين موله ... لقريتهم من صدرىَ الملآن
لاتسكبوا دمعاً وجودوا . إنما ... كف الجواد تسيل لا العينان

ولا ينى شعراء المهجر عن تذكير العرب بمجدهم وحثهم على إصلاح ذات بينهم ، ودفن حزازات النفوس التى تجعلهم يتناحرون ويضعفون قواهم . فهذا إلياس فرحات يدعو العرب من مهجره البعيد قائلا :

عليكم سلام الله يا آل يعرب ... متى ينتهى مسعاكم المتنافر ؟

---

(١) انظر القصيدة فى ديوان « من السماء » ص ١٠٧ .

متى تذكرون المجد فالمجد ذاكر لكم أطيب الأيام، والدهر ذاكر[1]

وممن اشتهر بالشعر الوطنى من شعراء المهجر الشاعر القروى، وإلياس فرحات، وشكر الله الجر، ومحبوب الشرتونى، ومسعود سماحة، ورياض معلوف، وإلياس قنصل الذى خصص لشعره الوطنى ديواناً مستقلا أسماه « على مذبح الوطنية[2] » . ولعل أكثرهم حماسة فى هذا الباب هو رشيد سليم الخورى « الشاعر القروى » الذى يصرح فى مقدمة ديوانه الضخم بأن أنات أمته قد صكت مسمعه، فطوى جناحه عند سريرها، مخضعاً خياله لواقعها الأليم[3] ولعل أنات هذه الأمة العربية أيضاً هى التى أوحت إلى إيليا أبى ماضى أن يقول:

فكرت فيما نحن فيـــه كأمة وضربت أخماسى إلى أسداسى
فرجعت أخيب مايكون مؤمل راج، وأخسر مايكون الحاسى[4]

الافتخار بالشرق والعرب

ويدخل فى الشعر الوطنى هذه النزعة الظاهرة فى أغلب شعراء المهجر إلى الفخر بأوطانهم العربية على جهة الخصوص، وبالشرق على وجه العموم. فهذا إلياس فرحات يفتخر بوطنه قائلا:

موطنى منبت الرماح وقومى مُوردوها الأضلاع والأصلابا
وهم الضاربون فى كل صقع للمعالى وللمعـــانى قبـــابا

وهذا شكر الله الجرّ يقف على شواطىء الأندلس مجتازاً البحر إلى العالم الجديد، فيتذكر مجد العرب وحضارتهم فيقول:

لك الله فى الغرب من شاطىء إلى الشرق فى مجده يرجعُ
تمر فتخشع فيك النفوس ومن ذا لماضيك لايخشع ؟
أتيتك والليل مُرْخَى السدول وللبدر فى جوه مطلع
ورملك تحت شعاع النجوم سبائك من عسجد تلمع

---

(١) ديوان فرحات ص ١٣٣ .
(٢) طبع بونس إيرس سنة ١٩٣١ .
(٣) ديوان القروى. طبع البرازيل صفحة ول من المقدمة .
(٤) الخمائل ص ٤٥ .

وأندلس تنجلى كالعروس ومن للعروس بما تجمع ؟
محاسن لم تحوها فى الوجود بلاد حباها بها المبدع [1]

على أن هذا الافتخار ليس للمباهاة ، ولكنه سبيل إلى اتخاذ الماضى العربى المجيد سبباً إلى النهوض من العثار ، واتخاذ المكان اللائق فى عالم لا مكان فيه لمتخلف ولا لمتوقف . وقد عبر الشاعر شكر الله الجر عن هذا المعنى قائلا :

إيه قومى وليس يجدى التباهى لو عقلتم فى محتد ونجـــار
إن أجدادنا وما أحرزوه ـــ كان بالجد ـــ من غنى وفخار
فانهجوا نهجهم وكونوا كبارا يرحب الكون للرجال الكبار
ليس بالصعب أن ينال أخو الحز م الذى يشتهيه من أوطار [2]

---

(١) ديوان الروافد لشكر الله الجر . طبع الأرجنتين . ص ٦٥ .
(٢) المصدر نفسه ص ١٧ .

الدين للديان

لقد رحبت أمريكا آفاق الحرية الدينية عند العرب المهاجرين ، وجعلتهم يودعون — فيما ودعوه فى أوطانهم — ذلك التعصب الدينى الذى كان يبدو على أكثر وجوهه عنفاً فى لبنان خاصة ، وفى الشرق العربى عامة . لقد كان وجه الطائفية البغيض يتمثل للعرب النازحين فى بلاد تقدس الحرية السمحة الجميلة ، سواء أكانت حرية فى الفكر ، أم فى المعتقد ، أم فى الأوطان .

إن الفرق الشاسع بين حرية الأديان فى العالم الجديد ، وبين التعصب الدينى فى الأوطان الأولى للمهاجرين العرب قد دلهم بوضوح على أن الطريق الحامد المتعنت لا يفضى إلى تحرر فى الفكر ، ولا إلى استواء فى القصد ، ولا إلى قوة فى الكيان ، وأن بلادهم لم يصبها بالضعف والتخاذل وانحلال القوة وتفرق الكلمة إلا ذلك التعصب الطائفى الذى عطلها وعوقها عن السير فى طريق النهوض .

فالناس جميعاً فى نظر الإنصاف والتقدير السليم والسماحة والمعنى الإنسانى الواسع الكريم متساوون أمام الله ، فلا وجه لإثارة الخلاف الدينى والتعصب المذهبى بينهم . وكل دين يفرق بين الناس ، أو يقيم بينهم أسباب الخلاف فليس بشىء . والدين فى نظر جبران خليل جبران : « هو ما أنار القلب ، ومتى كان ضمير جارى كنور الشمس حياً نقياً ، وقلبه كوردة تتفتح فى الفجر لتستقبل ندى السماء ، فلا فرق إذ ذاك عندى إن ذكر بين الدراويش ، أو سجد مع اليسوعيين ، أو اغتسل فى نهر الكنج مع البوذيين » .

وهذه النظرة السمحة الواسعة إلى الدين مع كراهة التعصب والتنفير منه قد لفّت شعراء المهجر جميعاً فى أرحب أثوابها . فمحبوب الشرتونى يقول :

كل شعب فشا التعصب فيه هان ، والموت من وراء هوانه[1]

---

(١) ديوان محبوب الشرتونى ص ١٤٠ .

ويقول من قصيدة أخرى :

قالوا تحب العرب قلت أحبهم يقضى الجوار على والأرحام
قالوا لقد بخلوا عليك ، أجبتهم أهـلى وإن بخلوا على كرام
قالوا الديانة ، قلت : جيل زائل ويزول معـه حزازة وخصام

أما الشاعر رشيد أيوب فقد خلص من التعصب جملة ، واتسعت نظرته الدينية فى قوله :

أصلى لموسى ، وأعبـد عيسى وأتلو السـلام على أحمد (١)

وكان من نتائج هذه النظرة الواسعة إلى الأديان بين شعراء المهجر أننا نلقى كثيراً فى دواوينهم شاعراً مسيحياً يشيد بالإسلام وبمحمد عليه السلام ، كما نلقى شاعراً مسلماً يشيد بالمسيح عليه السلام ، وبمحبة المسيح وحبه للسلام .

فهذا رشيد أيوب يقول :

فمن يا ترى أعلى الورى كمحمد وأرفعهم مجداً ، وأسمى مناقبا(٢)

وهذا رياض معلوف يشارك إخوانه المسلمين فى الاحتفال بعيد المولد النبوى فيقول من قصيدة عنوانها « وحد الله » :

وحد الله . فالمؤذن وَحَّـدْ وبذكر النبى فى العيد أنشـد
يا رسول الأنام أنت وعيسى خير من يصطفى ويرجى ويقصد
وكفى العرب فخرهم بانتساب لنبى هو النبى محمد (٣)

وهذا محبوب الشرتونى يقول :

ومحمـد بطل البرية كلها هو للأعارب أجمعين إمام(٤)

وهذا رشيد خورى « الشاعر القروى » يحتفل شعراً بعيد مولد النبى محمد ، فيقول :

عيد البرية عيـد المولد النبوىّ فى المشرقين له والمغربين دوىّ

---

(١) الأيوبيات . طبع نيويورك ص ١٤ .
(٢) الأيوبيات ص ٣٧ .
(٣) خيالات لرياض معلوف . طبع سان باولو بالبرازيل .
(٤) ديوان محبوب الشرتونى ص ٨٨ .

يا قوم هـــذا مسيحى يذكركم لا ينهض الشرق إلا حبنا الأخوى
فإن ذكرتم رسول الله تكرمة فبلغوه سلام الشاعر القروى[1]

ومن الناحية الأخرى قام الشاعر المهجرى المصرى الدكتور أحمد زكى أبو شادى يشيد بالسيد المسيح ، وإعلانه الحق فى الكون ، وصبره على الآلام فى سبيل دعوته ، فيقول :

يا معلن الحق لم ينصفك من جهلوا سيان لاسمك أو لله يبتهل
المسلم الحق لا يألو تشـــوقه وعنده أنت أنت الفاتح البطل[2]

على أن هذه النظرة الرحيبة من شعراء المهجر إلى الأديان ، واشتراكها جميعاً فى دعوة الحق والخير والحب والسلام والفضيلة ، لم تقطع ما بين هؤلاء الشعراء وبين ربهم ، رب الأديان جميعاً . فهم متدينون مؤمنون بالله إلى أبعد حدود الإيمان . فهذا مسعود سماحة يتجه إلى الله قائلا :

الملك ملكك والبهـــاء بهاكا والأرض أرضك والسماء سماكا
الكون مع ما فيه من متحرك أو ساكن قد كونته يداكا
لا مسعف إلاك ، لا متساهل إلاك ، لا متسلط إلاكا[3]

وهذا ميخائيل نعيمة يتجه إلى الله فى قصيدة « ابتهالات » قائلا :

كحل اللهم عينى
بشعاع من ضياك
كى تراك[4]

وهذا نسيب عريضة قد يضنيه الدرب الطويل الحائر زماناً طويلا ، فلا يجد ملاذاً إلا فى « صلاة » لله ، يقول فيها :

أيا من ســـناه اختفى وراء حـــدود البشر

---

(١) ديوان القروى . طبع البرازيل ص ٢٢٥ .
(٢) من السماء . للدكتور أحمد زكى أبو شادى . طبع نيويورك ص ١٥٥ .
(٣) ديوان سماحة ص ٧٦ .
(٤) ديوان همس الجفون لنعيمة ص ٣٢ .

نسيتك يوم الصـــفا فلا تنسنى فى الكدر
أيا غافـــرا راحمـــا يرى ذل أمسى وغدْ
معـــاذك أن تنقما وحلمك ملء الأبدْ
مراعيك خضر المنى هى المشتهى سيدى
وجسمى دهاه العنا حنانيك خذ بيدى[1]

هذا الاتجاه الصافى إلى الله فى أشد ساعات الحرج والحلك ، هو الذى يفيض على أغلب الشعر العربى فى المهجر روحاً من الصفاء والشفافية ، التى تصعد بالقارىء من أطباق الثرى إلى رحاب السموات . . .

---

(١) مناهل الأدب العربى رقم ٣٠ – نسيب عريضة – ص ٦١ .

بين مادية الغرب وروحانية الشرق

وما دمنا الآن فى هيكل الدين المقدس متشوفين إلى رحاب السماء فى شعر المهجر ، أفلا يكون من الخير أن نعرج قليلا على موقفهم بين مادية الغرب وروحانية الشرق ؟ لقد خرج العرب النازحون إلى أمريكا من بلاد تلفها الروحانية فى أثواب وأثواب ، حتى أحالهم ذلك إلى هدوء يكاد يفضى إلى الجمود . . . فلما حطوا الرحال بالعالم الجديد رأوا كل شىء فيه يدعو إلى المادة ، والتهافت عليها . ورأوا الآلة بضجيجها ، والمصانع بدويها ، والمعامل بمداخنها التى لا ينقطع لها نفث الدخان . ولم يجدوا هناك فضلة من وقت يضيعها المرء فى حلم لذيذ أو خيال هنىء . . . فالحياة هناك مادة وعمل وكفاح ، وإلا ضاع المرء فى الزحام بين عجلات الآلات . وقد صور لنا الشاعر القروى هذا الزحام والصراع فى قصيدة بعنوان « وقفة على الشاطىء » يقول فيها :

وإذا بالفتى من الهم شيخ تعتريه الأوجاع والآلام
وكأن الورى وحوش بآجا م ، وتلك الشوارع الآجام
منكب حك منكبا . . وجبين شج رأساً . . . علام هذا الزحام؟(١)

أما الشاعر إلياس فرحات فقد ودع ساعات صفاء الروح منذ غاب عن لبنان ، واستقبل ساعات الكفاح المادى الشاق فى المهجر ، فقال :

فإننى مذ غبت عن لبنانا ما زلت أمشى تائهاً حيرانا
علىّ أن أحالف الخسرانا أو لا فان أحتمل الهوانا
والنفس لا تقبل أن تهانا
أمشى من الأحزان والأوجاع كأن «صنين» على أضلاعى
أحاذر الذئاب والأفاعى والناس عند الذهب اللماع
شر من الحيات والسباع(٢)

---

(١) ديوان القروى ، ص ١٣٩ .
(٢) ديوان فرحات ، ص ٤٣ .

وقد صور لنا جبران خليل جبران هذه المفارقات بين المادية والروحية وبين الكفاح المادى والهدوء النفسى فى مقال له يوازن بين طلوع الصباح على مدينة أمريكية كبيرة مزدحمة ، وبين طلوعه على قرى لبنان المتكئة فى سلام وهدوء على كتفى الوادى . . . « فالشوارع فى العاصمة الأمريكية قد غصت بالمسرعين الطامعين ، وامتلأ الفضاء من قلقلة الحديد ، ودوى الدواليب ، وعويل البخار ، وأصبحت المدينة ساحة قتال يصرع فيها القوى الضعيف ، ويستأثر الغنى الظلوم بأتعاب الفقير المسكين » (١) . أما قرى لبنان « فقد غادرت العجول فيها مرابضها وتركت قطعان الغنم والماعز حظائرها ، وانثنت نحو الحقول ترتعى رءوس الأعشاب الملتمعة بقطر الندى ، ومشى أمامها الرعاة ينفخون الشبابات ، ووراءها الصبايا المتأهلات مع العصافير بقدوم الصباح » .

إن نفخة فى الناى مع سكينة النفس ، ونغمة فى العود مع هدأة الروح قد تبلغ بسامعها أو عازفها إلى أبواب السماء ما لا تبلغه بروج نيويورك وناطحات سحابها . . . هكذا يقول إيليا أبو ماضى فى « كمنجة سامى الشوا » :

نيويورك يا ذات البروج التى سمت وطالت كى تمس الغمام
لن تبلغى والله باب السما إلا بأوتار كنار الشآم (٢)

إن المادية الغربية لم تطغ لحظة على شعراء المهجر ، فقد ظلت الروحانية تسكن أرواحهم وتطمئن نفوسهم فى عالم متهافت على الصراع المادى . . . ولا تقولن إنهم خرجوا من أوطانهم العربية — فيما خرجوا — للرزق المادى ، فإن التهافت المسرف على المادة لم يلائم روحانيتهم وأحلامهم الناعمة اللذيذة ، وسكونهم ورضاهم بأيسر مطلوب من الرزق . ولهذا لا عجب إذا رأينا رشيد أيوب يخلص نفسه من أصفاد المادة التماساً لحرية الروح التى هى مطلب الحر الكريم ، فيقول :

ولما رأيت المال يستعبد الورى وآمال نفس الحر تقضى بأن يحيا
عكفت على الإقلال علماً بأنه يلذ لنفسى الانتصار على الدنيا (٣)

---

(١) الإتجاهات الأدبية فى العالم العربى الحديث ج ٢ ، ص ٨٠ .
(٢) الخمائل ، ص ١٠٣ .
(٣) ديوان أغانى الدرويش : لرشيد أيوب . طبع نيويورك ، ص ٩٨ .

لقد خرج العرب النازحون إلى العالم الجديد طلباً للحرية من جهة ، والتماساً للمال من جهة أخرى ، ولكنهم وجدوا أن الناس أقاموا لهم صنما من الذهب ليعبدوه ، فسخر الشاعر إلياس فرحات من هذا المعبود فى قصيدته « عجل الذهب » التى يقول فيها :

وسرّحت فى الكون طرف الخبير ... فشاهدت فيه صنوف العجبْ
أناساً تدوس إلـه الضمير ... وتحنى الرءوس لعجل الذهب
ويذهلها المـــال كل الذهول ... فتدنى الجهول وتقصى اللبيب
فرحمة ربى على من يقول ... بأن النضار يغطى العيوب (١)

إن السكينة والهدوء الروحى وقناعة المطالب فى سفوح لبنان وذراه قد دعت ميخائيل نعيمة من المهجر ليستقر بسكون وسلام فى أحضان وطنه بعد هجرة بضعة عشر عاماً ، فيخاطب أبناء وطنه قائلا : « ما أبعد السلام المخيم فى جبالكم عن الجلبة المعسكرة فى مدينة كمدينة نيويورك : وتلك الجلبة هى تطاحن المطامع والأهواء البشرية فى سبيل الريال .. وليس أضل ممن يعتقد أن بإمكانه التوفيق بين ريال نيويورك وسلام صنين (٢) . . .

وهكذا تتضح لنا فى أنغام شعراء المهجر أحلام الشرق وروحانيته وسكينته وسكونه ، أمام كفاح الحياة وصراع الوجود ، فى ميدان العالم الجديد . . .

وهذا الصراع فى سبيل العيش قد أعنت العرب المهاجرين فى أول أمرهم ، فهذا إلياس فرحات يصور لنا فى قصيدته « حياة مشقات » قصة كفاحه فى البرازيل قائلا :

طوى الدهر من عمرى ثلاثين حجة ... طويت بها الأصقاع أسعى وأدأب
أغرِّب خلف الرزق وهو مشرق ... وأقسم لو شرّقت كان يغرب
وأنفر من واد لطـــود كأننى ... وقد بوّق الداعون للصيد ربرب (٣)

أما رشيد الخورى « الشاعر القروى » فقد بدأ هجرته فى البرازيل بائعاً

---

(١) ديوان فرحات ، ص ١٠٩ .
(٢) زاد المعاد لميخائيل نعيمة ، ص ٢٩ طبع المقتطف بمصر .
(٣) ديوان فرحات ، ص ٢٦٥ .

جوالا كزميله إلياس فرحات . . وهو يسمعنا صرخته الموجعة من صراعه فى سبيل الرزق قائلا :

دفنت ربيع عمرك فى بلاد ... بها طالت لياليك القصار
وعاشرت الزنوج بها اضطرارا ... كما قد عاشر الرخم الهزار ...
ثمارك من طوافك سعى نمل ... وحظ صراصر بئس الثمار !
تروم بمهنة التجوال مالا ... وحظك والغنى ماء ونار

ولقد بلغ عنف الصراع على الرزق عند أكثرهم أنهم ملوا الصراع أو كادوا ، بل ملوا الحياة فى جملتها إذا سارت على هذا النحو الشاق . ويصور لنا مسعود سماحة هذا قائلا :

كم طويت القفار مشياً وحملى ... فوق ظهرى يكاد يقصم ظهرى
كم قرعت الأبواب غير مبال ... بكلال ، أو قرّ فصل وحر
كم ولجت الغابات والليل داج ... ووميض البروق شمسى وبدرى
كم توسدت صخرة وذراعى ... تحت رأسى ، وخنجرى فوق صدرى
كم توغلت فى البرارى وقلبى ... سابح مثل زورق فى نهر
كم تعرضت للعواصف حتى ... خلت أن الثلوج فى القفر قبرى

إلا أنهم فى جملتهم ساروا فى الطريق الشاق بهمة تقرع الخطوب وتفل غربها . وأخذوا ينحتون من قلوبهم الذائبة المضناة أنغاماً هى أشبه بحداء الركبان حين يتعللون بالحداء على قطع الطريق . فنرى الشاعر نسيب عريضة يقول :

يا أخى ! يا رفيق عزمى وضعفى ... سر نكابد ! إن الشجاع المكابد
فإذا ما عييت تسند ضعفى ... وأنا بعد ذا لضعفك ساند
سر ! تقدم ! لكى نخط طريقا ... لأباة الهوان عند الشدائد
فلنسر فى الظلام فى القفر فى الوحـ ... ـشة فى الويل فى طريق المجاهد

لقد احتمل شعراء المهجر صراع الرزق وكفاح الحياة صابرين سائرين على الدرب ، مؤمنين فى النهاية ببلوغ الغاية ، وإلا فحسبهم أنهم لم يقفوا موقف الضعفاء على مفارق الطريق . . .

الرابطة القلميـة

وشعر المهجر

إن مؤرخاً لتطور الشعر العربى فى المهجر ونهضته لا يستطيع بحال أن يغفل الدور العظيم الذى قامت به « الرابطة القلمية » فى ذلك السبيل . فشعر المهجر مدين — إلى حد كبير — لتلك العصبة الجريئة المجددة ، التى كانت روحاً تعتمل فى الأدب العربى بأمريكا قبل أن تكون جماعة منظمة لها دستورها وقانونها وأهدافها .

ولقد كان قيام الرابطة القلمية بنيويورك ضرورة دعا إليها احتجاب مجلة « الفنون » الأدبية التى أنشأها وتولى غرسها وإنماءها الشاعر نسيب عريضة . فلما أصبح أمر عودة الحياة إلى « الفنون » مستحيلا ، تولت جريدة « السائح » نصف الأسبوعية أن تسد بعض الفراغ الذى تركته مجلة « الفنون » . وظلت السائح لصاحبها ومؤسسها عبد المسيح حداد ملتقى أفكار الأدباء والشعراء فى المهجر الشمالى .

ومن عصبة «السائح» تآلفت قلوب وأرواح لجماعة من أدباء العرب فى أمريكا الشمالية منهم جبران خليل جبران ، ونسيب عريضة ، وميخائيل نعيمة ، ورشيد أيوب ، وعبد المسيح حداد ، وندرة حداد ، ووليم كاتسفليس وغيرهم ، فاجتمعوا ذات مساء فى أبريل سنة ١٩٢٠ وقر رأيهم أن تقوم لأدباء المهجر رابطة تضم قواهم وتوحد مسعاهم فى سبيل اللغة العربية وآدابها . وفى ليلة أخرى من ليالى أبريل اجتمعوا وقرروا أن كل ما سطر بمداد على القرطاس ليس أدباً . . ولا كل من حرر مقالا أو نظم قصيدة موزونة بالأديب . . . فالأدب الذى نعتبره ، هو الأدب الذى يستمد غذاءه من تربة الحياة ونورها وهوائها ، والأديب الذى نكرمه ، هو الأديب الذى خص برقة الحس ، ودقة الفكر ،

وبعد النظر فى تموجات الحياة وتقلباتها ، وبمقدرة البيان عما تحدثه الحياة فى نفسه من التأثير (١) . . .

ولقد تحدثنا فى فصل سابق عن التجديد فى الأدب المهجرى ، والحق أن قصد الرابطة القلمية من حركة التجديد كان واضحاً بين السمات . فهم لم يقصدوا إلى قطع كل صلة مع الأقدمين جملة ، وفيهم من فطاحل الشعراء وقادة الفكر من ستظل آثارهم مصدر إلهام لكثيرين . . . ولكنهم رأوا أن التقليد ليس سوى موت للأدب العربى الناشىء ، ورأوا أن المحافظة على الكيان الأدبى تضطرنا إلى الانصراف عن الأقدمين والعكوف على حاجات يومنا ومطالب غدنا . . . . وليست حاجات اليوم القائم كحاجات أمس الدابر . . .

وإذا كان عمل الرابطة القلمية واضحاً لذى عينين فى الحقل الأدبى جملة ، فإن أثرها فى نهضة الشعر العربى بالمهجر لا ينكره إلا مكابر . فقد أخذت القصائد تنهال على جريدة « السائح » بقلم الشعراء العاملين فى الرابطة ، وأخذت الأعداد الممتازة من السائح تظهر كل عام فى ثوب تلفه الجدة والطرافة من جميع أطرافه ، وأخذ النقاد فى الأوطان العربية يستقبلون هذه الآثار ويعلقون عليها ، وأخذ أنصار القديم يهاجمون الرابطة القلمية ويتهجمون على آثارها فى الشعر والنثر . فلم يزدهم ذلك إلا مضياً على الطريق ، وتحمساً للفكرة ، حتى كثر أنصارهم فى العالم العربى كله ، وأخذت مكانة الشيوخ المحافظين القدماء تتأثر بمكانة جديدة لشبان ناشئين فى المهجر يتحرقون شوقاً إلى الجديد ، وينزعون أفكارهم وأرواحهم الثائرة من كل قديم . . .

ولقد ظهر التعاون الفنى الكامل بين أعضاء الرابطة ، فكانت الأعداد الأدبية الممتازة من جريدة « السائح » تخرج بوحى فنهم وتصميم أفكارهم ، وكان جبران خليل جبران — وقد جمع إلى الشعر الرسم والتصوير — يصنع الرسوم ويصمم الأطر الزخرفية الجميلة لدواوين الشعراء المطبوعة فى المهجر . كما صنع فى ديوان « رشيد أيوب » المسمى بأغانى الدرويش (٢) .

---

(١) كتاب « جبران خليل جبران » ، لميخائيل نعيمة ، ص ١٧٢ .

(٢) جبران خليل جبران . لميخائيل نعيمة ، ص ٢٨٩ . وديوان أغانى الدرويش ، طبع نيويورك .

العصبة الأندلسية

ويقابل الرابطة القلمية فى نيويورك بأمريكا الشمالية العصبة الأندلسية بالبرازيل فى أمريكا الجنوبية . ولعل هذه التسمية تحمل فى أطوائها تراثاً غالياً من العروبة التى غربت شمسها فى الأندلس منذ بضعة قرون . فهى جماعة عربية أدبية لم يجنح بها التجديد إلى التطرف الذى اتسمت به الرابطة القلمية بنيويورك ، وفى اسمها نفسه دلائل على روح محافظة تنزع إلى عرق عربى قديم .

ولقد قامت العصبة الأندلسية فى أمريكا الجنوبية بعد قيام الرابطة القلمية فى الشمال بخمسة عشر عاماً . ويرجع الفضل فى تأسيسها إلى واحد من أسرة المعلوف المعروفة المشهورة بالعلم والفضل ، هو المرحوم ميشال معلوف (١) الذى أنشأها وصار رئيساً لها فى أول عهدها سنة ١٩٣٥ . وتلاه فى رياستها الشاعر القروى رشيد خورى ، ورئيسها اليوم هو الشاعر شفيق معلوف ، صاحب ملحمة « عبقر » التى سنتحدث عنها عما قليل .

وكما كانت جريدة السائح فى نيويورك لسان حال الرابطة القلمية ، فقد أصبح للعصبة الأندلسية بالبرازيل مجلة أدبية راقية أنيقة الإخراج وتسمى باسم العصبة الأندلسية نفسها ، ويتولى رياسة تحريرها اليوم الشيخ حبيب مسعود . ومن أعضاء العصبة فى البرازيل اليوم الشاعر القروى ، وتوفيق ضعون ، وشكر الله الجر ، وإلياس فرحات ، ورياض معلوف ، وقيصر سليم الخورى ، ونعمة قازان ، وجورج حسون المعلوف وغيرهم .

الصحافة وشعر المهجر

ومن الحق أن نقول هنا إن الجمعيات الأدبية وأندية القلم فى المهجر لم تكن لتنهض وحدها بعبء مؤازرة الأدب عامة والشعر خاصة فى العالم الجديد لو لم تساعدهما الصحافة العربية الأدبية . ولسنا هنا بسبيل التأريخ لنشأة الصحافة العربية فى المهجر ، ولكننا لن ننسى — فى هذا المقام — فضل الرائدين الأولين

---

(١) كتاب مهمة فى قارة . للأستاذ أكرم زعيتر ، ص ٢٩ .

الدكتور إبراهيم ونجيب عربيلى اللذين أنشآ أول صحيفة عربية بأمريكا سنة ١٨٩٢[١] باسم « كوكب أمريكا » . على أننا لا ننسى صحف « الهدى » التى أسسها نعوم مكرزل سنة ١٨٩٨ ، و« مرآة الغرب » التى أسسها نجيب موسى دياب سنة ١٨٩٩ . فقد كانت هذه الصحيفة مراداً لأقلام جبران وأبى ماضى ووليم كاتسفليس وغيرهم من شعراء المهجر .

ولن ننسى مجلة « الفنون » التى أنشأها نسيب عريضة ونظمى نسيم سنة ١٩١٣ ، والتى كانت الملهم الأول لتأسيس الرابطة القلمية ، كما لا ننسى جريدة « السائح » التى أسسها عبد المسيح حداد سنة ١٩١٢ ، فكانت لسان حال الرابطة القلمية .

أما مجلة « السمير » التى أنشأها الشاعر إيليا أبو ماضى فى نيويورك سنة ١٩٢٩ فلا تزال إلى اليوم تطالع قراءها بنفثات هذا الشاعر المهجرى الكبير ، ويقول عنها مؤرخ الصحافة العربية الفيكونت طرازى إنها من أوسع المجلات العربية انتشاراً فى العالم الجديد[٢] .

وعلى قدر ما أسدت الصحف الأدبية فى المهجر من مناصرة للأدب والشعر فقد تعلق بها الشعراء والأدباء واتخذوها منابر رفيعة لأصواتهم التى كانت تجتاز العالم الجديد بأرضه وسمائه ، فتشق أثباج المحيط ، لتحمل إلى العالم القديم نفحات الشعر العربى فى المهجر . وتحس فيما كتبه ميخائيل نعيمة أثر الفجيعة التى منى بها شعراء المهجر وأدباؤه حين محت الحرب العالمية الأولى اسم مجلة «الفنون» من عالم الوجود : « فقد كانت لنا ولكتلة صغيرة من الأدباء فى نيويورك — بوقاً صافى الصوت لا نخجل من أن ننفخ فيه من أرواحنا . . . وكانت إدارتها ملجأ لشوارد آرائنا ، وجواً فسيحاً يمتزج فيه هزلنا بجدنا ، وتلتقى أحلامنا بآلامنا »[٣] .

---

(١) ذكر فى كتاب « الناطقون بالضاد فى أمريكا » أن هذه الصحيفة أنشئت سنة ١٨٨٨ ، وهذا خطأ ، والتصويب عن كتاب « تاريخ الصحافة العربية » للفيكونت فيليب طرازى ج ٤ ، ص ٤٠٦ . وهو ثقة فى هذا الموضوع .

(٢) تاريخ الصحافة العربية ج ٤ ، ص ٤٢٩ .

(٣) جبران خليل جبران : لميخائيل نعيمة ، ص ١٦٩ .

فى محراب الطبيعة

بالعالم الجديد

لم ينقطع حس الشعراء وشعورهم بالطبيعة منذ صفى الله الأوتار فى لهاتهم وألانها . . . فما زلنا منذ العصر الجاهلى نقرأ شعراً فى الطبيعة لامرىء القيس وذى الرمة والبحترى وابن الرومى وابن المعتز وابن خفاجة وابن خمديس الصقلى وغيرهم . ولكن الشعراء يختلفون فى مدى استجابتهم لدعاء الطبيعة ومدى إحساسهم بها وشعورهم بجمالها . ولقد كان هم الشاعر العربى فى شعر الطبيعة أن ينقل لك صورة مما يرى ، وقد تكون الصورة غنية بالألوان ومزدحمة بمرائى العين ، ولكنها — فى الأغلب — تخرج على هيئة قطعة من الفن لا حياة فيها . وكان معتمد الشعراء فى شعر الطبيعة على التشبيه والتمثيل أكثر من معتمدهم على إثارة الشعور وإيقاظ الروح ، وتنبيهها إلى ما وراء المشهد المنظور من الوجود المعنوى الذى يفوق الوصف الواقعى ويزيد عليه ، لما فيه من سمو بالخيال وارتفاع بالفكر إلى ما وراء المحسوس.

ولقد خرج شعراء المهجر من أوطانهم العربية يحملون خصائص الشعر العربى ، فلما عاشوا فى العالم الجديد ، وقرأوا ثمرات المفكرين فيه ، واطلعوا على الشعر الغربى فى مدارات تأملاته وسبحاته الفكرية تأثروا بذلك كله ، وتأثروا بالبيئة الجديدة المحيطة بهم ولم يجدوا بداً من الاستجابة لها . وصادفتهم فى المهجر أرض الله وسماؤه كما تصادفان الناس فى كل زمان ... فهذا جبل وقور على ظهر الأرض كالجبل الذى وصفه ابن خفاجة الأندلسى ، وهذه بركة كتلك التى كانت للمتوكل ووصفها البحترى ، وهذه شمس جديدة قديمة كالتى وصفها الشاعر العربى القديم قائلا :

مخبأة أما إذا الليـــل جنهـــا فتخفى ، وأما بالنهار فتظهر

وهذه بنفسجة كتلك التى قال فيها الشاعر القديم :

ماس البنفسج فى أغصانه فحكى زرق الفصوص على بيض القراطيس
كأنه وهبوب الريح تعطفه بين الحدائق أعراف الطواويس (١)

ولكن شعراء المهجر لم يجروا فى وصف هذه الأشياء وغيرها كما جرى شعراء العرب الأقدمون . فلقد قلنا إنهم جددوا وقلدوا شعراء الفرنجة ، وتركوا تقليد الشعر القديم . . إن الطبيعة عند شعراء المهجر كانت أفسح من أن تكون مستودعاً لا يرى فيه الشاعر إلا صورة اعتدال القد واهتزاز الخصر وابتسام الثغر (٢)

إن زهرة قد توحى إلى شاعر قديم بتشبيهها بمداهن من ذهب فيها بقايا من المسك ، كما صنع ابن المعتز فى وصف زهرة الآذريون « عباد الشمس » . ولكن زهرة سجينة فى إناء بأحد القصور قد أوحت إلى إيليا أبى ماضى قصيدة طويلة فاتنة يقول فيها :

لها الحجرة الحسناء فى القصر إنما أحب إليها روضة وكثيب
وأجمل من نور المصابيح عندها حباحب تمضى فى الدجى وتؤوب
ومن فتيات القصر يرقصن حولها على نغمات كلهن عجيب
تراقُصُ أغصان الحديقة بكرة وللريح فيها جيئة وذهوب .. (٣)

فليس هنا وصف حسى للزهرة الحبيسة فى غرفة بأحد القصور ، ولكن هنا شعور بالألم ومرارة للحبس ، وتشوف نحو الانطلاق فى فضاء الله الرحيب ...

ولقد وقف شعراء المهجر أمام الطبيعة فى العالم الجديد ، كما وقفوا أمام الحيوان والطير والنبات وآثار الإنسان الصناعية ، فنقلوا إلينا إحساسهم بما رأوا ، وشعورهم بما أثارته فيهم هذه المشاهد من معان . فهذا رياض المعلوف يصف لنا شلالات نياجرا (٤) وعندها :

تلك القصور من الزجاج ملاعب للحور فى الإمساء والإصباح

وهذا شكر الله الجر يقف على شلال تيجوكا فتوحى إليه الوقفة بهذه الأفكار :

---

(١) نهاية الأرب للنويرى ج ١١ ، ص ٢٢٧ .
(٢) بين البحر والصحراء للأستاذ شفيق جبرى .
(٣) الجداول : طبع نيويورك ، ص ٩ .
(٤) ديوان خيالات لرياض المعلوف ، طبع سان باولو .

غسلت بمائك عينى وعدت فأبصرت ما الناس لا تبصر
فبالله قل لى : إلام تظل كذلك تجتاحك الأعصر ؟
وأنت تكر كرور الزمان فلا تستقر ولا تفتر
وهذا الوجود كما كان قبل شعوب تجىء وأخرى تروح
ودنيا تضج بسكانها فهذا يغنى ، وهذا ينوح

وذلك مستسلم [1] للقدر

أما الشاعر رشيد أيوب فقد وقف على « نهر الهدسن » وقفة طويلة عميقة ، تذكر فيها أوطانه على شاطىء النهر ، واستعرض فيها الحياة الجياشة فى نيويورك ، وعاد إلى سورية بالخيال يتساءل عن اليوم الذى تعود فيه بين الأوطان سامية القدر [2] .

أما إيليا أبو ماضى فقد وقف « بفلوريدا » فوصفها قائلا :

سئلت ما راق نفسى من محاسنها ؟ فقلت للناس : باديها وخافيها
وما حببت من الأشجار ؟ قلت لهم إنى افتتنت بكاسيها وعاريها
وما هويت من الأزهار ؟ قلت لهم الحب عندى لناميها وذاويها ..
قالوا : وما تتمنى ؟ قلت مبتدراً يا ليتنى طائر أو زهرة فيها [3] ..

ويقف ميخائيل نعيمة على « النهر المتجمد » فتوحى إليه الوقفة بمعان نفسية يعقد فيها الشاعر موازنة بين النهر وبين قلبه الذى كان ضاحكاً مثل المروج ، ولكن جمدت فيه أمواج الأمل كما جمدت مياه النهر [4] . . . ويجتاز الشاعر محبوب الشرتونى مرحلة فى القطار من تمبيكو إلى سان لويس ، فيصور لنا جمال الربيع فى الروابى ، ولكنه يتذكر عمر أزهار الربيع القصير فيقول :

إيه ما ألطف الربيع ، وأبهى زهره وهو مشرف من خبائه !

---

(١) المقتطف المجلد الثمانون ، ص ٤١٢ . وليست هذه القصيدة فى ديوان « الروافد » لشكر الله الجر ، المطبوع فى البرازيل سنة ١٩٣٤ .
(٢) الأيوبيات ، ص ٩ .
(٣) الخمائل ، ص ١١٦ .
(٤) همس الجفون ، لميخائيل نعيمة ، ص ١٣ .

كشباب الفتى أنيق ولكن لهف نفسى على قليل بقائه[1]

وفى عالم الحيوان والطير نلتقى مع الشاعر رشيد أيوب وهو يصف النسر السابح فى الجو حرًّا كالنسيم [2] ، ومع إيليا أبى ماضى وهو يصور لنا « الفراشة المحتضرة » وقد علته الكآبة مما أصابها فيخاطب الرياح قائلا :

فيارياح الخريف العاتيات كفى عصفا ، فقد كثرت فى الأرض قتلاك
كيف اعتذارك إن قال الإلـه غدا : هل الفراشة كانت من ضحاياك ؟

كما نلتقى مع الشاعر إلياس فرحات وهو يصور لنا النحلة بجناحها المعجب وقد ذهبت إلى الحقل لتجمع العسل ، فإذا الحقل كله مباح لها بأزهاره ، بينما للشاعر زهرة بشرية واحدة محروم منها [3] . . . ولا يفوت الشاعر مسعود سماحة أن يقف أمام ضفدع قد نفخ أوداجه كبراً وصغاراً ، فيستخرج العظة من هذا المشهد قائلا :

وضفدع ينفخ أوداجه تكبراً ، تباً له من حقير
دعه فلن يرجع عن غيه كل صغير خلة فى الصغير[4]

إن حب الطبيعة قد جرى فى نفوس شعراء المهجر مجرى الدم فى المفاصل ، وقد عبر الشاعر القروى عن ذلك الحب عنده بقوله : « وقد يتجسم شعورى بصلة القربى بينى وبين هذه الأكوان ، فأنعطف على الشجرة أعانقها ، والصخرة أضمها ، والزهرة أناغيها ، والموجة أتقلب عليها ، وأمد ذراعى إلى السماء أحييها ، وأبعث إلى الشمس بقبلاتى على أطراف بنانى » [5]. ولعل « الغاب » هو المستراد والمسرح الذى وجد فيه شعراء المهجر جمال الطبيعة فى فطرتها ، وصفاءها ومساواتها التامة بين الأحياء . فهذا أبو ماضى يصور لنا « الغابة المفقودة » قائلا :

لله فى الغابة أيامنا ما عابها إلا تلاشيها

---

(١) ديوان محبوب الشرتونى ، طبع نيويورك ، ص ١٠٦ .
(٢) ديوان أغانى الدرويش ، ص ٤٨ .
(٣) ديوان فرحات ، ص ٥٢ .
(٤) ديوان مسعود سماحة ، ص ٢٢٦ .
(٥) ديوان القروى ، ص ح ك من المقدمة .

طوراً علينا ظل أدواحها وتارة عطف دواليها
وتارة نلهو بأعنابهـا وتارة نحصى أقاحيهـا
قد بدل الإنسان أطوارها واغتصب الطير مآويها
وفت بالبارود جلمودها واجتث بالفأس دواليها
وشاد من أحجارها قرية سكانها الناس وأهلوها[1]

وهذا إلياس فرحات يصور لنا الغابة بمساواتها بين الحيوان ، لا فرق بين كبير وصغير ، فيقول :

الغاب تجمعها من كل طائفـة تحيا الصعاليك فيها كالأساطين

وهذا ميخائيل نعيمة يكر إلى الغاب فاذا :

أشـجار الغاب تحيينا وطيور الغـاب تناجينا
وزهور الغاب تصافحنا ونصـافحها وتهنينا[2]

أما جبران خليل جبران فأنه — كما يقول نسيب عريضة — يرمى فى مواكبه إلى تأليه الغاب ، ويا له من تأليه شبيه بحبور صرف ، وطمأنينة صافية ، تشعر بها النفس المستريحة الملتجئة إلى الغاب بعد هربها من ضوضاء المدنيّة وسخافاتها ، فالغاب عنده كتاب مقدس ، كلماته تعاويذ تشفى من لذعات فلسفة الحياة[3] . . . وليس الغاب عند جبران وغير جبران من شعراء المهجر رمزاً للوطن الذى نأوا عنه كما قد يتوهم متوهم ، ولكنه دعوة الناس إلى الرجوع للطبيعة البسيطة الصافية التى لم تعقدها مطامع المدنية وسخافاتها .

إن هذه النزعة الاعتزالية عند شعراء المهجر بالرجوع إلى الغاب هى رد فعل للصدمة التى صادفوها أول هجرتهم إلى عالم هائج مائج ، يعج بضجيج الحياة وصخب العيش ، بعد ذلك الهدوء الذى كانوا غارقين فيه فى أرض الوطن . وقد اختصر نعيمة الطريق الشاق فآثر العودة إلى لبنان يلتمس الهدوء والسكينة بين مزرعة الشخروب وبسكنتا ، وترك إخوانه الشعراء فى المهجر ينفخون فى ناياتهم مع أصداء النغم الباقية من مواكب جبران ، ويرددون مع فتى الغاب قوله :

ليس فى الغابات حزن لا ، ولا فيها الهموم[4]

---

(١) الخمائل ، ص ٨٩ .
(٢) همس الجفون ، ص ٣٩ .
(٣) المواكب لجبران . ص ٩ .
(٤) المواكب لجبران .

قـــرابة الفـكر

عند شعراء المهجر

لم تجمع بين شعراء المهجر قرابة النسب العربى وحسب ، بل جمعت بينهم وهم فى دار غربتهم قرابة فكرية ، ونسب روحى ، يكاد يدنى أهدافهم وأغراضهم جميعاً من منبع واحد . وعلى الرغم من أن الشعراء كالأزهار ، لكل زهرة عبيرها ، فأن الشذى الفواح من شعر المهجر يكاد يكون من نافجة واحدة . . . ولعل الرابطة القلمية التى تكونت فى نيويورك كان لها أكبر الأثر فى هذا الائتلاف الروحى الذى يلمسه الإنسان فى شعر شعراء الشمال على الخصوص . ولقد عبر ميخائيل نعيمة عن هذه الفكرة أجمل تعبير وهو يتحدث عن الرابطة القلمية قائلا : « أما الحقيقة فلا يعلمها إلا الذى جمع عمال الرابطة القلمية فى فسحة محدودة من ديار غربتهم ، ولمحة معلومة من زمان هجرتهم ، ووضع فى صدر كل منهم جذوة تختلف عن أختها حرارة وبهاء ، لكنها من موقد واحد وإياها »(١)

ألم يقف إيليا أبو ماضى فى قصيدته « الطلاسم » يتساءل فى تلهف الذى لا يدرى شيئاً عن سر الوجود ، ونشأة الحياة ، ولغز الموت ، ومعجزة الفناء فيقول :

جئت ، لا أعلم من أين ، ولكنى أتيت
ولقد أبصرت قدامى طريقاً فمشيت
وسأبقى سائراً إن شئت هذا أم أبيت
كيف جئت ؟ كيف أبصرت طريقى ؟
لست أدرى !

إن هذه الحيرة والجهالة بسر الوجود تذكرنا بأمين الريحانى — الكاتب المهجرى النابغ — الذى شبه وجوده فى هذه الدنيا — وهو جاهل لها غير دار بها

---

(١) جبران خليل جبران ، لميخائيل نعيمة ، ص ١٧٤ .

ولا بنفسه – بفأر وجد فى قبر قديم مهجور . . . فهو يعيش فيه ، ولا يعرف من بناه ، ولا متى شيده ، ولا أيان يتهدم .

ونجد ملامح شبه قوية كذلك بين إيليا أبى ماضى ونسيب عريضة فى التشوف الحاد والتطلع العميق إلى المجهول . . . إلى نار القرى . . تلك النار الخالدة القديمة قدم إرم ذات العماد . فالناس منذ خلقوا يتشوفون إليها وهى لا تزيدهم إلا جهلا بها ، وضناً بسرها . فالشاعر نسيب عريضة يقول فى قصيدته « نار إرم » :

صاح ! قل ! هل ترى
فوق أوج الذرى
بارقـا قـد سرى
ما وراء الحـدود
تلك نار الخـلود

***

نحـو ذاك الوميض
سـر بنـا نستعيض
عن ظلام الحضيض
وشـقاء الوجـود
بسناء الوعـود (١)

والشاعر أبو ماضى يقول من قصيدته « نار القرى » وهى بعينها نار إرم عند نسيب عريضة :

كيف الوصول إليك يا نار القرى ... أنا فى الحضيض وأنت فى الجوزاء ؟
لى ألف باصرة تحن كما ترى ... لكن دونك ألف ألف غطاء
لو من ثرى مزقتها بيد الثرى ... لكنها سجف من الأضواء (٢)

وننتقل لحظة من نار القرى عند أبى ماضى وعريضة إلى مرور الزمان الخالد عند إيليا أبى ماضى ورشيد أيوب . فأبو ماضى يرقب الزمان ومروره

(١) مناهل الأدب العربى جزء ٣٠ ، ص ٩٣ ، ٩٤ .
(٢) الجداول لنعيمة ، ص ٥٨ ، ٥٩ .

فيراه يمشى متثاقلا أمام من يترقب الحاجات ، ويراه أقصر ما يكون أمام المجدود المقضى الحاجات . ويرى نفسه فى خضم الزمان كموجة فى بحر زاخر :

أنا فى الزمان كموجة فى زاخر أنا فيـــه إن يزبد وإن لم يزبد
مهما تلاطم فهو ليس بمغرقى أو مخرجى منـــه ولا بمبددى
هيهات ما أرجو ولا أخشى غدا هل أرتجى وأخاف ما لم يوجد ؟ (١)

ورشيد أيوب يستخبر البحر المائج عن مرور الزمان فيقول :

وجئت إلى البحر عند المسا وللموج عندى غرام شديد
فقلت بربك ماذا عسى تقول ففسّر معانى النشيد
فقال : أأنت عديم البصر فأنى أحيى مرور الزمان (٢)

وهناك فكرة « التمنى » التى تشقينا فى الحياة وتجعلها جحيما لا يطاق . فهذه الرغائب المتناقضة للمعانى المتقابلة فى الحياة هى سر شقائنا . . . ألا يتمنى الوحيد أن يكون محاطاً بالناس ، فأذا تحققت أمنيته تمنى ثانية لو عاد وحيداً ؟ ألا يتمنى الخلى لو كان مضنى بالحب ، فأذا وقع فى أسر الغرام تمنى لو كان حراً ؟ . وهكذا يمتد حبل التمنى بالناس فى الحياة إلى « الدور » المنطقى الذى لا ينتهى . . . وقد التقى أبو ماضى ونعيمة عند هذه الفكرة لقاء طويلا جميلا فى قصيدتيهما « الأسطورة الأزلية » ، و « حبل التمنى » حيث يقول الثانى :

نتمنى ، وفى التمنى شـــقاء
وننـــادى ياليت كانوا وكنا
ونصـــلى فى سرنا للأمانى
والأمانى فى الجهر يضحكن منا..

أما أبو ماضى فقد جمع فى أسطورته الأزلية بين الفتى والشيخ ، والحسناء والجارية ، والفقير والغنى ، والأبله والأريب ، فلم يرض كل منهم بحاله ، فلما أدرك ضدها تمنى لو عاد إلى حالته الأولى ، وتختم الأسطورة الخالدة بهذا المقطع :

---

(١) الجداول ، ص ٤٨ .
(٢) ديوان أغانى الدرويش لرشيد أيوب . طبع نيويورك ، ص ٦٦ .

لما وعى الله شكايا الورى قال لهم : كونوا كما تشتهون
فاستبشر الشيخ ، وسر الفتى والكاعب الحسناء ، والحيزبون..
لكنهم لما اضمحل الدجى لم يجدوا غير الذى كانا (١)

وسنعرض فى فصل مقبل الخطوط الكبرى التى يلتقى عندها شعراء المهجر فى فلسفتهم وتأملاتهم فى الحياة ، وإدراكهم لفكرة الوجود ، وموقفهم من الخير والشر ، ومن التفاؤل والتشاؤم ، والشك واليقين ، والإيمان بالقدر ، والثورة على القضاء .

إلا أننا لا نجد هنا بأساً من الإشارة إلى افتنانهم فى توليد المعانى الطريفة وإلباسها ثوباً من الفن البيانى الذى يكاد يطبع شعرهم بطابع خاص . وتوليد المعانى ليس جديداً فى الأدب العربى ، فهو قديم منذ كانت الفكرة تتولد فى نفس الشاعر أو المفكر أو الأديب ثم تتجدد على مرور الزمن ، فيتابعها علماء النقد البلاغى نمواً وسمواً وتطوراً ، كما نرى عند أبى هلال العسكرى فى كتابه « ديوان المعانى » ، وكما نرى عند ابن الأثير فى كتابه « المثل السائر » .

ولا شك أن شعراء المهجر كان لهم فى المعانى المولدة الطريفة ما يحمل معه أثر البيئة التى عاشوا فيها ، والثقافة الأجنبية الأمريكية التى لم يكونوا عنها بمعزل ... فأبو ماضى يصور لنا « المجنون » وهو ناظر إلى السماء مطيل النظر إليها :

كأنما يخشى على الهلال وسائر الشهب من الزوال (٢)

وإلياس فرحات يصور لنا نفسه فوق الخضم مهاجراً ساهراً :

هائم شفه الهيام ساهر والورى نيام
كل من راقب الظلام ظن عينيه كوكبين
تائهين (٣)

ومسعود سماحة يصور لنا الكلمات وقد استعصت على المتكلم من أثر خطب نازل فيقول :

---

(١) الخمائل ، ص ١٢٧ .
(٢) الجداول لأبى ماضى ، ص ٥٤ .
(٣) ديوان فرحات . طبع البرازيل ، ص ١٤٩ .

أما اهتززت لخطب حار واصفه كأنما سمرت فى جوفه الكلم[1]

وتسمير الكلمات هنا يذكرنا بثبات النجوم فى ليل امرىء القيس الطويل، كأنها مشدودة إلى جبل « يذبل » بحبل شديد الفتل :

فيالك من ليل كأن نجومه بكل مغار الفتل شدت بيذبل

والشاعر شفيق معلوف يصف لنا عين شيطان الشاعر فى ملحمة عبقر :

كأنما محجرها كوة يطل منها الزمن الغابر[2]

والشاعر إيليا أبو ماضى يرينا نفسه عالى المكان وإن كان الغبى يرى أنه دونه ، فيتحفنا بمعنى جديد حين يقول :

أنا من ضميرى ساكن فى معقل أنا من خلالى سائر فى موكب
فأذا رآنى ذو الغبـــاوة دونه فكما يرى فى الماء ظل الكوكب[3]

على أن أطرف افتنان لصورة معنوية هو ما صوره لنا أبو ماضى حين ظن أنه لما بعد عن الناس فى القفر قد تخلص منهم فأذا الناس كلهم فى ثيابه ... فهو إنسان غارق فى بحار الرغائب البشرية ، حتى ولو بقى وحيداً :

علمتنى الحيـــاة فى القفر أنى أينما كنت ســـاكن فى التراب
وسأبقى ما دمت فى قفص الصلـ صال عبد المنى أســـير الرغاب
خلت أنى فى القفر أصبحت وحدى فاذا النـــاس كلهم فى ثيابى[4]

---

(١) ديوان مسعود سماحة . طبع نيويورك ، ص ١٠ .
(٢) عبقر . طبع سان باولو بالبرازيل . ص ١٤٨ .
(٣) الجداول ، ص ٦٣ .
(٤) الجداول ، ص ٣١ .

تأملات وسبحات

لم يشغل ضجيج الآلة فى العالم الجديد شعراء المهجر عن ذلك النظر البعيد العميق إلى ما وراء الستار من أسرار ، ولم يصرفهم عن ذلك التأمل والتفكير فى الحياة وفى ألغازها التى لم تصادف إلى اليوم حلا لها . وعلى الرغم من أن إيليا أبا ماضى يقول فى قصيدته « المساء » :

إن التأمل فى الحيـ ـاة يزيد أوجاع[1] الحياة

فإنه من أكثر شعراء المهجر تأملا وإدامة نظر وسؤالا عن المجهول ، وخاصة فى قصيدته « الطلاسم » .

ولقد فكر شعراء المهجر — شمالا وجنوباً — فى كل شىء فى هذا الكون الغامض العجيب ، وأطلقوا العنان لخيالاتهم وتأملاتهم وأسئلتهم التى قد يلفها الشك أحياناً فى غلائله . فكروا فى « الله » الكبير العظيم ، وفكروا فى الشىء الصغير حتى الدودة التى يخاطبها نعيمة قائلا :

تدبين دب الوهن فى جسمى الفانى وأجرى حثيثاً خلف نعشى وأكفانى

ويعقد موازنة بينها وبين أعظم الكائنات قدراً ، فيرى أنها ليست فى نظر الحياة أقل قدراً من النسور والعقبان . . . لأن الحياة لاتعرف التفرقة بين الكائنات.

إن مسائل كثيرة فى الحياة قد أقلقت شعراء المهجر وبلبلت بالهم . فقد تساءلوا عن الوجود مبدأ وانتهاء ، وعن النفس حدوثاً وفناء ، وعن الزمان وقوفاً وانقضاء ، وعن الحياة سعادة وشقاء ، وعن درب الحياة خشية ورجاء . . . كما تساءلوا عن أعمالنا : أنحن مجبورون عليها أم مخيرون فيها ؟ وعن الموت : أهو ذلك الحادث الشنيع الذى يخافه الناس ، أم هو جمال ، وتخلص من الأغلال ؟ وتساءلوا عن الخير والشر فى الحياة : أهما ضربة لازب لا يقوم أحدهما إلا بصاحبه ، فلولا الخير ما عرف الشر ، ولولا الحسن ما كان القبح ؟

وقد تكون فلسفة شعراء المهجر أمشاجاً من فلسفة الشرق والغرب ، ولعل

---

(١) الجداول . ص٣٧ .

منهم من تأثر بشاعر كأبى العلاء المعرى وهو يسأل عما بعد الموت من بعث وحشر ، أو بفيلسوف كابن سينا وهو يسأل عن « النفس » تلك الورقاء التى هبطت إلى الإنسان من محلها الأرفع فى السماء ، فلبست جسده الذى سيدركه البلى والدثور ، ثم تعود بعد ذلك إلى « الحمى » أو إلى « نار القرى » ، التى كان يتطلع إليها الشاعران إيليا أبو ماضى ونسيب عريضة . وقد نجد للشك عند شعراء المهجر أصولا عند فلاسفة الغربيين ، كما نجد له بعض الأصول فى شك أبى العلاء المعرى ، ولكنه على كل حال نغمة نجدها دائرة عند أكثرهم ، فأبو ماضى يقول فى قصيدة « الدمعة الخرساء » :

حامت على روحى الشكوك كأنها ... وكأنهن فريسة وصقور
ولقد لجأت إلى الرجاء فعقنى ... أما الخيال فخائب مدحور
يا ليل ! أين النور ؟ إنى تائه ... مُرْ ينبثق ، أم ليس عندك نور ؟[1]

ونسيب عريضة يقول فى إحدى « رباعياته » :

شربت كأسى أمام نفسى ... وقلت : يا نفس ما المرام ؟
حياة شك ، وموت شك ... فلنغمر الشك بالمدام ...[2]

وإلياس قنصل لا يجد حتى فى الضياء مسعفاً لإزالة شكوكه ، فيأمر نفسه أن تطفىء السراج قائلا :

يا نفس لن تجدى السبيل ، فأطفئى ... هذا السراج فما الضياء بمسعف
ما زلت أبحث ممعناً فى حيرتى ... وأجدُّ خلف الوهم جد تلهف
حتى رجعت إلى الشكوك مصدعا ... ورأيت أنى مصدر السر الخفى[3]

أما لغز الحياة والموت فقد حيرا شعراء المهجر ، كما حيرا الناس من قديم الأزمان والآباد . . إلا أن الموت عند فريق كبير من شعراء المهجر هو نقلة إلى عالم آخر وإلى حياة أخرى ، كما يقول رشيد أيوب :

ما ضر نفسى والحياة مضت ... فإلى حياة غيرها تمضى

---

(١) الخمائل ، ص ١٦ .
(٢) مناهل الأدب العربى ج ٣٠ ، ص ٥٣ .
(٣) مجلة المقتطف . المجلد ٨٧ ، ص ١٨٧ .

بل رآه صاحبنا جمالا فى قصيدته « جمال الموت »[1] . كما رآه نعيمة حفظاً لجوهر الحياة فى قصيدته « أوراق الخريف » :

عودى إلى حضن الثرى وجددى العهود
وانسى جمالا قد ذوى ما كان لن يعود
كم أزهرت من قبلك وكم ذوت ورود
فلا تخافى ما جرى ولا تلومى القدرا
من قد أضاع جوهرا يلقاه فى اللحود
عودى إلى حضن الثرى [2]

ولقد رحب الشاعر الدكتور جورج صوايا بالموت لأنه خلاص من شقاء الحياة فقال :

أيها الواجف من طيف الممات
ينشد الغبطة فى طول البقاء
ليس — لولا الموت — فى الكون حياة
فتوجه صامتاً نحو السكون
إن فى طول البقا طول الشقاء
فانبذ العيش ورحب بالمنون [3]

وهو هنا فى هذه الفكرة يلتقى مع الشاعر مسعود سماحة حيث يقول :

نعنو له متهيبين ، وليتنا نعنو لسطوته بدون تهيب
فالموت مرقاة النفوس لربها وهنا يزول شقاء جسم المتعب[4]

ولا بأس أن نودع الموت هنا لنستقبل الحياة عند شعراء المهجر ، فأبو ماضى يوجز لنا فلسفة للحياة تتلخص فى خلق الطرب من دواعى الحزن ، وفى تهوين مصاعب الحياة بترك مطالبها :

---

(١) الأيوبيات ، ص ٥٠ .
(٢) همس الجفون ، ص ٤٥ .
(٣) همس الشاعر . طبع بونس إيرس بالأرجنتين ، ص ٩٨ .
(٤) ديوان مسعود سماحة . طبع نيويورك ص ٧٩ .

أنا من قوم إذا حزنوا وجدوا فى حزنهم طربا
وإذا ما غاية صعبت هونوا بالترك ما صعبا (١)

ولهذا تراه يدعو إلى انتهاب السعادة السانحة من الحياة ، وأخذ ما حلا من زمانه قائلا :

يريد الحب أن نضحك فلنضحك مع الفجر
وأن نركض فلنركض مع الجـدول والنهر
وأن نهتف فلنهتف مع البلبـل والقمرى
فمن يعلم بعـد اليوم ما يحدث أو يجرى ؟(٢)

ويشاركه نعيمة فى هذه النغمة ، نغمة التمتع بلذات الحياة قائلا :

يا رفيقى رفيق جسمى وروحى وشريكى فى نعمتى وشقائى
قل رأينا طهـارة وجمـالا لا فسادا فى صنع رب السماء
فأبحنا للنفس كل مناهـا وتركنـا الحرام للفقهاء (٣)..

والحياة عند نعيمة لا تسمع شكوانا ولا تعى لصراخنا ، فلماذا نذمها والذم لا ينفعنا ؟ إن عدل الأيام هو فى أنها لا ترى غالباً ولا مغلوباً ، ويستوى أمام عينيها بكاء الباكى وابتسام الباسم :

ذمك الأيام لا ينفعكْ فهى لا أذن لها تسمعك
عندها سيان يا صاحبى نغمة الهازج والنـادب
وابتسام الطفل فى مهده وانتحاب العاجز الخائب
عدلها فى أنهـا لا ترى حال مغلوب ولا غالب
ذمك الأيام لا ينفعك إنما الأيام لا تسمعك(٤)

وعند فريق من شعراء المهجر نزوع إلى « المشاهدة » الصوفية التى هى وليدة المجاهدة فى سبيل الاتصال بالله ، أو بلوغ الكمال من رحلة الحياة ،

---

(١) الجداول ، ص ١٦ .
(٢) الجداول ، ص ١٩ .
(٣) همس الجفون ، ص ٧١ .
(٤) همس الجفون ، ص ٧٣ .

فالشاعر عريضة يدعو إلى الانفلات من عالم الحدود عسى أن يرى فى السماء دربا يسير فيه ولا يعود :

قم نتخذ للمنى جناحا يطير من عالم الحدود
عسى نرى فى السماء دربا نسير فيه ولا نعود (١)

وهذه النزعات والرغبات الصوفية تظهر بكثرة ووضوح فى شعر إيليا أبى ماضى ونسيب عريضة ورشيد أيوب وإلياس فرحات ، كما تظهر عند الريحانى وجبران فى شعرهما المنثور . ولعل هذا التشوف الصوفى راجع إلى مزاج خاص عند هؤلاء الشعراء ، أو إلى فكرة ألفت بينهم فى مهجرهم ، فنصبوا الخيال والشعر للانتصار لها ، أو إلى تأثر بأفكار علائية أو خيامية أو حلاجية راحوا يعرضون قديمها فى ثوب جديد ، وأكثروا من ترداد أنغامها حتى صارت طابعاً متميزاً فى أشعارهم . فقد اتهم إلياس فرحات عند ما نشر باعياته بأنه سرق أفكار أبى العلاء المعرى ونشرها باسمه . . . ولقد دافع فرحات عن نفسه بأنه لم يقرأ « اللزوميات » التى هى موضع الاتهام ، وإن كان لم ينكر أنه قرأ ديواناً للمعرى غير اللزوميات ! ! (٢) .

والحياة فى رأى إيليا أبى ماضى تتجدد على الدوام فى الأحياء الذين يولدون كل يوم على أنقاض الأجسام الفانية . . . وأين الفناء الفردى من ذلك الخلود الدائم للكون بأسره ؟

أنت جزء من الكيان ، وفيه كثراه ، كنبته ، كحصاه
كالورود التى تحب شذاها والبعوض الذى تخاف أذاه
ما لحى بالموت عنه انفصال إن دنياه هذه أخراه (٣)

أما النفس التى تلبس أجساد الأحياء ، فأنها لا تفنى بمفارقة الجسد ، ولكنها تظل فى الفضاء « تجوس الديار ولا تنزل » . وما الغابرون الذاهبون

---

(١) مناهل الأدب العربى ، ج ٣٠ ، ص ٨٧ .
(٢) ديوان إلياس فرحات ، ص ٢٣٤ .
(٣) الجداول ، ص ٦٤ .

إلا حاضرون متجددون متمثلون فينا . فى الهواء الذى ننشق ، وفى الشراب . الذى نشرب :

من البحر تصعد هذى الغيوث وتهطل فى البحر إذ تهطل
همُ فى الشراب الذى نحتسى وهمْ فى الطعام الذى نأكل
وهمْ فى الهواء الذى حولنا وفيما نقول وما نفعل

بين الضحك والبكاء

تسمع فى شعر شعراء المهجر نغمات شاكية حزينة يخيل إليك فيها أنهم يرون الحياة شقاء وظلاماً . فهذا الشاعر رشيد أيوب يطلقون عليه فى المهجر اسم « الشاعر الشاكى » (١) لكثرة ما أطلق من أنغام الأسى والشكوى فى شعره ، وهذا الشاعر نسيب عريضة يردد الشكوى من الحياة فى أغلب قصائده ، حتى ليعجب فى النهاية من قلمه الذى كأنما خلق لشكوى الأسى والألم :

أوه ! ألم يكتب لهـــذا القلم ... إلا بأن يشكو الأسى والألم ؟
يا قلمى الشارب خمر الشـــجى ... والمسمع الطرس صرير النقم
من أى غصن قصك المبترى ... من أى غيم قد سقتك الديم ؟
نشأت نعّابا ، فلا غرو أن ... تحسب أن النعب كل النغم (٢)

وهذا الشاعر فرحات وقد حول صراع العيش أنغامه إلى نفثات من الشكوى يقول :

يا عيد عـــدت وأدمعى منهلّة ... والقلب بين صوارم ورماح
والصدر فارقه الرجاء فقد غدا ... وكأنه بيت بلا مصباح
يمشى الأسى فى داخلى متغلغلا ... بين العروق كمبضع الجراح (٣)

وهذا الشاعر الشاب الغض الشباب رياض معلوف يشكو سهام الزمان وقد أنشبت فى لحمه وأضلاعه فيقول :

جرب الدهر فىّ كل الرزايا ... آه من دهرىَ العقيم الغشـــوم
فجراحى الحمراء ملء ضلوعى ... أى سهم لم يصم منى صميمى؟(٤)

ولم ينفرد رياض المعلوف وحده من بين أشقائه بالشكوى ، فأن شقيقه

---

(١) الناطقون بالضاد فى أمريكا ، ص ٤٠ .
(٢) مناهل الأدب العربى ، ج ٣٠ ، ص ٩٥ .
(٣) ديوان فرحات ، ص ٦٢ .
(٤) ديوان الأوتار المتقطعة لرياض معلوف . النشيد الرابع .

المرحوم فوزى ، وشفيق المعلوف تشيع أنات الأسى والحزن والتشاؤم فى أشعارهما. كأن الأنين ميراث هؤلاء الإخوة الملهمين . . . ويبدو التشاؤم على أكثره فى قصيدة « شاعر فى طيارة » لفوزى المعلوف [1] حيث يقول عن الإنسان :

هو من عالم التراب . . ولكن شأنه غير شأن أبناء جنسه
سكن الأرض مرغماً، وهو لو خيـ ـر ما اختار غير ظلمة رمسه

وحيث يقول أيضاً :

هو يحيا للشر فالشر يحيا أبدا حيث حل شؤم ركابه

وتعد أنشودته « رمز الألم » فى القصيدة نفسها تعبيراً حزيناً عن آلام الحياة وشقائها ، فهى عصارة قلب ذوبته المآسى . وما كاد الشاعر يظفر بسعادة خاطفة فى السماء محلقاً بالطائرة حتى هبط إلى الأرض مثوى الشقاء ، ومثار البكاء.

أما ميخائيل نعيمة فقد حاول أن يدفن « همه » فى الصباح ، فبدا له الكون سعادة وسلاماً، ولما جاء المساء عاودت القلب شكواه ومخاوفه وهمومه، لا لشىء إلا أنه خائف أن الهم المدفون سيعود ليقوم يوم القيامة . . . كأننا من خوف الهم فى هم مقيم [2] .

ولكن على الرغم من هذه النغمة الشاكية والنظرة المتشائمة إلى الحياة فى كثير من شعر المهجر فأننا نراهم مقبلين على الحياة داعين لها ، آخذين من الزمان ما يأتى الزمان به ، مغنين على الرغم من ترقرق الدموع فى مآقيهم .

فهذا إيليا أبو ماضى يقول :

الشجاع الشجاع عندىَ من أمـ سى يغنى والدمع فى الأجفان [3]

وهو يدعونا إلى أن نقرر فكرة « الغبطة » والسعادة فى أذهاننا لنعيش سعداء :

أيها الشاكى الليالى إنما الغبطة فكرة
ربما استوطنت الكـ وخ وما فى الكوخ كسرة

---

(١) انظر القصيدة فى المقتطف جزء ديسمبر سنة ١٩٢٩ ، و فى كتاب « شاعر الطيارة » للبدوى الملثم . طبع دار المعارف بمصر.

(٢) انظر قصيدة « الهم » فى ديوانه « همس الجفون » ص ٨٢ .

(٣) الخمائل ، ص ٦١ .

وخلت منها القصور الـ ـعاليات المشمخرة
تلمس الغصن المعرّى فاذا فى الغصن نضرة
وإذا رفت على القفـ راستوى ماء وخضرة
لك ـ ما دامت لك ـ الأر ض وما فوق المجرة
فاذا ضيعتها فال كون لا يعدل ذرة[1]

ثم يدعونا فى قصيدة أخرى إلى أن نبتسم فى الحياة لتبتسم الحياة لنا :

ليس أشقى ممن يرى العيش مرا ويظن اللذات فيه فضولا
أحكم الناس فى الحياة أناس عللوها ، فأحسنوا التعليلا
أيهذا الشاكى وما بك داء كن جميلا تر الوجود جميلا [2]

وأجمل ما فى إيليا أبى ماضى هو تلك الكبرياء المترفعة التى تأبى أن تشكو أو أن يراها غيرها مغرورقة الدموع . فهو يضحك للناس ، ويبكى لنفسه ويقول :

ولكنى امرؤ للناس ضحكى ولى وحدى تباريحى وحزنى
وتأبى كبريائى أن يرانى فتى مغرورقاً بالدمع جفنى
فأستر عبرتى عنه لئلا يضيق بها وإن هى أحرقتنى
أقول لكل نوّاح : رويدا فان الحزن لا يغنى ويضنى ...
وجدت الدمع بالأحرار يزرى فليت الدمع لم يخلق بجفن [3]

ولا شك أن لعامل الوراثة أثراً فى طبيعة التشاؤم والتفاؤل . فقد كان أبو الشاعر إيليا أبى ماضى متفائلا يكتم بكاءه عن الناس وينشر فيهم ضحكه . ولقد رثاه ابنه الشاعر قائلا :

وكنت ترى الدنيا بغير بشاشة كأرض بلا ماء ، وصوت بلا لحن
فما بك من ضر لنفسك وحدها وضحكك والإيناس للجار والخدن[4]

ولعل هذا هو السبب فى شيوع نغمة الضحك والإيناس والجمال فى شعر إيليا . . .

---

(١) الخمائل ، ص ٩٨ .
(٢) الاتجاهات الأدبية فى العالم العربى الحديث . للأستاذ أنيس المقدسى ج ٢ ، ص ٩٨ .
(٣) الخمائل ، ص ٢٧ ، ٢٨ .
(٤) الخمائل ، ص ٦٢ ، ٦٣ .

ولقد أراح لفيف من شعراء المهجر أنفسهم حين نظروا إلى وجهى الحياة فرأوا أن لا بد من الحالين ، وتجرع الكأسين . . . ومقطوعة « زمان الخريف » للشاعر رشيد أيوب هى أصدق مثال لهذه النظرة حين يقول :

أحب الشتاء لأن له ضباباً كهمى ، ثقيلا ، كثيف
وأهوى الربيع فأنفاسه دواء لجسمى العليل الضعيف
وأصبو إلى الصيف مستأنسا بوحشة ليلى الطويل المخيف
وتشتاق نفسى الخريف وقد تجنى علىّ زمان الخريف
فيادهر هل فيك مثلى فتى يلاقى الرزايا بوجه لطيف؟ (١)

ونرى الشاعر مسعود سماحة يحثنا طويلا على الأمل الحلو الجميل الذى يعيننا على الحياة ، ويجعل عدم اليأس ضرباً من الفتوة والرجولة ، فيقول :

إذا هزتك آفات الليالى وأمسى عبء همك كالجبال
وصرت بلا صديق أو موالى ولم تيأس فأنت فتى الرجال (٢)

ويمضى فى القصيدة يعد لنا ضروباً من شقاوات الحياة ويدعونا إلى استقبالها بوجه الأمل الضحوك . . أما قصيدة جبران خليل جبران وعنوانها « المواكب » فهى حوار فلسفى بين شيخ يرى الحياة بطرفه المتشائم وتجاريبه الكثر ، وبين فتى ينظر إلى الدنيا بعين ملؤها الجذل والتفاؤل (٣) .

وأطرف ما فى قضية التشاؤم والتفاؤل فى شعر المهجر أن الشاعر إلياس فرحات ظل يشكو وينظر إلى الدنيا نظرة سوداء زماناً طويلا ، ولكنه أدرك بأخرة أن الهم لا يجدى ما دام كل شىء إلى زوال ، فاطمأن بعد طول السرى فى طريق التشاؤم ، واستقبل الدنيا بوجه جديد يغنى ويقول :

وما يجدى اهتمام الناس شيئا فليس على الثرى شىء يدوم
وقهر الدهر ليس يكون إلا بترك الدهر يفعل ما يروم (٤)

---

(١) الأيوبيات . طبع نيويورك سنة ١٩١٦ ، ص ٥٤ .
(٢) ديوان مسعود سماحة ، ص ٨٨ .
(٣) المواكب لجبران خليل جبران ، ص ٨
(٤) ديوان فرحات ، ص ١٩٦ .

وهذه النظرة المستسلمة المؤمنة بالحق فى الحياة هى التى أوحت للدكتور أحمد زكى أبى شادى بعد عام واحد من هجرته إلى العالم الجديد أن يقول :

طغى كل يوم مأتم بعـــد مأتم ونفسى تأبى أن ترى الكون مأتما
وما ندمت يوماً على ما أصابها من الحيف مهما ذوقت منه علقما
إذا عرف الأحرار حمـــل بلائهم فما عرف الأحرار بعـــد التندما
ومهما شكوا كانت شكاة قلوبهم وفاء لمعنى ، أو رجاء تلثما
وقد آمنوا بالحق ينصر آخرا وإن دوخ الظلم البرية واحتمى
وما زلت تغزونى المآسى كأننا صحاب ، وتهوانى شراباً ومطعما
بلا كلفة تحيا على بر مهجتى فآثرت أن أفنى وأن أتبسما (١)

نعم يا أبا شادى ! فليس مثل الابتسامة الجميلة تهون علينا وعورة الدرب الطويل . . .

السعادة فى الحياة

وتتصل بنظرة التفاؤل فى الحياة فكرة السعادة فيها ، ويستطيع المرء أن يجعل نفسه سعيداً فى عالم يدور أكثر ما فيه على الشقاء والبكاء . وقد أخذ الشاعر القروى « رشيد الخورى » يفتش جاهداً عن السعادة فى قصيدته « أين السعادة » فلم يجد لها مكاناً (٢) ، بينما الشاعر « إيليا أبو ماضى » يراها «فكرة » ، ولا وصول لعرشها إلا على أجنحة الوسواس . . . والخيال . فهو يتصيدها فى الوهم إن لم يدركها فى الواقع . . ويقول :

وأرى السعادة لا وصول لعرشها إلا بأجنحة من الوسواس
فاصبغ رؤاك بها تعـــد ذهبيةً عطرية الألوان والأنفـــاس
للقصر يخلقه خيالك روعة كالقصر من جدر ومن آساس (٣)

وقد نتوهم أن السعادة فى القصور وحدها ، ولكن إلياس فرحات يقول لنا :

إن السعادة فى القصور أقل منها فى الخيـــام (٤)

---

(١) ديوان من السماء . طبع نيويورك . ص ١١٧ .
(٢) ديوان القروى ، ص ١٢٤ .
(٣) الخمائل ، ص ٤٣ ، ٤٤ .
(٤) ديوان فرحات ، ص ٤٦ .

ولهذا رضى رشيد أيوب بأيسر عيش فى كوخه الذى يشبه الجنان :

إن جن ليـــلى أناجى أو ذرّ فجرى أغنى
بلى وربة شـــعرى كوخى كجنة عدن[1]

أما ميخائيل نعيمة فيرى الطمأنينة سر السعادة فى الوجود ، فهو لا يبالى عصف الرياح ، ولا قصف الرعود ، لأن بيته من طمأنينة النفس ذو ركن شديد :

سقف بيتى حديدْ ركن بيتى حجرْ
فاعصفى يا رياح وانتحب يا شجر
واسبحى يا غيـــوم واهطـــلى بالمطر
واقصفى يا رعـــود لست أخشى خطر
باب قلبى حصين من صنوف الكدر[2]

والحق أن السعادة حيرت الناس فى معناها ، فأن ما يسعد أحداً من الناس قد يشقى غيره ، على حد ما قال الشاعر القديم : مصائب قوم عند قوم فوائد ... ولكن لم يصور لنا شاعر هذه الحيرة فى إدراك السعادة واكتناه سرها كما صورها أبو ماضى فى قوله :

قلت : السعادة فى المنى فرددتنى وزعمت أن المرء آفته المنى
ورأيتُ فى ظل الغنى تمثالها ورأيتَ أنت البؤس فى ظل الغنى
مالى أقول بأنهـــا قـــد تقتنى فتقول أنت بأنها لا تقتنى
وأقول : إن خلقت فقد خلقت لنا فتقول : إن خلقت فلم تخلق لنا
وأقول : إنى مؤمن بوجودها فتقول : ما أحراك أن لا تؤمنا !
وأقول : سر سوف يعلن فى غد فتقول : لا سرٌّ هناك ولا هنا
يا صاحبى ! هـــذا حوار باطل لأنت أدركت الصواب ، ولا أنا[3]

---

(١) أغانى الدرويش . طبع نيويورك ، ص ٣٥ .
(٢) همس الجفون . لنعيمة ، ص ٦٦ .
(٣) الجداول ، ص ٧٨ من طبعة نيويورك .

بين الحب والحرب

يفيض الحب عند شعراء المهجر أنغاماً مشتقة من الحب الإلهى الذى يغمر الكون بالضوء والسلام . فهم قد رفعوا الحب من ملابسات الجسد إلى مراتب الروح التى هى دنيا أسمى من دنيا الحقائق . . . ويؤكد لنا أبو ماضى أنه قد وصل بالحب إلى نفسه ، وأنه قد عرف الله بالحب . فيقول :

إن نفساً لم يشرق الحب فيها هى نفس لم تدر ما معناها
أنا بالحب قد وصلت إلى نفـ سى ، وبالحب قد عرفت الله (١)

والحب هو الذى يفتح لنا رحاب الكون ، ويضىء لنا ظلامه ، ويجعل الكوخ كوناً نيرا ، وهو الذى ينفح الزهرة بالعطر ، ويغمر البدر بالضياء . وما سواد الليل ، ولا جفاف البيد ، ولا لذعات الشوك إلا لأنها لم تعشق ولم تحب . لأنها لو أحبت لمنحت العالم ضوءاً وخصباً وزهراً . . . والحب يوقظ الشعور ، وما المرء — لولا الشعور — إلا دمية جامدة . ويعبر أبو ماضى عن ذلك كله بقوله :

أحْبِبْ فيغدو الكوخ كوخاً نيرا وابغض فيمسى الكون سجناً مظلما
ما الكأس لولا الخمر غير زجاجة والمرء لولا الحب إلا أعظما . .
كره الدجى فاسود إلا شهبه بقيت لتضحك منه كيف تجهما.
لو تعشق البيداء أصبح رملها زهراً ، وصار سرابها الخداع ما(٢)

والحب لا يكون إلا عن فهم ، ولا يوجد إلا بعد معرفة ، فلا تنتظر من الجاهل محبة ، لأن المرء لا يحب حتى يفهم :

لا تطلبن محبة من جاهل المرء ليس يحب حتى يفهما

ولو فهم الناس بعضهم بعضاً ما قامت بينهم حرب ، ولأظلهم الحب فى أهنأ أفيائه . والحب الحقيقى هو الذى يقدم إلى المحبين والمبغضين على حد

---

(١) الخمائل ، ص ٢٤ ، ٢٥ .
(٢) أى ماء . والقصيدة فى ديوان الخمائل ، ص ٥٠ .

سواء . ألم يدع السيد المسيح عليه السلام إلى أن نحب حتى أعداءنا ؟ فلنحب حتى ولو عاد حبنا إلينا بغضاً كما يقول الشاعر ميخائيل نعيمة :

قدمت حبي لمبغضيـــا
لقـــاء ما قد جنوا عليا
فكان حظي من مبغضيا
أن عاد حبي بغضا إليا

وأجمل الحب ما كان خالصاً لا يشوبه غرض ، ولا تقوده حاجة ، ولا يغرنك كثرة صور الحب في الناس ، فهي كالعشب لا يزهر ولا يثمر ، كما يقول الشيخ الحكيم في قصيدة « المواكب » لجبران :

والحب في الناس أشكال وأكثرها كالعشب في الحقل لازهر ولاثمر
والحب إن قادت الأجسام موكبه إلى فراش من الأغراض ينتحر[1]

هذا هو الحب بمعناه الرحيب في شعر المهجر ، فهو الذي يسع الكون ، ويعطف على المحروم ، ويمسح دمعة المحزون ، ويعفو عن سيئة المسيء ، وينفح بالشذى حتى أنوف حاسدينا . وهنا نقول مع الشاعر رشيد أيوب :

وإذا عيني رأت أعمى فقير في طريق باسطاً إحدى يديه
دقّ قلبي دقة العطف الكثير لضرير ضاقت الدنيا لديه
ثم ناد الله كالطفل الصغير ضع إلهي نظراً في مقلتيه
إن قلبا ملؤه الحب الصحيح دق حتى رق من فرط الشعور
هو حي ، ولئن زار الضريح دُق يا قلبي إلى يوم النشور[2]

---

(١) المواكب لجبران خليل جبران ، ص ٢٢ .
(٢) أغاني الدرويش . طبع نيويورك ، ص ٨٠ .

القصـة

فى شـــعر المهجر

ما بنا حاجة إلى أن نتتبع فى هذا المقام نشأة القصة الشعرية فى الأدب العربى ، فليس هذا مجال حديث قد يخرجنا عما نحن بسبيله من تتبع القصة فى شعر المهجر . ولم تخرج القصة فى شعر العالم الجديد عن النطاق الذى يلم أطرافها فى الشعر العربى بالعالم القديم . وإذا كنا هنا — فى عالمنا القديم — نلتقى بطائفة من القصص الشعرية لأمثال خليل مطران ، وشبلى الملاط ، ومعروف الرصافى ، وحافظ إبراهيم ، وإلياس أبى شبكة . وخير الدين الزركلى ، وخليل شيبوب ، وبشارة الخورى وغيرهم ممن يمنعنا خوف الإطالة والخروج عن القصد من ذكرهم ، فأننا نلتقى مع طائفة من شعراء المهجر بطائفة من القصص الشعرية التى تمشى مع ذلك القصص عندنا فى درب واحد . . . فللشاعر إلياس فرحات قصة شعرية عنوانها « كل حر فى دولة الظلم جان » ، وهى تدور حول حوادث غرامية وطنية حدث بعضها ، وتخيل الشاعر حدوث بعضها الآخر[1] ، وله قصة أخرى عنوانها « الشهيدان » تصور الموت فى الحب وتجعله خلوداً لا فناء ، ويفتتحها الشاعر بهذا المقطع :

كل من دب على الأرض إلى الأرض يعود
فسهام الموت تصمى كل أبنـــاء الوجود
غير أن الموت فى الحب حيـــاة وخلود
فالذى لم يسد الحب عليه لا يسود[2]

وللشاعر رشيد أيوب قصة « الشيخ والفتاة » ، ومدارها فتاة نكبها الدهر بموت حبيبها فألقت بنفسها فى أحضان نهر لعلها تلحق بحبيبها[3] . أما قصته

---

(١) ديوان فرحات . طبع البرازيل ، ص ٢١٤ .
(٢) ديوان فرحات ص ٩١ .
(٣) الأيوبيات ص ١٥ .

الشعرية الأخرى « ابنة الكوخ » فتدور حول فتاة نماها الريف بطهره حتى غدت زهرة بين زهرات الحقول ، وهام بها فتى فقير وهامت به .. إلا أنها فى إحدى جولاتها بين الحقول وقعت عليها عين غنى فأغراها ومناها بسكنى القصور وكره إليها حياة الكوخ . . حتى صدقت وعده وتركت أهلها ومحبها الفقير ، وتمضى الليالى فاذا عاشقها الغنى يصرف هواه إلى غيرها ، فيتولى الفتاة سقام ونحول ويخبو نور عينيها ، وتنتهى القصة هذا الختام الفاتر (١).

وقد اتجه بعض شعراء المهجر إلى نظم حكايات على أمثال حكايات « لافونتين » وخرافات « إيسوب » . فهذا الشاعر إيليا أبو ماضى ينظم لنا خرافة « العير المتنكر » فى زى حصان ، ولكن صوته دل عليه صاحبه . ويختم القصة الحيوانية بهذا البيت الذى يقابل « المغزى » فى خرافات إيسوب :

ما دام يصحب كل حى صوته هيهات يخفى العير جلد حصان (٢)

وهذا الشاعر القروى « رشيد الخورى » ينظم لنا قصة العصفور والباشق والإنسان ، ويخرج من الحوار بتصوير شره الإنسان ومطامعه بالقياس إلى الحيوان :

فلكل مخلوق طعام واحـــد يرضيه ، معْ أن الطعام كثير
أما ابن آدم فهو أشره كائن فوق الثرى ، وعلى الجميع يجور (٣)

وهذا الشاعر رشيد أيوب يصور لنا خرافة العصفور والفخ ، حينما انخدع بحبة من القمح وضعها له فى الفخ ليصيده لا ليطعمه ، متظاهرا بالأشفاق عليه ، وهو يعد العدة لقتله ، فإذا ماوقع المسكين فى الفخ أدرك الخدعة التى نصبت له ثم .

قال : حقا قالت الأمثال لا تأمن الدنيا فما فيها ودود

وأغرب ما فى شعر المهجر القصصى هو تلك الرحلات الخيالية ، إلى السماء حيناً ، أو إلى العالم الآخر حيناً آخر . مثل « على بساط الريح » للمرحوم فوزى المعلوف ، و « عبقر » لشقيقه الشاعر شفيق المعلوف . وهى رحلات

---

(١) الأيوبيات ص ٦٥ .
(٢) الجداول ص ١٦ .
(٣) ديوان القروى. طبع سان باولو . البرازيل ص ٧٣ .

تذكرنا بالمسرحية الإلهية لدانتى ، ورسالة الغفران للمعرى . . . كما تذكرنا — فى عالمنا القديم وعصرنا الحديث — «بثورة فى الجحيم» للشاعر جميل صدقى الزهاوى ، «وبشاطىء الأعراف» للمرحوم محمد الهمشرى ، «وبترجمة شيطان» لعباس محمود العقاد . وتصور لنا «على بساط الريح» رحلة صعد بها الشاعر إلى السماء فى طيارة ففزعت منه الطيور لأنه إنسان ، وظنته جاء السماء فاتحاً غازياً بعد أن ملأ الأرض بشروره . . . ويصور لنا الشاعر فى خلال رحلته نفوس الشعراء ، والحلم الذى تحقق بارتياد آفاق السماء ، والشاعر بين الطيور ، والتفاف الأرواح حوله وسخريتها منه لأنه جاء من التراب ، وإلى التراب يعود غير نقى الثوب . . . ثم يهبط الشاعر إلى الأرض يكابد رق الشهوات والجسد من جديد . . .

وتصور لنا «عبقر» رحلة ركب فيها الشاعر طائرة — أيضاً — إلى وادى عبقر المسحور ، وليست هذه الطائرة إلا شيطاناً :

وانطلق الشيطان فى الجو بى ... كأنه النيزك أو أسرعُ
مكنت من فقاره قبضتى ... مندفعاً أصنع ما يصنع
حتى تهاوى بى إلى موضع ... ما راقنى من قبله موضع
غمائم زرق على متنها ... منازل جدرانها تسطع
تثور فى جدرانها ضجة ... بها يضيق الأفق الأوسع[1]

ومهما قيل فى نقد أسطورة «عبقر» من ناحية الفن القصصى ، فأنها بغير شك محاولة موفقة فى الأسطورة السماوية أو الجحيمية ، وهى فوق ذلك رحلة يستشف الشاعر من ورائها أسرار الحياة ، ويقل التشاؤم فيها عنه فى رحلة «على بساط الريح» لفوزى المعلوف .

واتجاه هذه الأساطير والرحلات إلى أعلى عليين فى السماء ، أو إلى أسفل سافلين فى وادى العذاب المرصد ، يؤكد لنا تطلع الشعراء إلى السماء ، وتقلب وجوههم فى أطرافها . . . فرشيد أيوب قد عاين المريخ وخضرته ورياضه فى

---

(١) عبقر . طبع البرازيل . ص ١٥٣ .

قصيدته « حلم في المريخ » ، وأبو ماضى تسمو نفسه إلى ما فوق المجرة تبغى هنالك منزلا :

رُبَّ روح مثل روحى عافت الدنيـا المضرة
فارتقت فى الجـو تبغى منزلا فوق المجره (١)

وقد رده الله إلى السماء حينما رآه يبكى على الأرض :

رآنى الله ذات يوم فى الأرض أبكى من الشقاء
فرقَّ . . . والله ذو حنـان على ذوى الضر والعناء
وقال : ليس التراب دارا للشعر ، فارجع إلى السماء (٢)

ولكن أبو ماضى إلى الآن لم يصنع لنا رحلة سماوية ولا مسرحية إلاهية على كثرة ما ركز ناظريه فى آفاق السماء . . . فهل يطول بنا الانتظار ؟

---

(١) الجداول لإيليا أبى ماضى ص ٥٧ .
(٢) الخمائل ، ص ٦٧ .

أغراض من الشعر

لم ينزع شعر المهجر ثوب القديم جملة ، على الرغم مما أثارته « الرابطة القلمية » فى نيويورك على تقليد القدماء من حملات . وقد كشفنا فى فصل سابق عن الصراع بين القديم والجديد فى شعر المهجر ، وبقاء بعض الرواسب قوية الملامح تشد شعراء المهجر إلى الركب العربى فى جملته ، وإن كانت قد خرجت عليه فى بعض التفاصيل . . . وإذا كان من تَطلَّب جذوة النار فى الماء أن تنزع من نفس العربى حنينها إلى الأوطان مثلا ، فأن كثيراً من وراثاته لا تزال باقية فيه على الرغم من عوامل الزمن والهجرة إلى عالم جديد . . .

خذ ديواناً من دواوين شعر المهجر ، حتى ولو كان لشاعر غارق فى بحار التأملات الفلسفية ، والنزعات النفسية ، والسبحات الصوفية ، فأنك واجد بغير شك بجانب الشعر النفسى التأملى شعراً فى المديح والرثاء والتكريم والمناسبات السريعة العابرة التى يجزىء فيها نظم القريض ، عن الانفعال الشعرى . وقد تتسع المناسبة عند شعراء المهجر من النطاق الشخصى الضيق إلى النطاق العالمى الرحيب. وهذه ظاهرة تؤكد لنا ما قلناه غير مرة ، وقاله معنا المنصفون ، بأن شعر المناسبات لا يعيب الشعر العربى قدر ما يعيبه نقصان الحس والتجربة الشعورية فى المناسبة ، تافهة كانت أم جليلة الشأن . فليس النظم فى المناسبة عيباً مادام ذلك استجابة لشعور خاص أثارته هذه المناسبة فى نفس الشاعر . ومن هنا كانت مدائح « زهير بن أبى سلمى » شعراً ، للصدق فيها من ناحية ، ولأنها من ناحية أخرى تعبير جميل عن جلال الصنيع الذى فعله الممدوحان ، اللذان تداركا عبساً وذبيان ، فدفعا ديات القتلى ، وكانا سبباً فى إخماد حرب ضروس .

ولهذا لا نجد بأساً إذا وجدنا فى شعر المهجر قصائد فى المديح أو فى التكريم ، كما صنع إيليا أبو ماضى فى تكريم « سامى الشوا » عازف الكمان (١)،

---

(١) الخمائل ، ص ٧٢ .

وفى حفل تكريم مجلة المقتطف فى عيدها الذهبى[1] ، وفى استقبال مندوب البطريرك فى بروكلن[2] . وكما صنع الشاعر مسعود سماحة فى تكريم المغفور له الأمير شكيب أرسلان[3] فى الحفل الذى أقيم لتكريمه بواشنطون سنة ١٩٣٦ ، وكما صنع الشاعر محبوب الشرتونى فى تكريم أحد رجال الصحافة بنيويورك[4] .

وقد يلفت النظر أن نجد فى دواوين شعر المهجر قصائد فى التهنئة بمولود جديد كما صنع محبوب الشرتونى[5] ، أو فى التهنئة بعرس[6] ، أو فى التهنئة بعيد ميلاد ، كما صنع أبو شادى فى تهنئة الأستاذ سلوم مكرزل صاحب جريدة الهدى العربية فى نيويورك[7] .

ونجد شعر المناسبات الخاصة دائراً بين الشعراء فى المهجر ، كما يدور هنا بيننا فى العالم القديم ؛ وكما كان يدور بين الشعراء المتعاصرين فى العصور القديمة . . . فهذا الشاعر مسعود سماحة يهدى إلى الشاعر إيليا أبى ماضى كمية من « البن الفاخر » مصحوبة بقصيدة رائية من البحر الوافر ، فلا يكاد أبو ماضى يحتسى أول قدح من الهدية حتى يرد على المهدى بقصيدة من البحر نفسه والقافية نفسها[8] . . . تماماً على طريقة مهاديات القدامى ومعارضاتهم . وهذا الشاعر أبو شادى يذكر الشاعر نعمة الحاج بقصيدة حينما أصابته « حمى الطلع » ، فيرد عليه الشاعر الناقه بقصيدة من البحر نفسه والقافية نفسها[9] . . .

وعلى الرغم من إقلال الشاعر إلياس فرحات فى شعر المناسبات والمدائح والشكر فأنه قد علل للمديح على الفضائل بأنه يحض الناس على عملها والتحلى بها ، ويقول فى ذلك :

---

(١) الجداول ، ص ٨١ .
(٢) الخمائل ، ص ٥٠ .
(٣) دايون مسعود سماحة ، ص ١٢٨ .
(٤) ديوان محبوب الشرتونى ، ص ٩١ .
(٥) ديوانه ، ص ١١٨ .
(٦) ديوان محبوب الشرتونى ، ص ١٣٢ .
(٧) ديوان من السماء ، ص ١٢٩ .
(٨) ديوان مسعود سماحة ، ص ١٦٨ .
(٩) ديوان من السماء للدكتور أحمد زكى أبو شادى ، ص ١٣٧ ، ١٣٨ .

لا تعذلن على المدائح إن تكن تجنى ثمار الخير من كلماتها
إن المديح على الفضائل مكثر منها ، مقل من عديد عداتها
وإذا الكريم مدحته بقصيدة قرأ اللئيم الذم فى أبياتها (١)

ولا عجب فهذه الأبيات من قصيدة نظمها الشاعر تكريماً للجالية الحمصية فى سان باولو بالبرازيل لكثرة مبراتها وأعمالها الإنسانية .

ونجد فى شعر المهجر « الرثاء » كذلك ، وهل أجدبت قلوب الشعراء هناك فلم تعد تبكى على راحل ، أو تأسى على فقيد ؟ وما الذى يعيب الرثاء إذا كان صادق التعبير عن الفجيعة فى المرثى ؟ وهل تجردت النفس العربية فى المهجر من وتر قديم حساس يسجل لها الوفاء المحض فى تاريخها الطويل ؟ إننا نجد الشاعر إيليا أبا ماضى يرثى أباه ، ويرثى فقيد العربية العلامة سليمان البستانى ، فيسمعنا أنات مصر والشام والعراق وكل تربة عربية على هذا العلم الكبير :

إن فى مصر والشـــآم دويا ما سمعناه قبل يوم وفاته
وَأحسَّ العراق حين أتاه النـ ـعى طعم الردى بماء فراته
وبلبنان رجفـــة تتمشى فى ينابيعه وفى نسماته (٢)

ونجد رياض المعلوف يرثى أخاه الشاعر فوزى (٣) ، كما يرثيه من شعراء المهجر شكرالله الجر ، وإلياس فرحات ، وإلياس قنصل . ولا يكاد ينتقل أديب أو شاعر أو زعيم إلى رحاب ربه حتى نرى شعراء المهجر يسبقون شعراء العالم القديم إلى رثائه وتأبينه ، كما صنعوا فى رثائهم لجبران خليل جبران ، والشاعر أحمد شوقى ، والشاعر نسيب عريضة الذى توفى سنة ١٩٤٦ فألقى أبوشادى مرثية فى حفل تأبينه ببروكلن نشرت فى ديوانه (٤) .

ولقد ظهر فى الأرجنتين ديوان شعر كامل فى رثاء طفلة ، وهو دموع سكبها الشاعر المهجرى زكى قنصل على ابنته الصغيرة « سعاد » التى يحمل

---

(١) ديوان فرحات ، ص ٢٦٢ .
(٢) الجداول ، ص ٨٧ ، ٨٨ .
(٣) ديوان خيالات لرياض المعلوف .
(٤) من السماء لأبى شادى ، ص ١٠٠ .

الديوان اسمها[1] . ولا تكاد عين الشاعر تقع على سرير سعاد أو أرجوحتها أو لعبتها حتى ينظم قلبه المفجوع شعراً من أحر المراثى . ويذكرنا هذا الديوان الكامل فى رثاء طفلة بديوانى الشاعرين المصريين عزيز أباظة ، وعبد الرحمن صدقى فى رثاء زوجتيهما[2] .

* * *

ولعل حادث الموت الرهيب يذكرنا هنا بحكمة الحياة . وقد شد شعراء المهجر فى قيثارتهم وتراً جديداً للحكمة والمثل ، والحق أن هذا الوتر ليس بجديد فى الأدب العربى ، فهو قديم منذ قال الشاعر الجاهلى كلمته ومشى :

ومن لم يذد عن حوضه بسلاحه يهدم ، ومن لا يظلم الناس يظلم[3]

وما الحكمة على وجازتها إلا خلاصة تجاريب كثيرة فى الحياة . وما أغنى الشعراء بالتجاريب التى تصهرهم فى بواتقها الحامية ! ويصادفنا فى شعر إيليا أبى ماضى ، وإلياس فرحات ، والشاعر القروى « رشيد الخورى » كثير من أبيات الحكم والأمثال ، كما لا نعدم عند رشيد أيوب ، ومسعود سماحة ، ومحبوب الشرتونى أبياتاً من الحكمة على مساق الحكم فى الشعر العربى .

ومن حكم إيليا أبى ماضى :

من كان يشرب من جداول وهمه قطع الحياة بغلة لم تنقع[4]

* * *

ومن عصبت عيناه فالوقت كله لديه — وإن لاح الصباح — غروب

* * *

إن صدقا لا أحس به هو شىء يشبه الكذبا[5]

ومن حكم إلياس فرحات وأبياته السائرة الكثيرة :

ومن سد مجرى النهر يوماً ولم يكن أعد له مجرى جديداً تندما

* * *

للترب ما يأخذ الإنسان من بلد قد مر فيه ، وللتاريخ ما يذر

---

(١) سعاد لزكى قنصل . طبع الأرجنتين سنة ١٩٥٣ .

(٢) ديوان « أنات حائرة » للشاعر الكبير عزيز أباظة ، وديوان « من وحى المرأة » للشاعر الكبير عبد الرحمن صدقى . طبع دار المعارف بمصر .

(٣) هذا البيت من معلقة زهير بن أبى سلمى

(٤) الجداول ، ص ٨ .

(٥) الجداول ، ص ١٥ .

لولا الجذور المطمئنة فى الثرى ما كانت الأغصان ترفع هامها

* * *

لو كان عند الضأن بأس ضراغم ما استمرأ الإنسان لحم الضان. (١)

* * *

أما الشعر الأخلاقى والاجتماعى فيدور عند شعراء المهجر قدر ما تدور الحياة بما فيها من وجهى الخير والشر والجمال والقبح . . . فمشكلات الزواج والغدر والمال وغرور الإنسان وطمعه ، وقلب الأم ، ومسكنة اليتيم ، ومرحمة الراحمين ، والعفو عن المسيئين ، ومفاسد المدنية ، وجمال الإنسانية وغيرها يتناولها شعراء المهجر تناولا يختلف باختلاف أذواقهم وفنهم وطاقتهم الشعرية وأسلوب صياغتهم . وما أجمل الصورة الفاتنة التى يصور لنا بها أبو ماضى الرجل الكريم قائلا فى ختامها :

وتراه يبسم هازئا فى غمرة الخطب الكريهْ
وإذا تحرَّق حاسدو ه بكى ورقَّ لحاسديه
كالورد ينفح بالشذى حتى أنوف السارقيه (٢)

وما أطرف الصورة التى يصور لنا بها إلياس فرحات « الدينار » الذى تباع به الضمائر وتشترى :

يحرك النـاس شىء عن الحيـاة مُعَرَّى
مزخرف مسـتدير عليه نقش وطغرا..
مسنن الحرف صلب محجر ليس يُفرى
تبدو عليه سـطور تكاد باللمس تقرا
به ضمائر بعض تباع حيناً وتشرى
هـذا المليك المفدَّى هـذا الإله المبرَّا
إن لاح يوماً لعبد تراه للأرض خرَّا
أو حل بالجيب سدوا عليه كى لا يفرا (٣)

وما أبرع الصورة التى يوازن فيها الشاعر ميخائيل نعيمة بين الفقير والغنى قائلا :

---

(١) ديوان فرحات ، ص ٢٤ .
(٢) ديوان الخمائل ، ص ٧٨ .
(٣) ديوان فرحات ، ص ٣٦ .

يا حاشد الأموال فلساً إلى فلس تكد الليل قبل النهارْ
أيامه صـــفر كأعوامه لا لون فيها غير لون النضارْ
عمياء تجرى حيث لاتدرى
لا والذى الأقدار خدامه ما فى فؤادى غصة من غناك
إذ قد حبانى الحظ بعض الغنى يا صاحبى من غير ما قد حباك
فاحشد ! ولا تشفق على قبرى [1]

إن شعراء المهجر قد صوروا لنا المجتمع بحاليه ، وعلى اختلاف وجهيه ؛ ووصفوه بما هو كائن ، وبما يجب أن يكون ، حتى يكون عالماً أقرب إلى الكمال ، ولو على أجنحة الخيال . . .

---

(١) همس الجفون ، لنعيمة ، ص ٣٠ .

أوزان وأساليب

وضعت « الرابطة القلمية » بنيويورك مقدمة ، أو مذكرة تفسيرية ، تسوغ الغرض من إنشائها والضرورة التى دعت إلى قيامها ، قائلة : « إن هذه الروح الجديدة التى ترمى إلى الخروج بآدابنا من دور الجمود والتقليد إلى دور الابتكار فى جميل الأساليب والمعانى ، لحرية فى نظرنا بكل تنشيط وموازرة ، فهى أمل اليوم وركن الغد » (١) .

فأنت ترى أنها لم تهمل الأسلوب والمعنى ، بل جمعتهما فى قرن واحد ، لأنهما لا يقوم واحد منهما بغير صاحبه . وليس المهم أن يكون حشو أدمغتنا أفكاراً ، بل المهم أن نؤدى هذه الأفكار ونوصلها إلى غيرنا . ذلك هدف البيان الصحيح ، شعراً كان أم نثراً . وطغيان الأسلوب على المعنى هو ضرب من الثرثرة اللفظية التى لا طائل تحتها ، كما أن طغيان المعنى على الأسلوب هو جنوح إلى الجفاف وبعد عن الرقة فى التعبير . والجمال فى البلاغة هو المواءمة بين الفكرة والعبارة حتى تكون كل منهما فى موضعها بقدر .

ولقد استهوت « المعانى » شعراء المهجر ، لما رأوا من وقوعنا فى إسار اللفظ على مدى عصور الأدب العربى ، حتى باتت الكلمات فى الأدب التقليدى لا تحمل معنى أكثر مما يقتضيه الرصف الذى لا معنى له . ولهذا نادى الشاعر أبو ماضى فى فاتحة « جداوله » قائلا :

لست منى إن حسبت الشـ ـعر ألفاظاً ووزنا
خالفتْ دربك دربى وانقضى ما كان منـا
فانطلِق عنى لئـلا تقتنى همـاً وحزنا
واتخـذ غيرى رفيقا وسوى دنياى مغنى (٢)

---

(١) جبران خليل جبران . لميخائيل نعيمة ، ص ١٧٢ .
(٢) الجداول ، ص ٤ .

إلا أن اهتمامهم بالتجديد فى المعانى لم يصرف نفراً منهم عن الاحتفال بالعبارة والرقة فى التعبير ، والتأنق فى الإنشاء البيانى الزاهى ، وقد تجتمع لواحد منهم الجزالة والسهولة معاً . كما نرى فى شعر إيليا أبى ماضى وإلياس فرحات والشاعر القروى . فبينا نقرأ لفرحات قصيدته « خصلة الشعر » التى امتازت بسهولتها ورقتها وموسيقاها والتى يقول فى مستهلها :

خصلة الشـــعر التى أعطيتنيها عنـــدما البين دعانى بالنفير
لم أزل أتلو سطور الحب فيها وسأتلوها إلى اليوم الأخير(١)

وبينا نقرأ له قصيدته المطربة « يا حمامة » التى يقول فيها :

يا عروس الروض يا ذات الجناح يا حمـــامة
سافرى مصحوبة عند الصباح بالســلامة
واحملى شكوى فؤاد ذى جراح وهيامه(٢)

إذا بنا نقرأ له شعراً جزلا قوى العبارة فى قصيدته « حياة مشقات » ، وقصيدته « إذا صفعت كفى جبينى » وغيرهما ، وفى الأولى يعلل نفسه بالصبر على حياة الكد فى المهجر قائلا :

أقول لنفسى كلما عضها الأسى فآلمها : صبراً ! ففى الصبر مكسب
لئن كان صعباً حملك الهم والأذى فحملك منّ الناس لا شك أصعب
فلولا إباء مازج الطبع لم يكن لمثلى مجىء فى البرارى ومذهب(٣)

وهى كلها فى أبياتها الخمسة والخمسين على هذا النسق القوى الجزل الرصين .

ولقد افتن شعراء المهجر فى الأوزان الشعرية ، فمال أكثرهم إلى الموشحات ، وإن كانوا لم يتركوا القصيد العادى جملة . ولعلهم وجدوا فى الموشح — فى تغير أوزانه وقوافيه — انفلاتاً من قيود القافية الواحدة ، والبحر الواحد ، فى القصيدة الواحدة . وكأنما كان شعراء المهجر الشمالى فى الولايات المتحدة ، والمهجر الجنوبى

(١) ديوان فرحات ، ص ٨٥ .
(٢) ديوان فرحات ، ص ٤٨ .
(٣) ديوان فرحات ، ص ٢٦٧ .

فى أمريكا الجنوبية على ميعاد فى الاحتفال بالموشحات والالتجاء إليها فى أكثر منظومهم . ويرى جبران خليل جبران « أن تعدد الأصوات يزيد فى وقع القصيدة ومداها ، ويسترعى انتباه القارىء أكثر من صوت واحد » (١) .

ولما كانت الموشحات بأقفالها وأبياتها وأدوارها غير محدودة ولا مقيدة (٢)، فقد وجد شعراء المهجر فيها مجالا واسعاً لتحقيق رغبتهم فى التفلت من قيود الوزن والقافية . والحق أنهم لم يجددوا فى الموشح الذى اخترعه أهل الأندلس ، وإنما افتنوا فى صوره وأشكاله افتناناً يبيحه هذا الفن الأندلسى لكل ناظم فيه . وسيعرض لنا قسم المختارات فى هذا الكتاب طائفة كثيرة من موشحات شعراء المهجر ، تطلعنا على مدى ما بلغوه فى هذا الفن ، الذى تابعهم فيه كثير من شعراء الشباب فى العالم العربى . إلا أن القصيدة العادية بقى لها فى شعر المهجر مكانها ، فلم تطغ عليها الموشحات ، ولكنهم نظموا من الفنين على حد سواء . . .

ولقد فتن كثير من شعراء العالم الجديد بالأوزان القصيرة جداً ، وبالبحور المجزوءة غير الكاملة . كما نرى فى « ليلة الأحد » لرياض المعلوف (٣) ، وفى « أغانى الدرويش » لرشيد أيوب ، وفى ديوان فرحات ، وفى شعر نسيب عريضة . ولعل « ليلة الأحد » تجزىء هنا فى الاستشهاد :

يا مرهقاً كبدى خفف ولا تزد
أتظل مبتعدا عنى وعن بلدى ؟
يا حسن موعدنا فى ليلة الأحد !
من بعد فرقتنا شهرين بالعدد
ولنا المنى ضحكت بسعودها الجدد
شفتاك طوع فمى ويداك طوع يدى (٤)

ولعل رغبة شعراء المهجر فى الانفلات من قيود الشعر — وقد خرجوا من أوطانهم الأولى ينشدون الحرية والتحرر — قد حدتهم إلى ضرب من الشعر المنثور

---

(١) جبران خليل جبران . لميخائيل نعيمة ، ص ١٦٠ .

(٢) دار الطراز فى عمل الموشحات لا بن سناء الملك المصرى . طبع دمشق سنة ١٩٤٩ .

(٣) ديوان « خيالات » طبع سان باولو

(٤) ديوان «خيالات» . طبع سان باولو.

أو النثر الشعرى . وكلا الضربين لون من أثر المحاكاة للشعر الغربى ، وعجيب أن يترك شعراء المهجر تقليد شعر آبائهم ليقلدوا شعر الغربيين فى أثوابه الجدد . ولقد كتب جبران وأمين الريحانى من الضربين كتابة فتنت شباب الأقطار العربية ، فتابعوهما وشغفوا بطريقتيهما. وقد يكون فى النثر الشعرى ما فى الشعر من خيال ، ولكنه خلو من قيود الوزن والقافية . أما الشعر النثرى ففيه القافية التى تتنوع من مقطع إلى آخر ، وفيه الخيال الشعرى بالطبع ، ولكن ليس فيه ذلك الخضوع للتفعيلات التى وضعها الخليل بن أحمد . . .

ويظهر أن شعراء المهجر الذين ألفوا النظم على طريقة الشعر المنثور والنثر الشعرى كانوا على سمت الإيمان بأن هذا اللون من الكلام هو شعر بعينه ، وأنه يوضع مع الشعر الموزون المقفى فى كفة واحدة من حيث التسمية على الأقل . . . ولهذا نجد الشاعر ميخائيل نعيمة والشاعر رشيد أيوب يضعان هذا الضرب من الكلام فى دواوين شعرهما العادى . فترى القصيدة المقفاة الموزونة وبجانبها قصيدة من الشعر المنثور(١) .

على أن جبران قد وسع مسافة الشعر المنثور والنثر الشعرى ، فوضع فيهما كتباً كاملة . وكتاباه « العواصف » و « البدائع والطرائف » هما القمة التى وصل إليها النثر العربى الشعرى فى عصرنا الحديث ، كما أن كتاب « الريحانيات » لأمين الريحانى هو أعلى ما وصل إليه الشعر العربى المنثور عند أدباء العالمين القديم والحديث على السواء . . .

* * *

ومن الحق أن نقول هنا التماساً للنصفة والحق إن الرغبة فى التفلت من القيود عند شعراء المهجر ، قد ساقتهم فى تيار من التسمح اللغوى وعدم المبالاة وارتكاب الضرورات التى لا يلجأ إليها الشعراء المحافظون إلا كارهين . على أن الكثرة من شعراء المهجر قد ركبت هذه الضرورات فى غير ضيق بها ، ولا أنفة من استعمالها . حتى أصبحت ضرورات الشعر واللغة طريقاً عادياً عند أكثرهم . وقد التمس لهم العذر واحد منهم بأنهم « يقضون الأيام والأسابيع فى مهاجرهم دون أن تدور على ألسنتهم لفظة عربية ، والعجمة واقفة لهم بالمرصاد ، فلا ينطقون

(١) انظر ديوان « همس الجفون » لنعيمة ، و « أغانى الدرويش » لرشيد أيوب .

إلا بلغات الأغيار ، ويذيبون أدمغتهم فى الأخذ والعطاء ، والبيع والشراء ، فلا ينظمون إلا غراراً وعلى غفلة من متاعب الحياة والكدح وراء الرزق » (١) .

ولم يسكت المحافظون على هذه الانطلاقة الثائرة على القديم فوقفوا لهؤلاء المجددين بالمرصاد ، وعدوا عليهم من الذنوب خروجهم على القواعدالمقررة، والأصول الثابتة فى اللغة والنحو ، والعروض وأساليب البيان. ولكن جبران خليل جبران، زعيم الرابطة القلمية ورائد الحركة التجديدية، خاطب هؤلاء المحافظين فى مقال عنوانه « لكم لغتكم ولى لغتى » قائلا فيه : (لكم من لغتكم البديع والبيان والمنطق ، ولى من لغتى نظرة فى عين المغلوب ، ودمعة فى جفن المشتاق ، وابتسامة على ثغر المؤمن ، وإشارة فى يد السموح الحكيم . لكم منها الفصيح دون الركيك ، والبليغ دون المبتذل . . . ولى منها ما يتمتمه المستوحش ، وما يغص به المتوجع ، وما يلثغ به المأخوذ ، وكله فصيح وبليغ) (٢) .

ولقد أعلن جبران ثورته على القواعد والأصول اللغوية ، وثورته على اللغويين وأصحاب النحو قائلا : (لكم منها — يعنى اللغة — ما قاله سيبويه والأسود — يقصد أبا الأسود الدؤلى ! — وابن عقيل ومن جاء قبلهم وبعدهم من المضجرين المملين ، ولى منها ما تقوله الأم لطفلها ، والمحب لرفيقته ، والمتعبد لسكينة ليلة) (٣).

وإذا كان لهذه الثورة مايسوّغها عند جبران وزملائه فى « الرابطة القلمية » بنيويورك، لامتلاء وفاضهم بالأفكار الغنية والمعانى الحافلة ، ولاستنادهم إلى ثقافة فكرية واسعة الرحاب ، فأن بريق هذه الدعوة قد أغرى كثيراً من الذين لا تستند ثقافتهم الأدبية واللغوية والفكرية إلى سند صحيح ، فاتخذوها وسيلة لتغطية ضعفهم ، ولكنهم لم يثبتوا على المحك فى ميدان لا يثبت فيه إلا العمالقة المبدعون ...

على أن التسامح الذى كان يسود شعر المهجر الشمالى كان يقابله نزعة محافظة عند شعراء المهجر فى أمريكا الجنوبية . فالشاعر فرحات كان يغربل

---

(١) أنظر مقدمة الأديب الكاتب المهجرى جورج حسون معلوف لديوان فرحات . طبع البرازيل ، ص ١١ .

(٢) بلاغة العرب فى القرن العشرين . ص ٥٣ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٥٣ .

شعره ، ولم ينشر فى ديوانه إلا ما جرى على أصول اللغة العربية من حيث الصحة اللغوية وبلاغة العبارة ومحاراتها للأسلوب العربى ، وتمكن الروى ، ومتانة القافية[1] والشاعر القروى « رشيد الخورى » مؤمن بالعربية الفصيحة القوية المحافظة ، ويدعو العرب — لا فى المهاجر وحدها بل فى أقطار العروبة — قائلا فى حماسة رزينة رصينة : «علموا القرآن والحديث ونهج البلاغة فى كل مدارسكم وجامعاتكم لتقوم بالفصحى ألسنتكم ، وتتقوى ملكاتكم ، ويعلو نفسكم ، وتزخر صدوركم بالحكمة ، وتشرق طروسكم بساحر البيان »[2] .

ومن الحق أن نقرر أن الحفاظ اللغوى وعدم الإغراق فى التحرر اللغوى والنحوى يبدو فى شعر المهجر الجنوبى أكثر مما يبدو فى شعر الشمال . وقد لاحظ هذا واحد من أدباء الجنوب ، فذكر أن سيل المحيط كان على العرب المهاجرين إلى أمريكا الشمالية جارفاً فأبعده عن مواطن العربية ، فتحرر من بعض ربط قواعدها ، ولم يراع — ما عدا القليل منه — عهود لغة الآباء والأجداد ، ومال إلى أدب الإفرنج ، فنقل منه إلى العربية غرائب الاستعارات والتشابيه ، وتصرف فى شق الألفاظ أى تصرف ، وحلق من الخيال فى جواء متلبدة بغيوم الإبهام والغموض . . . أما العرب الذين هاجروا إلى أمريكا اللاتينية — أى الجنوبية — فقد حافظوا على طريفهم من آداب العربية ، وزادوه تليداً ، ولم يحلوا أواصر تربطهم بالعربية ، بل زادوها إحكاماً وشداً[3] .

على أن بعض شعراء المهجر الجنوبى لا يؤمن بمتانة النظم ، وصحة الوزن ، وتمكن القوافى ، وهم يدعون إلى التضحية بالألفاظ — بل بالقواعد والأصول اللغوية — فى سبيل المعانى[4] . ولعلهم بذلك يعلنون ثورتهم على حركة المحافظة التى دعا إليها إلياس فرحات ، والشاعر القروى فى الجنوب .

---

(١) ديوان فرحات ، ص ٣١ .

(٢) ديوان القروى . طبع سان باولو بالبرازيل سنة ١٩٥٢ ص ح ن .

(٣) ديوان فرحات . مقدمة الأديب الكاتب المهجرى جورج حسون المعلوف ص ١٠ ، ١١

(٤) انظر مقدمة الأستاذ توفيق ضعون من العصبة الأندلسية بالبرازيل ، لمعلقة الأرز التى نظمها الشاعر نعمة قازان .

الرمز والرمزية

فى شـــعر المهجر

لسنا الآن فى معرض التعريف بالرمزية Symbolism ونشأتها فى الغرب كمدرسة أدبية ، منذ ذلك القرار الذى نشر فى « الفيجارو » سنة ١٨٨٦ . ولسنا الآن فى معرض الحديث عن خصائص الرمزية وأهدافها ، وموقفها من الألفاظ اللغوية التقليدية التى أصبحت « كليشيهات » فى لغتنا اليومية وأدبنا المعاصر ، ولكنها لا تحمل أى معنى حقيقى إلينا (١) .

وإذا كانت الرمزية فى الأدب العربى بمدلولها المدرسى الحديث لم تظهر فى لبنان إلا بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٩ ، فأن ظهورها فى مصر جاء متأخراً عن ذلك فى سنة ١٩٢٨ ، ولم تتضح معالمها و تبدأ حركة أدبية متميزة إلا منذ سنة ١٩٣٦ (٢) . على أنه فى الوقت الذى كانت فيه الرمزية تأخذ سبيلها فى الظهور فى لبنان ، كان شعراء المهجر الشمالى يكافحون فى سبيل نشر أهداف « الرابطة القلمية » ، ولم تكن حركة الرمزية من بين تلك الأهداف ، ولذا سلم شعر المهجر من الرمزية بمعناها الفنى الخاص ، ماعدا بعض الاتجاهات الرمزية فى كتابات جبران خليل جبران ، وخاصة فى كتابه « آلهة الأرض » .

ولعل الله صنع الخير لشعر المهجر حينما نحاه عن حركة الرمزية التى لا تنتهى غالباً إلا إلى الغموض والإبهام ! فأن الرمزية قد تخرج من الضرورة التى دعت إلى قيامها إلى الضرر ، إذا أصبحت مطلوبة لغير سبب واضح ، شعارها الرمز للرمز ، والغموض للغموض ، والتلفيق للتلفيق (٣) .

ولقد تأثر السوريون واللبنانيون المقيمون فى أرض الوطن بالرمزية فى الأدب الفرنسى ، الذى كان يلون الثقافة و يصبغها بصبغته هناك ، على حين أن المهاجرين

---

(١) Dictionary of World Literature . طبع نيويورك سنة ١٩٤٣ .

(٢) الرمزية والأدب العربى الحديث . لأنطون غطاس كرم . ص ١١٥ .

(٣) من مقال للأستاذ عباس محمود العقاد فى مجلة الكتاب عدد يناير سنة ١٩٤٧ ص ٣٦٧

منهم كانوا بعيدين عن الوطن فى عهد الانتداب الفرنسى ، فلم تجذبهم الرمزية فى العالم الجديد ، وإن كانوا تأثروا فى هذه المهاجر الجديدة بألوان من الفكر أشرنا إليها فى فصل سابق .

أما الرمز — وهو أخف من الرمزية كمذهب ذى قواعد وأصول ومناهج — فلسنا نجده على جهة العموم فى شعر المهجر ، وإن كنا نجد كثيراً منه فى شعر أيليا أبى ماضى . وأعنى بالرمز ذلك اللون الموضوعى الذى يرمز بالقصيدة كلها مثلا ، أو بالعمل الأدبى كله إلى شىء معين ، كالرمز فى حكايات كليلة ودمنة ، وخرافات لافونتين الفرنسية إلى مصير الظالم ، أو جزاء الواشى ، أو عاقبة المغرور ، فى مساق حكاية على لسان البهائم والطير . وهذا الرمز الموضوعى هو غير الرمزية المدرسية التى تعطى الألفاظ قيما جديدة غير قيمتها المعجمية أو التقليدية .

ومن الرمز فى شعر إيليا أبى ماضى قصيدته « الضفادع والنجوم » وهى رمز للثرثار النفاج الجاهل قدر نفسه ، المتطاول على أقدار الأعلياء (١) ، ومنه قصيدته « التينة الحمقاء » وهى رمز للشحيح الكز الذى لا يعطى مما تعطيه الحياة ، فيكون جزاؤه أن يموت محروماً سليباً ، فقد قالت التينة لأترابها والصيف يحتضر :

بئس القضاء الذى فى الأرض أوجدنى ... عندى الجمال وغيرى عنده النظرُ
كم ذا أكلف نفسى فوق طاقتها ... وليس لى بل لغيرى الفىء والثمر

ولكن بعد حين من الزمن :

عاد الربيع إلى الدنيـــا بموكبه ... فازينت ، واكتست بالسندس الشجرُ
وظلت التينة الحمقاء عارية ... كأنهـــا وتد فى الأرض أو حجر
ولم يطق صاحب البستان رؤيتها ... فاجتثها ، فهوت فى النار تستعر
من ليس يسخو بما تسخو الحياة به ... فأنه أحمق بالحرص ينتحر (٢)

وقصيدة « الغدير الطموح » لأبى ماضى أيضاً هى رمز للطامع الذى يطلب من الأيام ما ليس فى طبعها ولا فى طبيعته ، فلا تقفه عند حده إلا قوة أكبر منه :

---

(١) ديوان الجداول ، ص ١٢ .
(٢) ديوان الجداول ، ص ٢٨ .

قال الغـــدير لنفســـه يا ليتنى نهـــر كبير
مثل الفرات العـــذب أو كالنيل ذى الفيض الغزير
تجرى الســـفائن مُوقَرا ت فيه بالرزق الوفير
هيهـــات يرضى بالحقيـ ر من المنى إلا الحقير
وانساب نحـــو النهر لا يلوى على المرج النضير
حتى إذا ما جاءه غلب الهـــدير على الخرير[1]

وقد التجأ الشاعر القروى رشيد الخورى إلى الرمز فى بعض شعره ، وقصيدته « الشتاء » هى رمز إلى جمود القريحة [2] . وفيها يقول :

طال يا فتنة العقولْ زمن الثـــلج والمطرْ
فاكسحى هـــذه الغيوم وأطلى على الكروم
وانفخى الروح فى الحقولْ وابعثى الحسن فى الزهر
تتشـــكى لىَ الورود كلما عدتهـــا ضحى
صَلِّ يا شـــاعر الزهَر صل للشمس والقمر
ذهبت حمـــرة الخدود ما على الجو لو صحا ؟

وهذا رمز واضح جميل متضح المعالم، معبر عن الحياة فى صدق وظهور لا يعميه خفاء ، ولا يخفيه إيماء ، ولا يبغضه إلى القارىء غموض ولا التواء . . .

---

(١) الجداول ص ٨٨ ، والمقتطف عدد اكتوبر سنة ١٩٣٧ ص ٢٩١ .

(٢) ديوان القرويات . طبع سان باولو .ص ١٢٩

الفصل الثاني

شعراء المهجر الشمالي

إيليا أبو ماضى	ميخائيل نعيمة
نسيب عريضة	رشيد أيوب
جبران خليل جبران	مسعود سماحة
محبوب الشرتونى	أحمد زكى أبوشادى

إيليا أبو ماضى

— ١٨٨٩ —

هناك فى قرية « المحيدثة » من أعمال لبنان كانت الدنيا تتطلع لتستقبل مولد شاعر كتب له أن يسمع العالم الجديد أصواتاً صافية من العالم القديم ، وكانت سنة ١٨٨٩ هى السنة التى حملت إلى العالم نبأ هذا النجم الذى لم يكن أحد ليدرى أنه سيحتل مكان الزعامة فى شعر المهجر . وقد أسلس الشعر له قياده وهو على أبواب البلوغ ، ولم يكد يبلغ الحادية عشرة من عمره حتى هاجر إلى مصر سنة ١٩٠٠ فما وافت سنه العشرين حتى كان يحرر فى بعض الصحف والمجلات بمصر ، إلى أن جاءت سنة ١٩١١ فتحركت فيه نوازع الهجرة إلى العالم الجديد ، فقصد الولايات المتحدة ، وأقام فى سنسناتى . وفى صيف سنة ١٩٢٦ انتقل إلى نيويورك ليعمل فى الميدان الأدبى . ولما أنشئت « الرابطة القلمية » فى نيويورك برياسة جبران خليل جبران كان أبو ماضى من أنصارها العاملين ، وإن لم يكن من الذين حضروا أول اجتماعاتها فى أبريل سنة ١٩٢٠ .

وفى أبريل سنة ١٩٢٩ أنشأ المترجم له جريدة « السمير » بنيويورك ، وما تزال تصدر إلى اليوم حافلة بنفثات يراعته ويراع المعاونين له فى تحريرها ، ويتوج صدر مجلة السمير بيتان من الشعر هما أصدق تعبير عن روح المترجم له وعاطفته الأدبية يقول فيهما :

أنا لا أهـدى إليكم ورقا ... غيركم يرضى بحبر وورق
إنما أهدى إلى أرواحكم ... فكراً تبقى إذا الطرس احترق

ويشهد مؤرخ « تاريخ الصحافة العربية » بأن مجلة السمير تعد فى هذا الزمان من أوسع المجلات العربية انتشاراً فى العالم الجديد (١) .

وأول ديوان من الشعر ظهر لأبى ماضى هو « تذكار الماضى » (٢) الذى طبع بالأسكندرية سنة ١٩١١ حينما كانت سن الشاعر اثنين وعشرين

---

(١) تاريخ الصحافة العربية : لطرازى ج ٤ ص ٤٢٩ .

(٢) معجم المطبوعات العربية ليوسف سركيس ج ١ ص ٣٤٤ .

عاماً ، ويشمل القصائد التى نظمها فى مصر . وبعد هجرته إلى أمريكا بخمس سنوات نشر الجزء الثانى من ديوانه ، بعنوان « ديوان إيليا أبو ماضى » وطبع فى نيويورك سنة ١٩١٦ ، ويحتوى على مجموعة من شعر التأملات والشعر الوطنى والقصص الشعرى الغرامى . وفى سنة ١٩٢٧ نشر ديوان « الجداول » الذى طبع فى مطبعة « مرآة الغرب » بنيويورك ، وكتب مقدمته الشاعر ميخائيل نعيمة قائلا فيها : « فبين هذه الجداول ما تنساب معه روحى مترقرقة ، مترنمة ، مطمئنة ، جذلة بنور فى عينيها ، وجمال فى جانبيها . مرحة بحرية لا أرصاد عليها ولا قيود ، ومدى لا آفاق له ولا حدود » فكانت أكرم وأصدق تحية من شاعر إلى شاعر .

وفى سنة ١٩٤٦ ظهر للمترجم له ديوان « الخمائل » فلقى من الرواج والترحيب ما اقتضى إعادة طبعه فى زمن يسير . وقد انعقد الإجماع على أن إيليـــا أبا ماضى هو بلا جدال أمير شـــعراء العرب فى المهجر لو بقى فى دولة الشعر أمراء ! !

باقة من أشعاره

ابتسم

قال : السماء كئيبة وتجهما ... قلت : ابتسم يكفى التجهم فى السما
قال : الصبا ولّى فقلت له : ابتسم ... لن يرجع الأسف الصبا المتصرما..
قال : التى كانت سمائى فى الهوى ... صارت لنفسى فى الغرام جهنما
خانت عهودى بعدما ملّكتها ... قلبى ، فكيف أطيق أن أتبسما؟
قلت : ابتسم واطرب فلو قارنتها ... قضّيت عمرك كله متألما
قال : التجارة فى صراع هائل ... مثل المسافر كاد يقتله الظما
أو غادة مسلولة محتاجة ... لدم وتنفث كلما لهثت دما
قلت : ابتسم ما أنت جالب دائها ... وشفائها ، فإذا ابتسمت فربما ...
أيكون غيرك مجرما وتبيت فى ... وجل كأنك أنت صرت المجرما ؟

* * *

قال : العدا حولى علت صيحاتهم ... أأسرُّ والأعداء حولى فى الحمى؟
قلت : ابتسم ، لم يطلبوك بذمهم ... لو لم تكن منهم أجل وأعظما !

* * *

قال : المواسم قد بدت أعلامها ... وتعرضت لى فى الملابس والدمى
وعلىَّ للأحباب فرض لازم ... لكنَّ كفى ليس تملك درهما
قلت : ابتسم يكفيك أنك لم تزل ... حياً ، ولست من الأحبة معدما ؟

* * *

قال : الليالى جرّعتنى علقما ... قلت : ابتسم ولئن جرعت العلقما !
فلعل غيرك إن رآك مرنّما ... طرح الكآبة جانباً وترنما ...
أتراك تغنم بالتبرم درهما ... أم أنت تخسر بالبشاشة مغنما ؟

يا صاح ! لا خطر على شفتيك أن تتثلما ، والوجه أن يتحطما
فاضحك ! فأن الشهب تضحك والدجى متلاطم ، ولذا نحب الأنجما
قال : البشاشة ليس تُسعد كائنا يأتى إلى الدنيا ويذهب مرغما
قلت : ابتسم ما دام بينك والردى شبر ، فأنك بعد لن تتبسما !

تأملات

ليت الذى خلق الحياة جميلة لم يسدل الأستار فوق جمالها !
بل ليته سلب العقول فلم يكن أحد يعلل نفسه بمنالها
لله كم تغرى الفتى بوصالها وتضن حتى فى الكرى بوصالها
تدنيه من أبوابها بيمينها وترده عن خدرها بشمالها
كم قلت هذا الأمر بعض صوابها فوجدته بالخبر بعض محالها
ولكم خدعت بآلها وذممته ورجعت أظمأ ما أكون لآلها
قد كنت أحسبنى أمنت ضلالها فاذا الذى خمّنت كل ضلالها
إن النفوس تغرها آمالها وتظل عاكفة على آمالها . .
ذهب الصبا وأنا أعالج سرها متحيراً فى كنهها ومآلها
حتى رأيت الشمس تلقى نورها فى الأرض فوق سهولها وجبالها
ورأيت أحقر ما بناه عنكب متلففاً ، ومطوقاً بحبالها
مثل القصور العاليات قبابها الشامخات على الذرى بقلالها
فعلمت أن النفس تخطر فى الحلى والوشى مثلُ النفس فى أسمالها
ليست حياتك غير ما صورتها أنت الحياة بصمتها ومقالها
ولقد نظرت إلى الحمائم فى الربى فعجبت من حال الأنام وحالها
للشوك حظ الورد من تغريدها وشريكه من بعد فى إعوالها
تشدو وصائدها يمد لها الردى فاعجب لمحسنة إلى مغتالها !
فغبطتها فى أمنها وسلامها ووددت لو أعطيت راحة بالها
وجعلت مذهبها لنفسى مذهباً ونسجت أخلاقى على منوالها
مَنْ لجّ فى ضيمى تركت سماءه تبكى علىّ بشمسها وهلالها
وهجرت روضته فأصبح وردها لليأس كالأشواك فى أدغالها

وزجرت نفسى أن تميـــل كنفسه ... عن كوثر الدنيا إلى أوحالهـــا
نسيانك الجـــانى المسىء فضيلة ... وخمـــود نار جد فى إشعالها
فاربأ بنفسك والحيـــاة قصيرة ... أن تجعل الأضغان من أحمالها

* * *

زمنَ الشباب رحلت غير مذمم ... وتركت للحسرات قلبى الوالها
دبت عقاربهـــا إليه تنوشه ... ورمت بقاياه إلى أصلالهـــا
لم يبق من لذاته إلا الرؤى ... ومن الصبابة غير طيف خيالها
ومن الكئوس سوى صدى رناتها ... والراح غير خمارها وخبالهـــا
يا جنـــة عوجلت عن أثمارها ... ولذاذة عرِّيت من سربالها
ما عابهـــا شىء سوى اضمحلالها ... والذنب للأقدار فى اضمحلالها
وملبحة فى وجهها أَلَقُ الضحى ... والسحر والصهباء فى أقوالهـــا
قالت : أينسى النازحون بلادهم ؟ ... ما هاج حزن القلب غير سؤالها
الأرض ، سوريّا أحب ربوعها ... عندى ، ولبنانٌ أحَب جبالهـــا
والناس أكرمهم على عسيرها ... روحى الفداء لرهطها ولآلها
والشهب أسطعها التى فى أفقها ... ليس الجلال الحق غير جلالها
وأحب غيث ما همى فى أرضها ... حتى الحيا الباكى على أطلالها
مرح الصبا الخذلان فى أسحارها ... ومنى الصبا الولهان فى آصالها
إنى لأعرف ريحهـــا من غيرها ... بنوافح الأشذاء[1] فى أذيالها
تلك المنازل كم خطرت بساحها ... فى ظل ضيغمها[2] وعطف غزالها
وشدوت معْ أطيارها ، وسهرت معْ ... أقمارها ، ورقصت مع شلالها
وسجدت للإلهام مع صفصافها ... وضحكت للأحلام مع وزالها
وملأت عقلى من حديث شيوخها ... وأخذت شعرى من لغى أطفالها
تشتاق عينى قبل يغمضها الردى ... لو أنها اكتحلت ولو برمالها

---

(١) الأشذاء جمع شذى وهو الريح الطيب .
(٢) الضيغم : الأسد .

مرت بى الأعوام تقفو بعضها وثب القطا تعدو إلى آجالها
وتعاقبت صور الجمال ...فلم يدم فى خاطرى منها سوى تمثالها

ابسمى

ابسمى كالورد فى فجر الصباء وابسمى كالنجم إن جن المساء
وإذا ما كفّن الثلج الثرى وإذا ما ستر الغيم السماء
وتعرّى الروض من أزهاره وتوارى النور فى كهف الشتاء
فاحلمى بالصيف ثم ابتسمى تخلقى حولك زهراً وشذاء!!
وإذا سر نفوساً أنها تحسن الأخذ فسرّى بالعطاء
وإذا أعياك أن تعطى الغنى فافرحى أنك تعطين الرجاء!

الكريم

قالوا ألا تصف الكريـ م لنا ؟ فقلت على البديه
إن الكريم لكالربيـ ع تحبه للحسن فيه
وتهش عند لقائه ويغيب عنك فتشتهيه
لا يرتضى أبداً لصا حبه الذى لا يرتضيه
وإذا الليالى ساعفته لا يُدل ولا يتيه
وتراه يبسم هازئاً فى غمرة الخطب الكريه
وإذا تحرّقَ حاسدو ه بكى ورقّ لحاسديه
كالورد ينفح بالشذى حتى أنوف السارقيه ...

الغابة المفقودة

يا لهفة النفس على غابة كنت وهندا نلتقى فيها !
أنا كما شاء الهوى والصِّبا وهى كما شاءت أمانيها
تكاد من لطف معانيها يشربها خاطر رائيها
آمنت بالله وآياته أليس أن الله باريها ؟

* * *

نباغت الأزهار عند الضحى متكئات فى نواحيها

ألوى على الزنبق نسرينها ... والتف عاريها بكاسيها
واختلجت فى الشمس ألوانها ... كأنها تذكر ماضيها
تآلفت . . فالماء من حولها ... يرقص ، والطير تغنيها
من لقّنَ الطير أناشيدها ... وعلم الزهر تآخيها ؟
يا هند ! هذى معجزات الهوى ... وإنها فينا كما فيها
لا تستحى الزهر بأعلانها ... فما لنا نحن نواريها ؟
وتهتف الطير بها فى الربى ... فما لنا نحن نعمّيها ؟
لله فى الغابة أيامنا ... ما عابها إلا تلاشيها
طوراً علينا ظل أدواحها ... وتارة عطف دواليها
وتارة نلهو بأعنابها ... وتارة نحصى أقاحيها
تسكت—إذ نشكو—شحاريرها ... كأنما التغريد يؤذيها
وإن تضاحكنا سمعنا الصدى ... يضحك معنا فى أقاصيها
وإن مشينا فوق كثبانها ... لاحت فشاقتنا أدانيها
وفوقنا الأغصان معقودة ... ذوائبٌ طال تدلّيها . .
إذا هززناها على غرة ... ألقت من الذعر لآليها
نسير من كهف إلى جدول ... نكتشف الأرض ونطويها
والنور عطر فى تعاريجها ... والعطر نور فى حواشيها
وتختبى هند فأشتاقها ... وأختبى عنها فأغريها . .
كم أوهمتنى الخوف من طارىء ... تشجى بذا نفسى فتشجيها
فرُحت أعدو نحوها مشفقاً ... فكان ما حاذرت تمويها
فأعجب لأطوارى وأطوارها ... تعبث منى وأجاريها !

* * *

الله لو دام زمان الهوى ... ودام من هند تجنيها
لا غابتى اليوم كعهدى بها ... ولا التى أحببتها فيها !
ولا تلال كنهود الدمى ... ولا سفوح كتراقيها
ولا الندى دُرٌّ على عشبها ... ولا الأقاحى فى روابيها

ولا الضحى يلقى على أرضها شباك تبر من أعاليها
أهبطنى أمس إلى حضنها شوقى إلى سجع قماريها
فلم تخمّشنى بأوراقها ولم تهلل لى سواقيها
قد بدّل الإنسان أطوارها واغتصب الطيرَ مآويها
وفتّ بالبارود جلمودها واجتث بالفأس دواليها
وشاد من أحجارها قرية سكانها الناس وأهلوها

* * *

يا لهفة النفس على غابة كنت وهندا نلتقى فيها
جنة أحلامى وأحلامها ودار حبى وتصابيها
نبكى من اليأس على شوكها وكان يدمينى ويدميها
كانت تغطينا بأوراقها فصارت الدور تغطيها..!

الطين

نسى الطين ساعة أنه طي ن حقير فصال تيهاً وعربدْ
وكسا الخز جسمه فتباهى وحوى المال كيسه فتمرد
يا أخى ! لا تمل بوجهك عنى ما أنا فحمة ولا أنت فرقد
أنت لم تصنع الحرير الذى تلـ بس واللؤلؤ الذى تتقلد
أنت لا تأكل النضار إذا جع ت ولا تشرب الجمان المنضد
أنت فى البردة الموشّاة مثلى فى كسائى الرديم تشقى وتسعد
لك فى عالم النهار أمان وروئى ، والظلام فوقك ممتد
ولقلبى كما لقلبك أحلا م حسان فأنه غير جلمد..

* * *

أأمانىّ كلها من تراب وأمانيك كلها من عسجد ؟
وأمانىّ كلها للتلاشى وأمانيك للخلود المؤكد ؟
لا ! فهذى وتلك تأتى وتمضى كذوبها ، وأى شىء يؤبد ؟
أيها المزدهى إذا مسك السقـ م ألا تشتكى ؟ ألا تتنهد ؟
وإذا راعك الحبيب بهجر ودعتك الذكرى ألا تتوجد ؟

أنت مثلى يهش وجهك للنع ... مى وفى حالة المصيبة يكمد
أدموعى تحلُّ ودمعك شهد ... وبكائى ذل ونوحك سؤدد ؟
وابتسامى السراب لا ريَّ فيه ... وابتساماتك اللآلى الخرَّد ؟
فلكٌ واحد يظل كلينا ... حار طرفى به وطرفك أرمد
قمر واحد يطل علينا ... وعلى الكوخ والبناء الموطد
إن يكن مشرقاً لعينيك إنى ... لا أراه من كوة الكوخ أسود
النجوم التى تراها أراها ... حين تخفى وعندما تتوقد
لست أدنى – على غناك – إليها ... وأنا مع خصاصتى لستُ أبعد

* * *

أنت مثلى من الثرى وإليه ... فلماذا يا صاحبى التيه والصد
كنت طفلا إذ كنت طفلا وتغدو ... حين أغدو شيخاً كبيراً أدرد
لستُ أدرى من أين جئت ولاما ... كنت ، أو ما أكون ياصاح فى غد
أفتدرى ؟ إذن فخبر وإلا ... فلماذا تظن أنك أوحد ؟
ألك القصر دونه الحرس الشا ... كى ومن حوله الجدار المشيد ؟
فامنع الليل أن يمد رواقا ... فوقه ، والضباب أن يتلبد
وانظر النور كيف يدخل لا يط ... لب إذناً ، فما له ليس يطرد ؟
مرقد واحد نصيبك منه ... أفتدرى كم فيك للذرِّ مرقد ؟
ذدتنى عنه والعواصف تعدو ... فى طلابى والحو أقتم أربد
بينما الكلب واجد فيه مأوى ... وطعاماً ، والهر كالكلب يرفد
فسمعت الحياة تضحك منى ... أترجىَّ ، ومنك تأبى وتجحد

* * *

ألك الروضة الحميلة فيها الـ ... ـماء والطير والأزاهر والند ؟
فازجر الريح أن تهز وتلوى ... شجر الروض . . إنه يتأود
والجُم الماء فى الغدير ومره ... لا يصفق إلا وأنت بمشهد
إن طير الأراك ليس يبالى ... أنت أصغيت أم أنا إن غرد
والأزاهير ليس تسخر من فقـ ... ـرى ولا فيك للغنى تتورد ...

ألك النهر ؟ إنه للنسيم الر طب درْبٌ وللعصافير مورد
وهو للشهب تستحم به فى الصـ ـيف ليـلا كأنهـا تتبرد . .
تدّعيـه ، فهل بأمرك يجرى فى عروق الأشجار أو يتجعد ؟
كان من قبل أن تجىء ، وتمضى وهو باق فى الأرض للجزر والمد

* * *

ألك الحقل ؟ هذه النحل تجنى الشـ ـهد من زهـره ولا تتردد ؟
وأرى للنمال ملكاً كبيراً قد بنته بالكدح فيـه وبالكد
أنت فى شرعها دخيل على الحق ـل ولص جنى عليها فأفسد
لو ملكت الحقول فى الأرض طرا لم تكن من فراشة الحقل أسعد
أجميل ؟ ما أنت أبهى من الور دة ذات الشذى ولا أنت أجود
أم عزيز ؟ وللبعوضة من خد يك قوت وفى يديك المهند !
أم غنىٌّ ؟ هيهات تختال ، لولا دودة القز ، بالحبـاء المبجد
أم قوى ؟ إذن مر النوم إذ يغـ شاك والليل عن جفونك يرتد
وامنع الشيب أن يلم بفوديـ ـك ومر تلبث النضارة فى الخد
أعليم ؟ فما الخيال الذى يط رق ليلا ؟ فى أى دنيا يولد ؟
ما الحيـاة التى تبين وتخفى ؟ ما الزمان الذى يُذم ويحمد ؟
أيها الطين ! لستَ أنقى وأسمى من تراب تدوس أو تتوسد
سدت أو لم تسد فما أنت إلا حيـوان مسـير مسـتعبد
إن قصراً سَمكْتَهُ سوف يندك وثوباً حبكته سـوف ينقـد
لا يكن للخصام قلبك مأوى ان قلبى للحب أصبح معبد
أنا أولى بالحب منك وأحرى من كساء يبلى ، ومال ينفدْ

المسـاء

السحب تركض فى الفضاء الرحب ركض الخائفين
والشمس تبدو خلفها صفراء عاصبة الجبين
والبحر ساج صامت فيه خشوع الزاهدين
لكنما عيناك باهتتان فى الأفق البعيـد
سـلمى ! بماذا تفكرين ؟
سـلمى ! بماذا تحلمين ؟

أرأيتِ أحلام الطفولة تختفى خلف التخوم ؟
أم أبصرت عيناك أشباح الكهولة فى الغيوم ؟
أم خفت أن يأتى الدجى الحانى ولا تأتى النجوم ؟
أنا لا أرى ما تلمحين من المشاهد . . إنما
أظلالهـــا فى ناظريكِ
تنم يا ســـلمى عليك

* * *

إنى أراك كسائح فى القفر ضل عن الطريق
يرجو صديقاً فى الفلاة وأين فى القفر الصديق ؟
يهوى البروق وضوءها ويخاف تخدعه البروق
بل أنت أعظم حيرة من فارس تحت القتام
لا يســـتطيع الانتصار
ولا يطيق الانكســـار

* * *

هـــذى الهواجس لم تكن مرسومة فى مقلتيك
فلقد رأيتك فى الضحى ورأيته فى وجنتيك
لكن وجدتك فى المساء وضعت رأسك فى يديك
وجلستِ فى عينيك ألغاز وفى النفس اكتئاب
مثل اكتئاب العاشـــقين
سلمى ! بماذا تفكرين ؟

* * *

بالأرض كيف هوت عروش النور عن هضباتها ؟
أم بالمروج الخضر ساد الصمت فى جنباتها ؟
أم بالعصافير التى تعدو إلى وكناتهـــا ؟

أم بالمسا ؟ إن المسا يخفى المدائن كالقرى
والكوخ كالقصر المكين
والشوك مثـــل الياسمين

* * *

لا فرق عنـــد الليل بين النهر والمستنقع
يُخْفى ابتسامات الطروب كأدمع المتوجع
إن الجمال يغيب مثل القبح تحت البرقع
لكن لمـــاذا تجزعين على النهار ؟ وللدجى
أحلامه ورغائبهْ
وسماؤه وكواكبه؟

* * *

إن كان قد ستر البـــلاد سهولها ووعورها
لم يسلب الزهر الأريج ولا المياه خريرَها
كلا ، ولا مَنع النسائم فى الفضاء مسيرها
ما زال فى الورق الحفيف وفى الصَّبا أنفاسها
والعندليب صداحه
لا ظفره وجناحه

* * *

فاصغى إلى صوت الحداول جاريات فى السفوحْ
واستنشقى الأزهار فى الحنات ما دامت تفوح
وتمتعى بالشهب فى الأفلاك ما دامت تلوح
من قبل أن يأتى زمان كالضباب أو الدخان
لا تبصرين به الغدير
ولا يلذُّ لك الخرير

* * *

لتكن حياتك كلهـــا أملا جميـــلا طيبا
ولتملأ الأحلامُ نفسك فى الكهولة والصـــبا

مثل الكواكب فى السماء وكالأزاهر فى الربى
ليكن بأمر الحب قلبك عالمـاً فى ذاته
أزهاره لاتذبلُ
ونجومه لا تأفل

* * *

مات النهار ابن الصباح فلا تقولى كيف ماتْ
إن التأمل فى الحيـاة يزيد أوجاع الحياة
فدعى الكآبة والأسى واسترجعى مرَح الفتاة
قد كان وجهك فى الضحى مثل الضحى متهللا
فيه البشاشة والبهاء
ليكن كذلك فى المساء

ابن الليل

أشرف البدر على الغابة فى إحدى الليـالى
فرأى الثعلبَ يمشى خلسـة بين الدوالى
كلما لاح خيـال خاف من ذاك الخيال
واقشعرا
ورأى ليثاً هصوراً واقفاً عنـد الغدير
كلما استشعر حسـاً ملأ الوادى زئير
فاذا بالمـاء يجرى خائفاً عنـد الصخور
مكفهراً
ورأى البـدرَ ابنُ آوى يتهادى فى الفضاء
كمليك حوله الشهب جنـود وإماء
قال : لو كنتُ رفيق البدر أو بدر السماء
أو خياله !
عشتُ حراً جيرتى الشهب ولى الظلماء مركب

آمناً ألعب بالبرق وطوراً بىَ يلعبْ
لا أبالى سـطوة الراعى ولا الكلب المجرب
وصياله
غير أن الليث لما أبصر البدر الضحوكا
قال : يا ابن الليل مهما أشتهى لا أشتهيكا
أنت وضاح ولكن قاحل لا صيد فيكا!
أو حيالك !
لك هـذا الأفق لكن هو أيضاً للكواكب
إنما لو كنتَ ليثاً ذا نيوب ومخالب
لم تعث فى وجهك الوضاح ألحاظ الثعالب
صن جمالك !

هى . .

أروى لكم عن شاعر ساحر حكاية يُحمد راويهـا
قال : دعا أصحابه سـيد فى ليلة رقت حواشيهـا
فانتظمت فى قصره عصبة كريمة لا واغلٌ فيهـا
من نبلاء الشعب ساداتها وخيرة الغيـد غوانيهـا
حتى إذا ما جلسوا كلهم وطاف بالأكواب سـاقيها
قام أمير القصر فى كفـه كأس أعارته معانيهـا
وقال : يا صحب على ذكركم أملؤها حبـاً وأحسوها
وذكرِ من قلبىَ عبد لها ومهجتى إحدى جواريها
حبيبتى « لميـاء » سميتها ولم أكن قبلا أسميهـا
فشربوا كلهمُ سرهـا وهتفوا كلهمُ تيهـا
فأجزل الشـكر لأصحابه الشـكر للنعمة يبقيهـا
وصاح بالساقى علينا بهـا فطاف بالأكواب ساقيهـا
وقال للأضياف : سمعا ! فلى كلمة ، ألعـدل يمليهـا
ما أنا وحدى الصب فيكم ولا كل العذارى من أناجيهـا

فكل نفس مثل نفسى لها ... فى هـذه الدنيا أمانيهـا
وكل قلب مثل قلبى له ... حسـناء ترجوه ويرجوها
يا صحب من كانت به صبوة ... يعلنهـا الآن ويبديهـا
فنهضوا ثانيـة كلهـم ... ورفعوا الكاسات تنويهـا
كلهمُ يشرب سر التى ... يهوى من الغيد ويطريهـا

* * *

وكان فى الشّرب فتى باسل ... طلعته تسـحر رائيهـا
شارك فى أول أقداحهم ... ولم يشاركهم بثانيهـا
وأنت؟ قال الصحب واستضحكوا ... هل لك حسناء نحييها ؟
قال أجل : أشرب سر التى ... بالروح تفدينى وأفديهـا
صُورتهـا فى القلب مطبوعة ... لا شىء حتى الموت يمحوها
لا ترتضـانى رياء ، ولا ... تلثمنى كِذْباً وتمويهـا
يضيع مالى ويزول الصِّبا ... وحبهـا باق وحبيهـا
قد وهبتنى روحها كلها ... ولم تخف أنى أضحيها
سرَّ التى لا غادة بينكم ... مهما سمت فى الحب تحكيها
فأجفلوا منه كمن حيـةٌ ... نهاشة قد عز راقيهـا
وقالت الغادات أفٍّ له ... قد شوه المجلس تشويهـا
لو ظل فيما بيننا صامتا ... لم تسمع الآذان مكروها
وقلقل الفتيان أسيافهم ... فأوشكت تبـدو حواشيها
وتعتع الشـادى بألحانه ... وماجت الدار بمن فيهـا
وقال قوم : خبلته الطلا ... وقال قوم : صار معتوها
فصاح ربُّ الدار : ياسيدى ... وصفتها ، لم لا تسميها ؟

أتخجل باسم من تهوى ؟
أحسناء بغير اسم ؟
فأطرق غـير مكترث
وتمتم خاشعاً . . . أمى . .

فى القفر

سئمتْ نفسى الحياة مع النا س وملّت حتى من الأحباب
وتمشت فيها الملالة حتى ضجرت من طعامهم والشراب
ومن الكِذْب لابساً بردة الصـ ـدق وهذا مسربلا بالكِذاب
ومن القبح فى نقاب جميل ومن الحسن تحت ألف نقاب
ومن العابدين كل إلـٰه ومن الكافرين بالأرباب
ومن الواقفين كالأنصاب ومن الساجدين للأنصاب
ومن الراكبين خيل المعالى ومن الراكبين خيل التصابى
والألى يصمتون صمت الأفاعى والألى يهزجون هزج الذباب
صغرت حكمة الشيوخ لديها واستخفت بكل ما للشباب
قالت : اخرج من المدينة للقفـ ـر ففيه النجاة من أوصابى
ولْيكُ الليل راهبى ، وشموعى الشـ ـهب ، والأرض كلها محرابى
وكتابى الفضاء أقرأ فيـــه سوراً ما قرأتها فى كتاب
وصلاتى الذى تقول السواقى وغنائى صوت الصَّبا فى الغاب
وكئوسى الأوراق ألقت عليها الشـ ـمس ذوب النضار عند الغياب
ورحيقى ما سال من مقلة الفجـ ـر على العشب كاللجين المذاب
ولتكحل يد السماء جفونى ولتعانق أحلامه أهدابى
وليقبّل فم الصباح جبينى وليعطر أريجـــه جلبابى
ولأكن كالغراب رزقى فى الحقـ ـل وفى السفح مجثمى واضطرابى
ساعة فى الخلاء خير من الأعـ ـوام تُقضى فى القصر والأحقاب

* * *

يا لنفسى فانهـــا فتنتنى بالحديث المنمق الخلاب
فاذا بى أقلى القصور وسكنا ها وأهل القصور ذات القباب
فهجرت العمران تنفض كفى عن ردائى غباره وإهابى
وتركت الحِمى وسرت وإيا ها وقد ذهّب الأصيل الروابى

نهتدى بالضحى فأن عسعس الليـ ... ـل جعلنا الدليل ضوء الشهاب
وقضينا فى الغاب وقتاً جميلا ... فى جوار الغدران والأعشاب
تارة فى ملاءة من شعاع ... تارة فى ملاءة من ضباب
تارة كالنسيم نمرح فى الوا ... دى وطوراً كالجدول المنساب
فى سفوح الهضاب والظل فيها ... ومع النور وهو فوق الهضاب
إنما نفسىَ التى ملت العم ... ران ملت فى الغاب صمت الغاب
فأنا فيه مستقل طليق ... وكأنى أدبُّ فى سرداب !
علمتنى الحياة فى القفر أنى ... أينما كنت ساكن فى التراب
وسأبقى ما دمت فى قفص الصلـ ... ـصال عبد المنى أسير الرغاب
خلت أنى فى القفر أصبحت وحدى ... فاذا الناس كلهم فى ثيابى ...

الدمعة الخرساء

سمعتْ عويل النائحات عشية ... فى الحى يبتعث الأسى ويثير
يبكين فى جنح الظلام صبية ... إن البكاء على الشباب مرير
فتجهمتْ وتلفتت مرتاعة ... كالظبى أيقن أنه مأسور
وتحيرت فى مقلتيها دَمْعةٌ ... خرساء لا تهمى وليس تغور
فكأنها بطل تكنَّفه العدى ... بسيوفهم وحسامه مكسور
وجمت فأمسى كل شىء واجماً ... النور والأظلال والديجور
الكون أجمع ذاهل لذهولها ... حتى كأن الأرض ليس تدور
لا شىء مما حولنا وأمامنا ... حُسنٌ لديها ، والجمال كثير ..
سكت الغدير كأنما التحف الثرى ... وسها النسيم كأنه مذعور
وكأنما الفلك المنوَّر بلقع ... والأنجم الزهراء فيه قبور
كانت تمازحنى وتضحك ، فانتهى ... دور المزاح فضحكها تفكير ..

* * *

قالت وقد سلخ ابتسامتها الأسى : ... صدق الذى قال : الحياة غرور
أكذا نموت وتنقضى أحلامنا ... فى لحظة وإلى التراب نصير ؟
وتموج ديدان الثرى فى أكبُد ... كانت تموج بها المنى وتمور ؟

خير إذن منا الألى لم يولدوا ... ومن الأنام جلامد وصخور
ومن العيون مكاحل ومراود ... ومن الشفاه مساحق وذرور
ومن القلوب الخافقات صبابة ... قَصَبٌ لوقع الريح فيه صفير !

* * *

وتوقفت فشعرتُ بعد حديثها ... أن الوجود مشوش مبتور
الصيف ينفث حره من حالنا ... وأنا أحس كأنني مقرور
ساقت إلى قلبي الشكوك فنغصت ... ليلي، وليس مع الشكوك سرور
وخشيت أن يغدو مع الريب الهوى ... كالرسم ، لا عطر وفيه زهور
وكدمية المثّال حسن رائع ... ملء العيون وليس ثَمَّ شعور
فأجبتها : لتكن لديدان الثرى ... أجسامنا ! إن الجسوم قشور ..
لا تجزعي ! فالموت ليس يضيرنا ... فلنا إياب بعده ونشور
إنا سنبقى بعد أن يمضي الورى ... ويزول هذا العالم المنظور
فالحب نور خالد متجدد ... لا ينطوي إلا ليسطع نور
وبنو الهوى أحلامهم ورؤاهُمُ ... لا أعين ومراشفٌ ونحور . .
فإذا طوتنا الأرض عن أزهارها ... وخلا الدجى منا وفيه بدور
فسترجعين خميلة معطارة ... أنا في ذراها بلبل مسحور
يشدو لها ويطير في جنباتها ... فتهش إذ يشدو وحين يطير
أو جدولا مترقرقاً مترنما ... أنا فيه موج ضاحك وخرير
أو ترجعين فراشة خطّارة ... أنا في جناحيها الضحى الموشور
أو نسمة أنا همسها وحفيفها ... أبداً تطوِّف في الربى وتدور
تغشى الخمائل في الصباح بَليْلَةً ... وتؤوب حين تؤوب وهي عبير
أو تلتقي عند الكثيب على رضى ... وقناعة صفصافة وغدير
تمتد فيه وفي ثراه عروقها ... ويسيل تحت فروعها ويسير
ويغوص فيه خيالها ، فيلفه ... ويشف فهو المنطوي المنشور
يأوي إذا اشتد الهجير إليهما ... الناسكان : الظبي والعصفور
لهما سكينتها ووارف ظلها ... والماء إن عطشا لديه وفير

أعجوبتان : زبرجد متهدل ... نام ، تدفق تحته البلور
لا الصبح بينهما يحول ولا الدجى ... فكلاهما بكليهما مغمـــور
تتعاقب الأيام وهى نضيرة ... مخضرة الأوراق ، وهو نمير
فالدهر أجمعه لديهـــا غبطة ... والدهر أجمعه لديه حبور

* * *

فتبسمت وبدا الرضا فى وجهها ... إذ راقها التمثيل والتصوير
عالجتُـها بالوهم فهى قريرة ... ولكم أفاد الموجَعَ التخدير
ثم افترقنا ضاحكين إلى غد ... والشهب تهمس فوقنا وتشير
هى كالمسافر آب بعد مشقة ... وأنا كأنى قائد منصور !
لكننى لمـــا أويت لمضجعى ... خشـن الفراش علىّ وهو وثير
وإذا سراجى قد وهت وتلجلجت ... أنفاسه ، فكأنه المصدور
وأجلت طرفى فى الكتاب فلاح لى ... كالرسم مطموساً وفيه سطور
وشربت بنت الكأس أحسب راحتى ... فيها فطاش الظن والتقـــدير
فكأننى فُلك وهت أمراسها ... والبحر يطغى حولها ويثور
حامت على روحى الشكوك كأنها ... وكأنهن فريسة وصـــقور
ولقد لجأت إلى الرجاء فعقنى ... أما الخيال فخائب مدحور
يا ليل ! أين النور ؟ إنى تائه ... مُـرْ ينبثق ! أم ليس عندك نور ؟

* * *

« أكذا نموت وتنقضى أحلامنا ... فى لحظة وإلى التراب نصير ؟
خير إذن منا الألى لم يولدوا ... ومن الأنام جنادل وصخور »

ليل الأشواق

رُب ليل نجومه ضاحكات ... مثل أحلام غادة فى صباها
لمست أصبع السكينة أشو ... اقى فهبت مذعورة من كراها
كطيور فى الأسر تبغى انعتاقاً ... قبل أن يُفسد الإسار لغاها
أبِقَ النوم ، فانطلقتُ إلى النهـ ... ـر بنفس كادت تسيل دماها
ومعى صاحب رقيق الحواشى ... تجد النفس فى رؤاه رؤاها

إن دجت ليلة أراك ضحاها أو ذوت زهرة أراك شذاها

* * *

قال : ما أجمل الكواكب ما أحـ ـلى سناها ! فقلت : ما أحلاها !
قال : لا شوق لا صبابة لولا ها ! فتمتمت قائلا : لولاها
قال : هل تشتهى الوصول إليها ؟ قلت : إنى لا أشتهى إلاها !

* * *

كان طرفى يجول فى العالم الأعـ ـلى وروحى تجول فى مغناها
وجليسى يظن فى الشهب قصدى وأنا أحسب الحليس عناها
قال : والنهر كم طوى من صبابا ت ! فأطرقت أستشف المياها
فأذا النهر فيه رعشة روحى حين يدوى فيها صدى ذكراها
قال : والليل... قلت : حسبك إعنا ت لنفسى ، وحسب نفسى دجاها !
فانقطعنا عن الكلام وبتنا كل نفس لذاتها نجواها

* * *

خلت أنى إذا بعدت سأنسا ها ويطوى الزمان سِفْرَ هواها
وتوهمت أننى سوف ألقى ألف ليلى وألف هند سواها
فاذا الحب كالفضاء وقلبى طائر فى الفضاء ضل وتاها
أنا فى عالم قصى سحيق لا أراها ، لكن روحى تراها
قد نشقت الأزهار فى كل أرض يا شذاهن لست مثل شذاها !
كيف أنسى ، وأينما سرت فى الدنـ ـيا أرانى أسير فى دنياها ؟
وإذا ما لمحت فى الأرض حسنا فكأنى لمحتهـا إياها . . .
وإذا داعب النسيم ردائى قلت : قد علمته هذا يداها !
هى أدنى من الأمانى إلى قلـ ـبى ، وقلبى يصيح : ما أقصاها !
لست أشكو النوى ملالا ولكن طرب الروح أن تذيع جواها

* * *

قال قوم إن المحبـة إثم ويح بعضِ النفوس ما أغباها !
إن نفساً لم يشرق الحب فيها هى نفس لم تَدْرِ ما معناها

خوّفونى جهنما ولظاهـــا أى شىء جهنم ولظاها ؟
ليس عند الإله نار لذى حـــــب ونار الإنسان لا أخشاها
أنا بالحب قد وصلت إلى نفـ سى ، وبالحب قد عرفت الله !

الفراشة المحتضرة

لو كان لى غير قلبى عند مرآكِ لمـــا أضاف إلى بلواه بلواك !
فيم ارتجاجك ؟ هل فى الجو زلزلة أم أنت هاربة من وجه فتّاك ؟
وكم تدورين حول البيت حائرة بنتَ الربى ليس مأوى الناس مأواك
قالوا فراشة حقل لا غناء بهـــا ما أفقر الناس فى عينى وأغناك !
سيماء غاوية ، أطوار شـــاعرة على زهادة عُبّاد ونساك
طغراء مملكة وَشّى حواشيها من ذوّبَ الشمس ألواناً ووشاك
رأيت أحلام أهل الحب كلهم لما مثلتِ أمامى عند شباكى
من نائمين على ذل ومتربة ومن تِجَار وأشراف وأملاك
وَقصّ شكواك قلبى قصة عجبا من قبل أن سمعت أذناى شكواك
أليس فيكِ من العشاق حيرتهم فكيف لا يفهم العشاق نجواك ؟

* * *

حلمتِ أن زمان الصيف منصرم ويلاه ! حققت الأيام رؤياك
فقد نعاه إليك الفجر مرتعشا وليس منعاه إلا بعض منعاك
فالزهر فى الحقل أشلاء مبعثرة والطير . . . لا طائر إلا جناحاك
مَدّ النهار إليه كف مختلس وفتّح الليل فيه عين سـفاك
شـــاء القضاء بأن يشقى فجرده من الحلىِّ ، وأن تشقى فأبقاك
لم يبق غيرك شىء من محاسنه ولا من العابدين الحسن إلاك !
تزوّد الناس منه الأنس وانصرفوا وما تزود إلا اليأس جفنـــاك

* * *

يا روضةً فى سماء الروض طائرة وطائراً كالأقاحى ذا شذى ذاكى
مضى مع الصيف عهد كنتِ لاهية على بساط من الأحلام ضَحّاك
تُمسين عند مجارى المـــاء نائمة وللأزاهر والأعشـاب مغداك

فكلما سمعت أذْناك ساقية ... حثثتِ للسفح من شوق مطاياك
وكلما نَوَّرَت فى السفح زنبقة ... صفقت من طرب واهتز عطفاك
فما رشفتِ سوى عطر ولاانفتحت ... إلا على الحَسَنِ المحبوب عيناك
وكم لثمت شفاه الورد هائمة ... وكم مسحت دموع النرجس الباكى
وكم ترجحت فى مهد الضياء على ... توقيع لحن الصبا أو رجعه الحاكى

* * *

وكم ركضت فأغريت الصغار ضحى ... بالركض فى الحقل ملهاهم وملهاك
مَنَّوْا بأسرهمُ إياك أنفسهم ... فأصبحوا بتمنيهم أسراك
جروا قصاراهم حتى إذا تعبوا ... وقفت ساخرة منهم قصاراك
لولا جناحاك لم تسلم طريدتهم ... قد نجياك ، ولكن أين منجاك ؟
ها أنت كالحقل فى نزع وحشرجة ... وهت قواك كما استرخى جناحاك
أصبحتِ للبؤس فى مغناك تائهة ... كأنه لم يكن بالأمس مغناك

* * *

فراشةَ الحقل ! فى روحى كآبته ... مما عراه ، ومما قد تولاك
أحببته وهو دار تلعبين بها ... وسوف تهواه نفسى وهو مثواك
قد بات قلبىَ فى دنيا مشوشة ... منذ التفتُّ إلى آثار دنياك
لا يستقر بها إلا على وجل ... كالطير بين أحابيل وأشراك
خلت أرائك كانت أمس آهلة ... غنَّاءَ ، فاليوم لا شاد ولا شاك
أرض خلاء وجو غير ذى ألق ... بلى ! هناك ضباب فوق أشواك
فياريح الخريف العاتيات كفى ... عصفاً ! فقد كثرت فى الأرض قتلاك
كيف اعتذارك إن قال الإلـٰه غدا ... هل الفراشة كانت من ضحاياك ؟
يا نغمة تتلاشى كلما بعدت ... إن غبت عن مسمعى ماغاب معناك
ما أقدر الله أن يُحييك ثانية ... مع الربيع كما من قبل سوَّاك !
فيرجع الحقل يزهو فى غلائله ... وترجعين وأغشاه فألقاك !

كن بلسماً

كن بلسما إن صار دهرك أرقما ... وحلاوة إن صار غيرك علقما
إن الحيـــاة حبتك كل كنوزها ... لا تبخلن على الحياة ببعض ما
أحسن وإن لم تُجْزَ حتى بالثنا ... أى الجزاء الغيث يبغى إن همى؟
من ذا يكافىء زهـــرة فواحة ... أو من يثيب البلبل المترنمـــا ؟
عُـدَّ الكرام المحسنين وقسهم ... بهما تجد هـــذين منهم أكرما
يا صاح خذ عِـلْم المحبـــة عنهما ... إنى وجدت الحب علما قيما
لو لم تفح هذى ، وهذا ما شدا ... عاشت مذممة وعاش مذممـــا
أيقظ شعورك بالمحبة إن غفـــا ... لولا شعور الناس كانوا كالدُّمى
أحبب فيغدو الكوخ كوخاً نيرا ... وابغض فيمسى الكون سجنا مظلما
ما الكأس، لولا الخمر، غير زجاجة ... والمرء ، لولا الحب ، إلا أعظما
كرِهَ الدجى فاســـود إلا شهبه ... بقيت لتضحك منه كيف تجهما
لو تعشق البيداء أصبح رملهـــا ... زهراً ، وصار سرابها الخداع ما
لو لم يكن فى الأرض إلا مبغض ... لتبرمت بوجـــوده وتبرمـــا
لاح الجمال لذى نُهىً فأحبه ... ورآه ذو جهـــل فظن ورجما
لا تطلبن محبة من جاهـــل ... المرء ليس يحب حتى يفهما
وارفق بأبناء الغبـــاء كأنهم ... مرضى ، فان الجهل شىء كالعمى
وَالِـهُ بورد الروض عن أشواكه ... وانس العقارب إن رأيت الأنجما

الشاعر فى السماء

رآنىَ الله ذات يـــوم ... فى الأرض أبكى من الشقاء
فَرَقَّ والله ذو حنان ... على ذوى الضر والعناء
وقال : ليس التراب دارا ... للشعر ! فارجع إلى السماء
وشاد فوق السماك بيتى ... ومد ملكى على الفضاء
فالتفَّتِ الشهب حول عرشى ... وسار فى طاعتى الضياء
وصرت لا ينطوى صباح ... إلا بأمرى ولا مســـاء
ولا تسوق الغيومَ ريح ... إلا ولى فوقهـــا لواء

فالأمر بين النجوم أمرى ... لى الحكم فيها ولى القضاء

* * *

لكننى لم أزل حزينا ... مكتئب الروح فى العلاء
فاستغرب الله كيف أشقى ... فى عالم الوحى والسناء
وقال : ما زال آدميا ... يصبو إلى الغيد والطلاء
ومسّ روحى واستل منها ... شوقى إلى الخمر والنساء
وظن أنى انتهى بلائى ... فلم يزدنى سوى بلاء !
واشتد نوحى وصار جهراً ... وكان من قبلُ فى الخفاء
وصار دمعى سيول نار ... وكان قبلا سيول ماء ...

* * *

يأيها الشاعر المُغَنّ ... حيرنى داؤك العياء !
هل تشتهى أن تكون طيرا ؟ ... فقلت : كلا ! ولا غناء !
هل تشتهى أن تكون نجما ؟ ... أجبت : كلا ! ولا بهاء !
هل تبتغى المال؟ قلت : كلا ... ما كان من مطلبى الثراء
ولا قصورا ، ولا رياضا ... ولا جنودا ، ولا إماء
وليس ما بى يا رب داء ... ولا احتياجى إلى دواء
ولا حنينى إلى القنانى ... ولا اشتياقى إلى الظباء !
ولا أريد الذى لغيرى ... ذا حكمة كان أم مضاء
لكن أمنية بنفسى ... يسترها الخوف والحياء !
فقال : يا شاعراً عجيبا ... قل لى إذن ما الذى تشاء ؟
فقلت : يارَبِّ فَصْلُ صيف ... فى أرض لبنان أو شتاء !
فانى ههنا غريب ... وليس فى غربة هناء
فاستضحك الله من كلامى ... وقال : هذا هو الغباء !
لبنان أرض ككل أرض ... وناسه والورى سواء !
وفيه بؤسىَ وفيه نعمى ... وأردياء وأتقياء
فأى شىء تشتاق فيه ؟ ... فقلت : ما سَرَّنى وساء !

تحن نفسى إلى السواقى إلى الأقاحى ، إلى الشذاء
إلى الروابى تعرى وتكسى إلى العصافير والغناء
إلى العناقيد والدوالى والماء والنور والهواء !
فأشرف الله من علاه يشهد لبنان فى المساء
فقال : ما أنت ذو جنون وإنما أنت ذو وفاء
فإن لبنان ليس طوداً ولا بلاداً ، لكن سماء !

الغبطة فكرة

أقبل العيد ولكن ليس فى الناس المسرة
لا أرى إلا وجوهاً كالحات مكفهرة
كالركايا لم تدع فيها يد الماتح قطرة
أو كمثل الروض لم تترك به النكباء زهرة
وعيوناً دَنقت فيها الأمانى المستحرة
فهى حيرى ذا هلات فى الذى تهوى وتكره
وخدوداً باهتات قد كساها الهم صفرة
وشفاها تحذر الضحك كأن الضحك جمرة
ليس للقوم حديث غير شكوى مستمرة
قد تساوى عندهم لليأس نفع ومضرة
لا تسل ماذا عراهم كلهم يجهل أمره
حائر كالطائر الخائف قد ضيع وكره
فوقه البازىُّ والأشراك فى نجد وحفرة
فهو إن حط إلى الغبراء شك السهم صدره
وإذا ما طار لاقى قشعم الجو وصقره
كلهم يبكى على الأمس ويخشى شر « بكره »
فَهُمُ مثل عجوز فقدت فى البحر إبرة !

* * *

أيها الشاكى الليالى إنما الغبطة فكرة

ربما استوطنت الكوخ وما فى الكوخ كسرة
وخلت منها القصور العاليات المشمخرة
تلمس الغصن المعرّى فاذا فى الغصن نضرة
وإذا رفّت على القفر استوى ماء وخضرة
وإذا مست حصاة صقلتها فهى درة
لك، ما دامت لك، الأرض وما فوق المجرة
فاذا ضيعتها فالكون لا يعدل ذرة
أيها الباكى رويداً ! لا يسدُّ الدمع ثغرة
أيها العابس لن تعطى على التقطيب أجرة
لا تكن مراً ولا تجعل حياة الغير مرة
إن من يبكى له حَوْلٌ على الضِّحك وقدرة
فتهلَّلْ وترنم فالفتى العابس صخرة
سكن الدهر وحانت غفلة منه وغرة
إنه العيد ... وإن العيد مثل العرس مَرة ..

كم تشتكى

كم تشتكى وتقول إنك معدم — والأرض ملكك والسما والأنجم؟
ولك الحقول وزهرها وأريجها — ونسيمها والبلبل المترنمُ
والماء حولك فضة رقراقة — والشمس فوقك عسجد يتضرم
والنور يبنى فى السفوح وفى الذرى — دوراً مزخرفة وحيناً يهدم
فكأنه الفنان يعرض عابثا — آياته قُدّامَ من يتعلم . .
وكأنه لصفائه وسنائه — بحر تعوم به الطيور الحوَّمُ
هشَّت لك الدنيا فمالك واجماً — وتبسمت فعلام لاتتبسم؟
إن كنت مكتئباً لعز قد مضى — هيهات يرجعه إليك تندُّم
أو كنت تشفق من حلول مصيبة — هيهات يمنع أن تحل تَجَهُّمُ
أوكنت جاوزت الشباب فلا تقل — شاخ الزمان فانه لا يهرم
انظر فما زالت تطل من الثرى — صور تكاد لحسنها تتكلم

ما بين أشجار كأن غصونها ... أيد تصفق تارة وتسلم
وعيون ماء دافقات فى الثرى ... تشفى السقيم كأنما هى زمزم !
ومسارح فتن النسيمَ جمالهُا ... فسرى يدندن تارة ويهمهم ..
فكأنه صب بباب حبيبة ... متوسل ، مستعطف ، مسترحم
والجدول الجذلان يضحك لاهياً ... والنرجس الوهان مُغْفٍ يحلم
وعلى الصعيد ملاءة من سندس ... وعلى الهضاب لكل حسن ميسم
فهنا مكان بالأريج معطر ... وهناك طود بالشعاع معمم
صور وآيات تفيض بشاشة ... حتى كأن الله فيها يبسم !
فامش بعقلك فوقها متفهماً ... إن الملاحة مِلْكُ من يتفهم
أتزور روحَك جنةٌ فتفوتها ... كيما تزورك بالظنون جهنم ؟
وترى الحقيقة هيكلا متجسداً ... فتعافها لوساوس تتوهم ؟
يا من يحن إلى غد فى يومه ... قد بعت ما تدرى بما لا تعلم ..

الطلاسم (١)

جئت لا أعلم من أين ، ولكنى أتيتُ
ولقد أبصرتُ قدّامى طريقاً فمشَيتُ
وسأبقى سائراً إن شئت هذا أم أبيتُ
كيف جئتُ؟ كيف أبصرت طريقى؟
لست أدرى

أجديد أم قديم أنا فى هذا الوجود
هل أنا حر طليق أم أسيرٌ فى قيود
هل أنا قائد نفسى فى حياتى أم مقود ؟
أتمنى أننى أدرى ، ولكن
لست أدرى

---

(١) مختارات منها .

وطريقى ما طريقى ؟ أطويل أم قصير؟
هل أنا أصعد أم أهبط فيه وأغور؟
أأنا السائر فى الدرب أم الدرب تسير
أم كلانا واقف والدهر يجرى؟
لست أدرى

ليت شعرى وأنا فى عالم الغيب الأمينْ
أترانى كنت أدرى أننى فيه دفين
وبأنى سوف أبدو وبأنى سأكون
أم ترانى كنت لا أدرك شيئاً؟
لست أدرى

أترانى قبلما أصبحت إنساناً سويا
كنت محواً أو محالا أم ترانى كنت شيّا ؟
ألهذا اللغز حل ؟ أم سيبقى أبديا
لست أدرى.. ولماذا لست أدرى؟
لست أدرى

البحر

قد سألت البحر يوماً هل أنا يا بحر منكا
أصحيح ما رواه بعضهم عنى وعنكا ؟
أم ترى ما زعموا زوراً وبهتانا وإفكا ؟
ضحكت أمواجه منى ، وقالت :
لست أدرى

أيها البحر أتدرى كم مضت ألف عليكا
وهل الشاطىء يدرى أنه جاثٍ لديكا
وهل الأنهار تدرى أنها منك إليكا
ماالذى الأمواج قالت حين ثارت؟
لست أدرى

أنت يا بحر أسير آه ما أعظم أسرك !
أنت مثلى أيها الجبار لا تملك أمرك
أشبهت حالك حالى وحكى عذرىَ عذرك
فمتى أنجو من الأسْر وتنجو؟

لست أدرى

ترسل السحب فتسقى أرضنا والشجرا
قد أكلناك وقلنا قد أكلنا الثمرا
وشربناك وقلنا قد شربنا المطرا
أصواب ما زعمنا أم ضلال ؟

لست أدرى

قد سألتُ السحْب فى الآفاق هل تذكر رَمْلَكْ
وسألت الشجر المورق هل يعرف فضلك
وسألت الدر فى الأعناق هل تذكر أصلك ؟
وكأنى خلتها قالت جميعا :

لست أدرى

يرقص الموج وفى قاعك حرب لن تزولا
تخلق الأسماك لكن تخلق الحوت الأكولا
قد جمعتَ الموت فى صدرك والعيش الجميلا
ليت شعرى أنتَ مَهْدٌ أم ضريح؟

لست أدرى

كم فتاة مثل ليلى وفتى كابن الملوَّحْ
أنفقا الساعات فى الشاطىء تشكو وهو يشرحْ
كلما حدث أصغت وإذا قالت ترنح ..
أحفيف الموج سرٌّ ضيعاه

لست أدرى

كم ملوك ضربوا حولك فى الليـــل القبابا
طلع الصبح ولكن لم يجـــد إلا ضبابا
أَلَهُمْ يا بحر يوماً رجعـــة أم لا مآبا ؟
أهمُ فى الرمل ؟ قال الرمل إنى

لست أدرى

فيـــك مثلى أيهـــا الجبار أصداف ورملُ
إنمـــا أنت بلا ظل ولى فى الأرض ظـــل
إنما أنت بلا عقل ولى يا بحر عقـــل
فلماذا يا ترى أمضى وتبقى ؟

لست أدرى

يا كتاب الدهر قل لى أله قَبْل وبَعـــد ؟
أنا كالزورق فيـــه وهو بحر لا يحـــد
ليس لى قصد ، فهل للدهر فى سيرىَ قصد ؟
حبذا العلم ! ولكن كيف أدرى ؟

لست أدرى

إن فى صدرىَ يا بحر لأسراراً عجـــابا
نزل الســـتر عليها وأنا كنت الحجابا
ولذا أزدادُ بعـــداً كلما ازددت اقـــترابا
وأرانى كلما أوشكت أدرى

لست أدرى

إننى يا بحر بحرٌ شـــاطئاه شـــاطئاكا
الغـــد المجهول والأمس اللذان اكتنفاكا
وكلانا قطرة يا بحر فى هـــذا وذاكا
لا تسلنى ما غدٌ ما أمس ؟ إنى

لست أدرى

فى الدير

قيـــل لى : فى الدير قومٌ أدركوا سر الحياةْ
غير أنى لم أجد غير عقول آســـناتْ
وقلوب بَلِيَـتْ فيهـــا المنى فهى رفات
ما أنا أعمى فهل غيرىَ أعمى ؟

لست أدرى

قيل : أدرَى الناس بالأسرار سكان الصوامعْ
قلت : إن صح الذى قالوا فإن السر شائع
عجباً كيف ترى الشمسَ عيون فى براقع؟
والتى لم تتبرقع لا تراهـــا ؟

لست أدرى

إن تلك العزلة نسكاً وَتُـقًى فالذئب راهب
وعرين الليث دير حبه فرض وواجب
ليت شعرى أيميت النُّسك أم يحيى المواهب ؟
كيف يمحو النسك إثماً وهو إثم ؟

لست أدرى

إننى أبصرت فى الدير وروداً فى سياجِ
قنعتْ بعـــد الندى الطاهر بالمـــاء الأجاج
حولها النور الذى يحيى وَترْضى بالدياجى
أمِنَ الحكمة قتل القلب صبرا ؟

لست أدرى

قد دخلت الدير عند الفجر كالفجر الطروبْ
وتركت الدير عند الليل كالليل الغضوب
كان فى نفسىَ كرب صار فى نفسى كروب
أمن الدير أم الليل اكتئابى ؟

لست أدرى

قد دخلتُ الدير أستنطق فيه الناسكينا
فاذا القوم من الحيرة مثلى باهتونا
غلب اليأس عليهم فهُمُ مستسلمونا
وإذا بالباب مكتوب عليه:

لست أدرى

عجباً للناسك القانت وهو اللوذعى
هجر الناس وفيهم كلُّ حسن المبدع
ومضى يبحث عنه فى المكان البلقع
أرأى فى القفر ماء أم سرابا؟

لست أدرى

كم تمارِى أيها الناسك فى الحق الصريح
لو أراد الله أن لا تعشق الشىء المليح
كان إذ سوّاك سوّاك بلا قلب وروح
فالذى تفعل إثم . . قال إنى

لست أدرى

أيها الهارب إن العار فى هذا الفرار
لا صلاحٌ فى الذى تصنع حتى للقفار
أنت جانٍ أىُّ جان ، قاتل فى غير ثار
أفيرضى الله عن هذا ويعفو؟

لست أدرى

ميخائيل نعيمة

— ١٨٨٩

وهناك فى قرية بسكنتا الوادعة المرتفعة على هضبات صنين آلافاً من الأقدام فوق سطح البحر كان مولد شاعر آخر . . فاستقبلت الدنيا مولد شاعرين أبى ماضى ونعيمة فى عام واحد . وهناك فى المدرسة الروسية الابتدائية بتلك القرية الحالمة درس نعيمة علومه الابتدائية . وأظهر الفتى فى دروسه جداً وتفوقاً أهلاه لأن يحظى ببعثة إلى مدرسة المعلمين الروسية بمدينة الناصرة بفلسطين ، سنة ١٩٠٠ وهنا اتسعت آفاق معرفته باللغة الروسية ، وزاد تضلعاً فى الدراسات العربية ، ولقى من التفوق على الأقران فى الناصرة ما لقيه فى بسكنتا ؛ فاستحق هذه المرة بعثة إلى مدينة بولتافا من أعمال إقليم أوكرانيا الروسى ، وكان ذلك فى سنة ١٩٠٦ حيث التحق بمعهد « السمنار » هناك .

وقضى المترجم له فى بولتافا الروسية خمس سنوات حصل فى خلالها ألواناً من الآداب العالمية ، وتزود من الأدب الروسى بزاد خصيب ، حتى برع فى الكتابة بالروسية والنظم فيها . وما قصيدته « النهر المتجمد » إلا أثر من آثاره الفكرية باللغة الروسية ، نقلها بعد حين إلى لغة الضاد . ولم يعد نعيمة من الروسيا إلى وطنه لبنان إلا ليزمع الرحلة هذه المرة إلى العالم الجديد البعيد . . . وقد كان فى نيته الهجرة إلى باريس مدينة العلم والنور ؛ ولكن أخاه ثناه عن عزمه واصطحبه معه إلى الولايات المتحدة ؛ حيث درس الحقوق فى جامعة واشنطون ، وظفر بأجازتها العلمية سنة ١٩١٦ .

ولم يشغله الطلب للعلم عن الكتابة الأدبية النقدية فى مجلات أمريكا العربية ؛ وخاصة مجلة « الفنون » وجريدة « السائح » اللتين أصدرهما نسيب عريضة وعبد المسيح حداد على الولاء . ولما ماتت « الفنون » كانت « السائح » بوقاً لنعيمة ورفاقه المجددين من مؤسسى « الرابطة القلمية » بنيويورك . ومن رفاق نعيمة نسيب عريضة وعبد المسيح حداد ؛ وهما من زملائه فى مدرسة المعلمين الروسية

فى الناصرة بفلسطين . وهنا جمع الله الأشتات بعد أن كانوا يظنون كل الظن أن لا تلاقيا . . . وافتتح حياته النقدية الأدبية بنقد رواية « الأجنحة المتكسرة » لجبران فى مقال عنوانه « فجر الأمل بعد ليل اليأس » . وفى هذا النقد ظهرت بوادر ثورته على الجمود والتقليد فى اللغة العربية ؛ وكان هذا النقد سبيل تعرف المترجم له إلى جبران خليل جبران ، فانتقل إلى نيويورك ، وهناك فى زحام هذه المدينة المدين لها شعر المهجر بالكثير من أسباب نهوضه ، تعرف إلى أبى ماضى ورشيد أيوب وغيرهم من مؤسسى الرابطة القلمية التى كان جبران عميدها ونعيمة مستشارها . . .

وفى سنة ١٩١٧ تركت أمريكا حيادها فى خلال الحرب العالمية الأولى ، وخاضت غمراتها . وكان نعيمة واحداً من آلاف الجنود الذين شملهم قانون التجنيد الأمريكى ، وألقت به الأقدار إلى الجبهة فى فرنسا ؛ وأتيح له بعد الحرب بعثة تعليمية فى جامعة « رين » الفرنسية ، فدرس تاريخ الآداب والفنون ، والتاريخ السياسى لفرنسا . وعاد إلى الولايات المتحدة سنة ١٩١٩ ، وظل فيها ثلاثة عشر عاماً حيث غادرها إلى لبنان سنة ١٩٣٢ ليعيش فى ذرا صنين ، وفى أكناف بسكنتا الهادئة ، وفى ظلال الشخروب ، حيث مزرعة له ورثها عن آبائه . . .

ويعد كتاب « الغربال » لنعيمة من كتب النقد الحديث التى لا يغفلها مؤرخ للأدب العربى المعاصر ، فقد كان بعد كتاب « الديوان » للعقاد والمازنى من الدعائم الأولى فى النهضة النقدية الأدبية المعاصرة ، وقد كتب العقاد مقدمة طبعته الأولى سنة ١٩٢٣ فأثنى على أدباء المهجر وشعرائه الذين فكوا عن القرائح قيود التقليد .

ومن كتب ميخائيل نعيمة : الآباء والبنون ، والغربال ، والمراحل ، وكان ما كان ، وديوان همس الجفون وفيه شعره العادى والمنثور ، وزاد المعاد ، والبيادر ، وكرم على درب ، ولقاء ، والأوثان ، وصوت العالم ، ومذكرات الأرقش ، وجبران خليل جبران ، الذى يعد بدعاً فى كتابة التراجم فى الأدب العربى . وله بالإنجليزية كتاب « مرداد » ولم ينشر بعد .

باقة من أشعاره

النهر المتجمد

يا نهر هل نضبت مياهك فانقطعت عن الخرير؟
أم قد هرمت وخار عزمك فانثنيت عن المسير ؟
بالأمس كنت مرنماً بين الحدائق والزهور
تتلو على الدنيا وما فيها أحاديث الدهور
بالأمس كنت تسير لا تخشى الموانع فى الطريق
واليوم قد هبطت عليك سكينة اللحد العميق
بالأمس كنت إذا أتيتك باكياً سليتنى
واليوم صرت إذا أتيتك ضاحكاً أبكيتنى
بالأمس كنت إذا سمعت تنهدى وتوجعى
تبكى ، وها أبكى أنا وحدى ، ولا تبكى معى !
ما هذه الأكفان ؟ أم هذى قيود من جليد
قد كبلتك وذللتك بها يد البرد الشديد ؟
ها حولك الصفصاف لا ورق عليه ولاجمال
يجثو كئيباً كلما مرت به ريح الشمال
والحور يندب فوق رأسك ناثراً أغصانه
لا يسرح الحسون فيه مردداً ألحانه
تأتيه أسراب من الغربان تنعق فى الفضا
فكأنها ترثى شباباً من حياتك قد مضى
وكأنها بنعيبها عند الصباح وفى المساء
جوق يشيع جسمك الصافى إلى دار البقاء

لكن سينصرف الشتا ، وتعود أيام الربيع
فتفك جسمك من عقال مكنته يد الصقيع
وتكر موجتك النقية حرة نحـو البحار
حبلى بأسرار الدجى ، ثملى بأنوار النهـار
وتعود تبسم إذ يلاطف وجهك الصافى النسيم
وتعود تسبح فى مياهك أنجم الليـل البهيم
والبدر يبسط من سماه عليك ستراً من لجين
والشمس تستر بالأزاهر منكبيك العاريين
والحور ينسى ما اعتراه من المصائب والمحن
ويعود يشمخ أنفه ويميس مخضر الفنن
وتعود للصفصاف بعد الشيب أيام الشـباب
فيغرد الحسُّون فوق غصونه بدل الغراب
قد كان لى يا نهر قلب ضاحك مثل المروج
حر كقلبك فيـه أهـواء وآمال تمـوج
قد كان يضحى غير ما يمسى ولا يشكو الملل
واليوم قد جمدت كوجهك فيه أمواج الأمل . . .
فتساوت الأيام فيـه : صباحها ومساؤها
وتوازنت فيـه الحياة : نعيمها وشـقاؤها
سيان فيه غدا الربيع مع الخريف أو الشـتاء
سيان نوح البائسين ، وضحك أبناء الصفاء
نبذته ضوضاء الحيـاة فمال عنهـا وانفرد
وغـدا جماداً لا يحن ولا يميـل إلى أحد
وغـدا غريباً بين قوم كان قبـلا منهمُ
وغدوت بين الناس لغزاً فيـه لغز مبهمُ . . .
يا نهر ! ذا قلبى أراه كما أراك مكبـلا
والفرق أنك سوف تنشط من عقالك ، وهو . . . لا

أخى

أخى ! إن ضج بعد الحرب غربى بأعماله
وقدس ذكر من ماتوا وعظم بطش أبطاله
فلا تهزج لمن سادوا ولا تشمت بمن دانا
بل اركع صامتاً مثلى بقلب خاشع دام
لنبكى حظ موتانا

* * *

أخى ! إن عاد بعد الحرب جندى لأوطانه
وألقى جسمه المنهوك فى أحضان خلانه
فلا تطلب إذا ما عدت للأوطان خلانا
لأن الجوع لم يترك لنا صحباً نناجيهم
سوى أشباح موتانا

* * *

أخى ! إن عاد يحرث أرضه الفلاح أو يزرع
ويبنى بعد طول الهجر كوخاً هدَّه المدفع
فقد جفت سواقينا وهد الذل مأوانا
ولم يترك لنا الأعداء غرساً فى أراضينا
سوى أجياف موتانا

* * *

أخى ! قد تم ما لو لم نشأه نحن ماتمَّا
وقد عم البلاء ولو أردنا نحن ماعما
فلا تندب فأذن الغير لا تصغى لشكوانا
بل اتبعنى لنحفر خندقاً بالرفش والمعول
نوارى فيه موتانا

* * *

أخى ! من نحن ؟ لا وطن ولا أهل ولا جار
إذا نمنا ، إذا قمنا ردانا الخزى والعـــار
لقـــد خمّت بنـــا الدنيا كما خمّت بموتانا
فهات الرفش واتبعنى لنحفر خندقاً آخر
نوارى فيـــه أحيانا

لو تدرك الأشواك

يا ســـاقى الحلاس بالله لا تحفل بكاسى بين هذى الكئوس
اترع لغيرى الكأس ، أما أنا فاحسب كأنى لست بين الجلوس
واعبر ! ودعنى فارغ الكاس

لا ! لا تقل ما طابت الخمر لى أو أننى ما بينكم كالغريب
بل إن لى يا صاحبى خمـــرة ما مثلها يطفى بروحى اللهيب
أعصرها من قلبى القاسى

يا مرسل الألحـــان من عوده سحراً يهيج الصب حتى الجنون
أما رأيت الرأس منى انحنى والعين غابت خلف ستر الجفون
فلا تقل ذى حال ولهـــان

لا ! لست بالولهان يا صاحبى فالقلب منى جامد كالجليد
لكننى مُصْغٍ لنفسى .. ففى نفسىَ أوتار وفيهـــا نشـــيد
فاضرب ودعنى بين ألحانى

يا ساكن القصر الجميل ! اغتبط يا صاحبى واهنأ بقصر جميل
ولتسقك الأيام من كوثر الـ ـذات ولتمنحك عمـــراً طويل
تجنى الهنا عاماً ورا عامِ

لا ! لا تقل ما راقنى قصرك الـ ـعالى أوَ انى لم يطب لى هـــواه
بل إن لى يا صاح قصراً أبت نفسى بأن تلجا لقصر سواه
ذا قصر أفكارى وأحلامى

يا جالساً بين اللحود التى سكانها أضحوا تراباً ودود
إى ! إن من تبكيه يا صاحبى لا شك خدن أو صديق ودود
أو ، إن تشا ، قل خير إنسان
لكن غدا تنساه أما أنا ففى حياتى كل يوم دفين
إذ أننى اجتث زاد البلى منى وكم يبلى رجاء ثمين
فى لحظة من عيشنا الفانى !
يا حاشد الأموال فلساً إلى فلس يكد الليل قبل النهار
أيامه صفر كأعوامه لا لون فيها غير لون النضار
عمياء تجرى حيث لا تدرى
لا ! والذى الأقدار خُدامه ما فى فؤادى غصة من غناك
إذ قد حبانى الحظ بعض الغنى يا صاحبى من غير ما قد حباك
فاحشد ! ولا تشفق على فقرى !
يا حامل الإنجيل يدعو إلى نبذ المعاصى، منذراً بالعقاب
بشر وخلص يا أخى أنفسا ضلت لكى تلقى جميل الثواب
إذ ينصب الديان ميزانه
إما صممتُ الأذن عنك فلا تغضب ، ودعنى فى ضلالى أهيم
إذ لى فؤاد قد حوى جنة والله أدرى كم حوى من جحيم
فاكرز ! ودع قلبى وأدرانه !
يا زهرة ما بين شوك نمت لولا شذاها ضل عنها البصر
هل تدرك الأشواك يا زهرتى أن الشذا هذا شذاك انتشر ؟
فى الحقل لا عطرٌ لها فاحا
هل تدرك الأشواق ماتدركين ؟
هل عطّر العلّيق أذياله من حيث تمتصين أنت الأريج؟
أم حاك غير الشوك ثوباً له من حيث حكت أنت أبهى النسيج؟
قد تصبح الأشواك آقاحا
لو تعرف الأشواك ماتعرفين !

ابتهالات

كحلِّ اللهم عينى
بشعاع من ضياك
كى تراك

فى جميع الخلق ! فى دود القبور — فى نسور الجو ، فى موج البحار
فى صهاريج البرارى ، فى الزهور — فى الكلا ، فى التبر ، فى رمل القفار
فى قروح البرص ، فى وجه السليم — فى يد القاتل ، فى نجع القتيل
فى سرير العرس ، فى نعش الفطيم — فى يد المحسن ، فى كف البخيل
فى فؤاد الشيخ ، فى روح الصغير — فى ادعا العالم ، فى جهل الجهول
فى غنى المثرى ، وفى فقر الفقير — فى قذى العاهر ، فى طهر البتول

وإذا ما ساورتها سكتة النوم العميق
فاغمض اللهم جفنيها إلى أن تستفيق

* * *

وافتح اللهم أذنى
كى تعى دوما نداك
من علاك

فى ثغاء الشاة ، فى زأر الأسود — فى نعيق البوم ، فى نوح الحمام
فى خرير الماء ، فى قصف الرعود — فى هدير البحر ، فى مر الغمام
فى غنا البلبل ، فى ندب الغراب — فى دبيب النمل ، فى هب الرياح
فى طنين النحل ، فى زعق العقاب — فى صراخ الليل ، فى همس الصباح
فى بكا الأطفال فى ضحك الكهول — فى ابتهالات العراة الحائعين
فى انتحاب الناى ، فى دق الطبول — فى صلاة المَلك والعبد السجين

وإذا ما قرب الموت ووافاها الصمم
فاختمنْ ربى عليها ريثما تحيا الرمم

* * *

وليكن لى يا إلهى
من لسانى شاهدان
صادقان

إن أفُهْ بالحق فليشهد معى ... أو أفه بالبُطْل فليشهد علىّ
وإذا ما قام غيرى يدعى ... يا إلهى الحق فى بُطْل وغى
فليكن سيفاً لسانى حده ... سبيل الحق ماض لايهاب
لا يكف الضرب حتى ضده ... ينثنى عن غيه نحو الصواب
وإذا ما خان نطقى قلمى ... فأراه البُطْل فى الحق الصريح
فى كلام الغير ، فاجعل من فمى ... للسانى أيها البارى ضريح

فلســـان يعلن الحق وسراً يذبحـــه
ليت شعرى غير صمت الموت ماذا يصلحه؟

* * *

واجعل اللهم قلبى
واحة تسقى القريب
والغريب

ماؤها الإيمان أما غرسها ... فالرجا والحب والصبر الطويل
جوها الإخلاص أما شمسها ... فالوفا والصدق والحلم الجميل
فإذا ما راح فكرى عبثا ... فى صحارى الشك يستجلى البقاء
مَرَّ منهوكاً بقلبى فجثا ... تائباً يمتص من قلبى الرجاء
وإذا ما أملى يوماً مشى ... تائهاً فى مهمه العيش السحيق
عاد لما كاد يقضى عطشا ... يحتسى الإيمان من قلبى الرقيق

وإذا الإيمان ولى والرجا أضحى ضرير
فليمم قلبى إلى أن ينفخ البوق الأخير

الطريق

نحن يا ابنى عسكر قد تاه فى قفر سحيقْ
نرغب العَوْد ولا نذكر من أين الطريق
فانتشرنا فى جهات القفر نستجلى الأثر
نسأل الشمس عن الدرب ونستفتى الحجر
وسنبقى نفحص الآثار من هذا وذاك

ريثما ندرك أن الدرب فينا ، لا هناك
وسنبقى فى انتقال وشـــقاء وعذاب
وصعود ، وهبوط ، وذهاب ، وإياب
وسنبقى نهجع الليل وفى الصبح نفيق
ريثما نلقى منانا ، ريثما نلقى الطريق

بين الجماجم

حدثينى عن الحياة عسى أعـ طى فؤادى اللجوج عنها جوابا

* * *

حدثينى عن القلوب التى كا نت قلوباً واليوم صارت ترابا
كيف كانت بالأمس تملى ولاتحـ سب للموت فى الحياة حسابا
نابضات حباً وبغضاً وإثما ناً وشكاً وراجيات ثوابا
ها أنا ألمس التراب فلا أل مس هماً أو غبطة أو عذابا
وأصيخ إلى التراب فلا أسمـ ع شكوى أو لهفة أو عتاباً
أترين الأشواق صارت بروقا ودموع الأحزان أضحت سحابا
وأنين القلوب أمسى رعودا وأمانيّها استحالت ضبابا ؟
أم ترين التراب عاد ترابا وسراب الآمال عاد سرابا ؟

* * *

حدثينى عن الخدود التى بالـ أمس كانت مذابحاً للجمال
تنطق المؤمنين بالكفر والكفـ ار بالسّبْح للقوىْ المتعـــالى
نتبارى بلا انقطاع إليهـــا ونضحى لها بأغلى الغوالى
كم سجدنا أمامها وابتهلنا وقرعنا صدورنا فى الليالى
وحرقنا القلوب منـــا بخوراً ونظمنا العيون عقد لآلى
ها أتينا لنترع الروح ممـــا كان فيها لطرفنا من كمال
وغريب أن لا نرى حيث كانت غير دود يدب بين الرمال
ويح قلب يرى الخيال جمالا ويح عقل يمحو جمال الخيال

حدثيني عن نفخة جعلت آ ... دم حيـاً وكان تُرْبا وماء
يا لهـا نفخةً أرتنا بصيصاً ... فى ظلام البقا فزدنا عمـاء
ما لبسنا الحياة حتى لبسنا ... فى ثنايا ثوب الحياة الفناء
فغدونا إذا رجونا عـزاء ... صار ذاك الرجاء فينا بلاء
ونسينا أنا تراب فلا بالأ ... رض نرضى ولا ننال السماء!
نفخة الله أين أين استقرت ... بعد أن عادت الجسوم هباء ؟
أإلى صدر خالق الكون آبت ... تحمل الهم والأسى والشقاء ؟
أم طوتها الأقدار لكن لحين ... أم هواءً كانت فعادت هواء ؟

* * *

حدثيني عن الحياة لكى أع ... طىَ عنى أمام نفسى حسابا
فعسى الخالق الذى ضمن صدرى ... لا يزيد النيران فيه التهابا !

من أنت يا نفسى

إن رأيتِ البحر يطغى الموج فيـه ويثور
أو سمعت البحر يبكى عند أقدام الصخور
ترقبى الموج إلى أن يحبس الموج هديره
وتناجى البحر حتى يسمع البحر زفيره
راجعاً منك إليـه
هل من الأمواج جئت؟
إن سمعتِ الرعد يدوى بين طيات الغمام
أو رأيت البرق يفرى سيفه جيش الظلام
تَرْصدى البرق إلى أن تخطفى منه لظاه
ويكف الرعد لكن تاركاً فيك صداه
هل من البرق انفصلت؟
أم مع الرعد انحدرت ؟
إن رأيت الريح تذرى الثلج عن روس الجبال
أو سمعتِ الريح تعوى فى الدجى بين التلال

تسكن الريح وتبقى باشتياق صاغيه
وأناديك ولكن أنت عنى قاصيه
فى محيط لا أراه
هل من الريح ولدتِ ؟
إن رأيت الفجر يمشى خلسة بين النجوم
ويوشّى جبة الليـــل المولّى بالرسوم
يسمع الفجر ابتهالا صاعداً منك إليه
وتخرى كنبىٍّ هبط الوحى عليـــه
بخشـــوع جاثيـــة
هل من الفجر انبثقتِ ؟
إن رأيت الشمس فى حضن المياه الزاخرة
ترمق الأرض وما فيها بعين ساحرة
تهجع الشمس، وقلبى يشتهى لو تهجعين
وتنام الأرض لكن أنت يقظى ترقبين
مضجع الشمس البعيد
هل من الشمس هبطتِ؟
إن سمعتِ البلبل الصداح بين الياسمين
يسكب الألحان ناراً فى قلوب العاشقين
تلتظى حزناً وشوقاً والهوى عنك بعيـــد
فاخبرينى ! هل غنا البلبل فى الليل يعيد
ذكر ماضيك إليك ؟
هل من الألحان أنت ؟
إيه نفسى ! أنت لحن فىَّ قد رن صداه
وقّعتك يد فنان خفىٍّ لا أراه
أنت ريح ، ونسيم ، أنت موج، أنت بحر
أنتِ برق، أنت رعد، أنت ليل، أنت فجر
أنت فيض من إله

الخير والشر

سمعت في حلمي ويا للعجب ... سمعت شيطاناً يناجي ملاكْ
يقول : إي بل ألف إي يا أخي ... لولا جحيمي أين كانت سماك ؟
أليس أنَّا توأمان استوى ... سر البقا فينا ، وسر الهلاك ؟
ألم نُصغْ من جوهر واحد ... إن ينسني الناس أتنسى أخاك ؟

* * *

فأطرق ابن النور مسترجعا ... في نفسه ذكرى زمان قديم
واغرورقت عيناه لما انحنى ... مستغفراً ، وعانق ابن الجحيم
وقال : إي بل ألف إي يا أخي ... من نارك الحرَّى أتاني النعيم...
وحلَّق الاثنان جنباً إلى ... جنب ، وضاعا بين وَشي السديم

قبور تدور

هلمي هلمي نحيِّ القبور ... ونمتص منها رحيق الدهور
عسانا إذا ما رأينا عظاما ... يفتِّق منها الربيع الزهور
عرفنا بأن الفناء بقاء ... وأن الحياة قبور تدور

* * *

هلمي هلمي وخلِّي الرجاء ... ومدِّي بعينيك نحو الفضاءْ
عساك إذا ما رأيت شموسا ... تغيب وتبدو بحكم القضاء
عرفتِ بأن البقاء امتثال ... وأن الرجاء شقاء البقاء

* * *

تعالى تعالى وخلي الكفاح ... لأجل الصلاح وضد الطلاح
وقولي إذا ما همست سلاما ... بإذن المساء فردّ الصباح
أليس الصباح شقيق المساء ... أليس الطلاح شقيق الصلاح؟

* * *

تناسى زمان الصبا والشباب ... وسوّق مع الريح جيش السحاب

وقولى : أفى السحب قطر فتى ... وقطر تقادم عهداً فشاب؟
أليس الشباب ، أليس المشيب ... سحاباً ونحن دموع السحاب؟

* * *

تخلّى عن الصدق للكاذبين ... وعن عفة الحب للعاشقين
وخلى الفخار لأهل النضار ... ومجد المعارف للجاهلين
وخلى المعالى وجدّ الليالى ... وحب التفوق للمقعدين

* * *

بعينيك نور تراه العيون ... جميلا فتضحك منها المنون
لأن المنايا تحدق فيك ... بعين الزمان التى لا تخون
فتبصر فى مقلتيك تراباً ... وتبصر دوداً وراء الحفون

* * *

فخلى جمالا يراه الغرور ... وليست تراه عيون الدهور
وخلى الجهاد ، وخلى الطموح ... وخلى القصور ، وحيى القبور
ودورى مع الكون جيلا فجيلا ... فهل نحن إلا قبور تدور؟

الطمأنينة

سقف بيتى حديد ... ركن بيتى حجرْ
فاعصفى يا رياح ... وانتحب يا شجر
واسبحى يا غيوم ... واهطلى بالمطر
واقصفى يا رعود ... لست أخشى خطر
سقف بيتى حديد ... ركن بيتى حجر

* * *

من سراجى الضئيل ... أستمد البصرْ
كلما الليل طال ... والظلام انتشر
وإذا الفجر مات ... والنهار انتحر
فاختفى يا نجوم ... وانطفىء يا قمر
من سراجى الضئيل ... أستمد البصر

باب قلبى حصين من صنوف الكدر
فاهجمى يا هموم فى المسا والسحر
وازحفى يا نحوس بالشقا والضجر
وانزلى بالألوف يا خطوب البشر
باب قلبى حصين من صنوف الكدر

* * *

وحليفى القضاء ورفيقى القدر
فاقدحى يا شرور حول قلبى الشرر
واحفرى يا منون حول بيتى الحفر
لست أخشى العذاب لست أخشى الضرر
وحليفى القضاء ورفيقى القدر...

يا بحر

أما تعبت ؟ عجيج كرٌّ ، فَفَرٌّ ، فكرٌّ
ماذا تروم وأنى تسير لا تستقر ؟
كأنما فيك مثلى قلبان : عبد وحر
هذا يروم فراراً من ذا وليس مفر
يا بحر . يا بحر قل لى هل فيك خير وشر ؟
هل فى سكونك أمن وفى هياجك ذعر ؟
أم فى امتدادك يسر وفى انقباضك عسر ؟
وفى انخفاضك ذل وفى ارتفاعك فخر
وفى سكوتك حزن وفى هديرك بشر ؟
يا بحر ! يا بحر قل لى هل فيك خير وشر ؟

* * *

وقفت والليل داج والبحر كرٌّ ، وفر
فلم يجبنى بحرٌ ولم يجبنى بر
وعند ما شاب ليلى وكحل الأفق فجر

سمعت نهـــرا يغنى : « الكون طى ونشر
فى الناس خير وشر فى البحر مد وجزر »

أغمض جفونك تبصر

إذا سماؤك يوما تحجبت بالغيـــومْ
أغمض جفونك تبصر خلف الغيوم نجـــوم

* * *

والأرض حولك إما توشحت بالثـــلوجْ
أغمض جفونك تبصر تحت الثلوج مروج

* * *

وإن بليت بداء وقيـــل داء عياء
أغمض جفونك تبصر فى الداء كل الدواء

* * *

وعنـــدما الموت يدنو وا للحد يفغر فـــاه
أغمض جفونك تبصر فى اللحد مهد الحياه

من سفر الزمان

١ — إلى سنة مدبرة :

روحى ! فكم شبت وشابت ســـنين
من قبـــل أن بانت حواشـــيك !
واليـــوم كف الدهـــر تطويك
عنـــا ، ومن يدرى متى تنشرين ؟

روحى وخلينا
بالأرض لاهينا
نرعى أمانينـــا
فى مرج أوهام

ما بين أيام وأعوام
تأتى وتمضى وهى سر دفين

٢ — إلى سنة مقبلة :

ما أنت فى سفر الزمان العظيم
إلا صدى الماضى وصوت الغدِ
فيك استوى من قبل أن تولدى
قطبا حياة نحن فيها نهيم
لا جوعها يشبع
لا موتها يهجع
لا طامع يقنع
فيها ولا الزاهدون
الناس فى أسرارها حائرون
والسر ، لو يدرون ، فيهم مقيم ...

إلى دودة

تدبين دب الوهن فى جسمى الفانى ... وأجرى حثيثاً خلف نعشى وأكفانى
فأجتاز عمرى راكضاً متعثرا ... بأنقاض آمالى وأشباح أشجانى
وأبنى قصوراً من هباء وأشتكى ... إذا عبثت كف الزمان ببنيانى
ففى كل يوم لى حياة جديدة ... وفى كل يوم سكرة الموت تغشانى
ولولا ضباب الشك يا دودة الثرى ... لكنت ألاقى فى دبيبك إيمانى
فأترك أفكارى تذيع غرورها ... وأترك أحزانى تكفن أحزانى
وأزحف فى عيشى نظيرك جاهلا ... دواعى وجدى ، أو بواعث وجدانى
ومستسلماً فى كل أمر وحالة ... لحكمة ربى ، لا لأحكام إنسان

* * *

فها أنت عمياء يقودك مبصر ... وأمشى بصيراً فى مسالك عميان
لك الأرض مهد والسماء مظلة ... ولى فيهما من ضيق فكرى سجنان

لئن ضاقتا بى لم تضيقا بحاجتى ... ولكن بجهلى وادعائى بعرفانى
ففى داخلى ضـــدان : قلب مسلِّم ... وفكر عنيد بالتساؤل أضـنانى
توهم أن الكون سر ، وأنه ... ينال ببحث أو يباح ببرهان
فراح يجوب الأرض والجو والسما ... يسائل عن قاص ويبحث عن دان
وكنت قصيداً قبل ذلك كاملا ... فضعضع ما بى من معان وأوزان..

* * *

وأنت التى يستصغر الكل قدرها ... ويحسبها بعضٌ زيادة نقصان
تدبين فى حضن الحيـــاة طليقة ... ولا همَّ يضنيك بأسرار أكوان
فلا تسألين الأرض مَنْ مَدَّ طولها ... ولا الشمس من لظّى حشاها بنيران
ولا الريح عن قصد لها من هبوبها ... ولا الوردة الحمراء عن لونها القانى
وما أنت فى عين الحيـــاة ذميمة ... وأصغر قدراً من نسور وعقبان
فلا التبر أغلى عندها من ترابهـــا ... ولا الماس أسنى من حجارة صوان
هل استبدلتْ يوماً غراباً ببلبل ... وهل أهملتْ دوداً لتلهو بغزلان ؟
وهل أطلعتْ شمساً لتحرق عوسجا ... وتملأ سطح الأرض بالآس والبان ؟
لعمرك يا أختـــاه ما فى حياتنا ... مراتب قدر أو تفاوت أثمـــان
مظاهرها فى الكون تبدو لنـــاظر ... كثيرة أشكال ، عديدة ألوان
وأقنومها باق من البدء واحداً ... تجلّت بشهب أم تجلّت بديدان
وما ناشد أسرارها — وهو كشفها — ... سوى مشتر بالماء حرقة عطشان

نسيب عريضة

١٨٨٧ — ١٩٤٦

هذا الشاعر الهادىء العميق التفكير ، ظل فى صخب الحياة يفتش عن نفسه ، ويفتش عن الحقيقة حتى أضناه طول التفكير ، وأضناه فى « طريق الحيرة » المسير . . . وظل هائماً بالجمال والحب والمعرفة والأشواق إلى العالم الروحى البعيد ، فما روى غلة ، ولا أشبع نهماً :

صاح ! هل تعرف نبعا إن شربنا منه نروى ؟
صاح ! هل تعرف حسنا يشبع النفس فنهوى ؟
صاح ! هل تعرف لحنا فيه للأرواح سلوى ؟

وكان بين مولده فى مدينة حمص السورية ، ووفاته فى مدينة بروكلن الأمريكية واحد وستون عاماً قضاها فى صراع بين المادة والروح ، وفى كفاح بين الشك واليقين حتى لقى ربه فى أول أبريل سنة ١٩٤٦ مغترباً عن حمص « ذات الأحجار السود » التى كان يتحرق شوقاً إليها ؛ ولعله لقى الجواب الذى كان يسأل عنه قائلا :

حنانيك أين الذهاب وأين مصير النفوس ؟
أنجتاز هـذا التراب لنبلغ سـبل الشموس ؟

ولقد حير هذا الشاعرَ أمر النفس ومصيرها ، والروح وتلبسها بالجسد ، فأسمى ديوانه « الأرواح الحائرة » . . . ويشاء الله أن يكون هذا الديوان الحائر ، لهذه الروح الشاعرة الحائرة ، فى يد المجلد بالمطبعة عندما لفظ الشاعر آخر أنفاسه.

ولد نسيب عريضة فى حمص سنة ١٨٨٧ ، وتعلم فى المدرسة الروسية الابتدائية ، وفى مدرسة المعلمين الروسية بالناصرة بفلسطين ، وكان من زملائه فى هذا المعهد ميخائيل نعيمة وعبد المسيح حداد ، وتفرقت بهم السبل فى الحياة ، إلى أن جمعتهم فى نيويورك فكانوا من دعائم « الرابطة القلمية » فيها .

وكان نسيب أسبق من ميخائيل نعيمة فى الهجرة إلى العالم الجديد، فسافر سنة ١٩٠٥ إلى الولايات المتحدة ، وأقام بنيويورك مشتغلا فى المتاجر والمصانع للحصول على رزقه . وقد عنّاه طلب العيش وأثقل ظهره فلجأ إلى الأدب والشعر والكتابة يجد فيها تخفيفاً لأوقار ظهره المنآد . . . فأسس فى سنة ١٩١٢ مطبعة « الأتلانتيك » ، وفى سنة ١٩١٣ اشترك معه نظمى نسيم فى إنشاء مجلة « الفنون » الأدبية بنيويورك التى حملت مشعل التجديد الأدبى فى العالم الجديد ، وكانت مسرحاً لأقلام كثيرة ناشئة أخذت تحتل بعدُ أرفع مكان فى الأدب العربى الحديث ، وكان يلتقى فيها هزل هؤلاء الرواد الأدبيين بجدهم ، وأحلامهم بآلامهم . . . وماتت « الفنون » فلم يمت قلب « نسيب » وراءها ، لأن عزيمته كانت أكبر من الموت . . وأعادها إلى الحياة ثانية بمعونة بعض أصحابه سنة ١٩١٦ ، ولكنها لم تعش هذه المرة غير عامين اثنين ، فأثرت وفاتها فى نفس المترجم له ، كما أثرت فيه وفاة شقيقه « سابا » الذى اخترم الموت شبابه الغض فى أعقاب الحرب العالمية الأولى .

وعاد نسيب إلى الصراع الشاق فى سبيل الرزق من جديد ، ولكنه لما سئم عاد إلى الكتابة والأدب والشعر والتحرير ، فحرر فى « السائح » و « مرآة الغرب » و « الهدى » وهى أكبر الصحف اليومية العربية وأوسعها انتشاراً فى العالم الجديد .

وفى الحرب العالمية الثانية اشتغل نسيب عريضة بالتحرير والترجمة فى مكتب « الأنباء الأمريكى » وظل فيه حتى انتهت مهمته بانتهاء الحرب ، وهنا كان الداء قد ألزمه الفراش ، فاعتزل الكتابة وهجر الشعر الذى طالما غنى أرقّ الألحان الصوفية على خمائله إلى أن توفى سنة ١٩٤٦ .

باقة من أشعاره

النهاية

كفنوه !
وادفنوه !
أسكنوه
هوة اللحد العميق
واذهبوا لا تندبوه ، فهو شعب
ميت ليس يفيـــق

* * *

ذللوه
قتلوه
حملوه
فوق ما كان يطيق
حمل الذل بصبر من دهور
فهو فى الذل عريق

* * *

هتك عرض
نهب أرض
شنق بعض
لم تحرك غضـــبه
فلماذا نذرف الدمع جزافاً ؟
ليس تحيا الحطبة !

* * *

لا وربى !
ما لشعب
دون قلب
غير موت من هبه
فدعوا التاريخ يطوى سفر ضعف
ويصفى كتبه !

* * *

ولنتـــاجر
فى المهاجر
ولنفـــاخر
بمزايانا الحسان
ما علينا إن قضى الشعب جميعاً
أفلسنا فى أمان ؟

* * *

رب ثار
رب عار
رب نار
حركت قلب الجبانْ
كلها فينا . . . ولكن لم تحرك
ساكناً إلا اللسان . . .

منـاجاة

لاحت قصور الخيـالِ تعـلو متون الغمام
يا أخت روحى تعالى أطلت فيهـا المقـام

* * *

يا أخت روحى اسمعينى من أوج تلك السماء
قد كاد يقضى يقينى هـلا أجبت النـداء؟
أراك لا تعـرفينى أزال عنى البهـاء ؟
أجل ! تغير كنهى مذ جئت أرض الشقاء
بدِّلت فيهـا جلالى بحـلة من عظام
يا أخت روحى تعالى قد أضجرتنى الأنام

أرنو بليـــل كئيب وطرف جسمى كليل
أصغى ! ترى من مجيب أو من خيـــال جميل
يلوح رجع ســـناه فى طى غيم ثقيل ؟
وكيف والجـــو قفر يحـــار فيه الدليل ؟
ياويح هذى الليـــالى أضحت لطرفى لثام ؟
يا أخت روحى تعالى فالناس صرعى نيام !

* * *

الناس ! من هم؟ جسوم ضاعت بهن النفوسْ
إن يرقـــدوا فنعيم رقادهم فى البؤوس
واحسرتا ! أنا منهم ما دام جسمى اللبوس
ناموا ونفسىَ يقظى تهذى بذكر الشموس
ترجو انتهاء اعتقالى لكى تقض الخيـــام
يا أخت روحى تعالى تلقى إليـــك الحطام

* * *

كانت لها الشهب عرشا وكنتما فى اقترابْ
فأهبطت فهى تخشى وتنزوى فى الحجاب
تظـــل غرثىَ وعطشى لقوتهـــا والشراب
تقتات بالصوم حيناً وترتوى بالسراب
عافت ثُدى المحـــال ينزُّ منهـــا الأوام
يا أخت روحى تعالى قد حان عهد الفطام

* * *

يا أخت روحى الحزينة إلى متى ذا الصدود ؟
أو أنت مثلى سجينة قد أثقلتك القيود ؟
مرضت فى الأرض يأسا ولا صديق يعود ؟
يا أخت روحى ! صبراً فالملتقى فى الخـــلود
لاحت قصور الخيالِ كومضة فى الظلام
أكلهن خـــوالى ؟ ما مَن يرد السلام ؟

يا أخى !

يا أخى يا أخى ! المصاعب شتى ... وبعيد مرادنا والموارد
وأمام العيون درب عسير ... لم تسر قبلنا عليه الأوابد
مظلم موحش كثير الأفاعى ... والسعالى المستهويات الطرائد
غير أن المسير لا بد منه ... إن أردنا إدراك بعض المواعد
فلنسر فى الظلام فى القفر فى الوحـ ... ـشة فى الويل فى طريق المجاهد
فلنسر أعزلين إلا من الحق ... سلاحا ، والفكر حاد وقائد
وإذا اشتدت الذئاب عواء ... فلنقابل عواءها بالنشائد
وإذا احلولك الظلام أضأنا ... مشعل القلب مثل نار المواقد
يا أخى يا رفيق عزمى وضعفى ... سر نكابد إن الشجاع المكابد !
فإذا ما عييتُ تسند ضعفى ... وأنا بعد ذا لضعفك ساند
سر ! تقدم لكى نخط طريقا ... لأباة الهوان عند الشدائد
يا أخى ! يا أخى ! المصاعب شتى ... غير أنا فى سيرنا غير واحد
فلنسر ! فلنسر ! وإما هلكنا ... قبل إدراكنا المنى والمواعد
فكفانا أنا ابتدأنا وأنا ... إن عجزنا فقد بدأنا نشاهد !

أيا نجمة

أيا نجمة سطعت فى الظلام ... أنيرى طريق فتى لا ينام
فتى عذبته النوى والهموم ... فتى أيقظته أمور جسام
أنيرى طريقى خلال الرؤى ... خلال الشكوك ، خلال السآم
لقد طال ليلى فهل من صباح؟ ... وطال اضطرابى فهل من سلام؟
أيا نجمة فى أعالى السماء ... أطلت السكوت ، فهل من كلام؟

رباعيات

شربت كأسى أمام نفسى ... وقلت : يانفس ما المرام ؟
حياة شك وموت شك ... فلنغمر الشك بالمدام
آمالنا شعشعت فغابت ... كالآل أبقى لنا الأوام
لا بأس ! ليس الحياة إلا ... مرحلة بدؤها ختام !

إن هبت الريح من جنوب يهب حزنى من الشمال
وكل ريح لهـا سكون إلا الأسى هاجه الملال...
يئن قلبى على حبيبى ولا حبيب إلا الخيـال
يا نفس صبراً على البلايا فكل شىء إلى زوال

* * *

أخذت نفسى إلى طبيبى وقلت : يا طب ما العلاج؟
فراح يأسو سـقام جسمى ويحسب الداء فى المزاج
فقلت يا صاح جف زيتى فباطلا تجـبر السراج
إذا خبا النور فى الدرارى فما ترى ينفع الزجاج ؟

* * *

وسرت والقلب فى اصطحاب نقفو هوى مر فى العجاج
أنا وعينى نطير شـوقا نسير ركضاً بلا انزعاج
والقلب حاف يمشى الهوينى على شـظايا من الزجاج
طلبت قلبى فلم أجـده أمات أم ضل فى الفجاج

* * *

وعدت نحـو الورى فريدا يسوقنى العقـل بالسياط
فصحت : يا ناس ! مات قلبى طفلا . وما زال فى القماط !
هـل تقبلونى بلا فـؤاد قالوا : وهل مسّك اختلاط؟
انظر على الأرض كم قلوب ديست لدينا على الصراط

* * *

رباه ما أكثر الضحايا ! ماتوا زحاماً على الدروب
كل الورى موكب مهيب يسير فى مأتم القلوب
يمشون والرمس فى حشاهم والدم يجرى من الندوب
ما ميتهم يعظمون قـدرا بل دية الميْت فى الجيوب !

* * *

يا نفس رحماك أين تمضى فما أمامى سـوى قبـور
قد سامك العقل سوم علْجٍ ما لا تطيقين من أمـور
فلنترك العقل حيث يبغى فليس للعقل من شعور
أتتركين الأنـام تركا نحرق من بعـده الجسور ؟

* * *

فصاحت النفس بى وقالت ما لى وللناس والزحام ؟
أصبت يا نفس فاتبعينى فليس كالغاب من مقـام

يا غاب جئنـــاك للتعرّى أنا ونفسى ولا حـــرام
فليُـــذع الغصن ما يراه منا إذا أحسن الكلام !

* * *

وقالت النفس لى : أتدرى ما تقصد الدّوح بالحفيف ؟
ذا الغصن يبكى على طيور أطربه شـــدوها اللطيف
طارت وليست تعـــود حتى يخضر من دوحه اللفيف
لو أن هذى الأشجار تمشى سارت إلى حيث لا خريف

* * *

يا نفس إن الحفيف لغز تفهمه الشمس والسحاب
ما ذاك شكوى ، بل ذاك نجوى من باطن الأرض فى التراب
نجـــوى أصول تحن شوقاً إلى ســـوى الرى والشراب
تهـــزها كلما استكنت ذكرى شموس بلا غياب

* * *

كم دوحة لا يبين منها إلا قليـــل من الكثير
فروعهـــا والغصون جزء بدا ولكنه حقـــير . .
وتحت سطح الثرى أصول محجوبة حجمها وفير . .
فيهـــا حياة الغصون لكن لدى الورى شأنها صغير

* * *

لو حدق المرء فى البرايا لشام ما لا ترى العيون
ما حولنـــا عالم خفى تدركه الروح فى السكون
كم مبصر لا يرى ، وأعمى يرى ويدرى الذى يكون
يا ويح من لا يرون شيئاً إلا إذا فتّحوا الجفون !

على طريق أرم

تفتحت أعـــين الدرارى واستيقظت أنفس الليـــالى
وهينمت فى الدجى الأمانى ورفرفت أجنح الخيـــال
وأفلت الحـــلم من عقال فطار يسعى إلى الحمال
فقم بنـــا يا سمير نفسى نقفو الأمانى إلى الكمال
قم نتخـــذ للمنى جناحاً يطير من عالم الحدود
عسى نرى فى السماء درباً نســـير فيـــه ولا نعود

نوم خدر الرؤى ونحظى بما حرمناه فى الوجود
قم واترك الجسم حيث يبلى فالموت خير من الجمود

* * *

لى كل يوم هوى جديد بلا وصال ولا لقاء
حولى مياه حلت وساغت لكن قلبى بلا ارتواء
لو رمت يوما لكنت أجنى من ثمر الحسن ما أشاء
لكن هوى النفس فى خيال قد لاح للروح فى السماء
أحن شوقاً إلى ديار رأيت فيها سنى الجمال
أهبطت منها إلى قرار أمست به الروح فى اعتقال
أهيم فى الليل مثل أعمى جاع ولا يحسن السؤال
يهزنى فى الدجى حنين إلى الذى مر من وصال ..

* * *

هل من سبيل إلى رجوع هل من طريق إلى وصولِ !
تهيم نفسى ولست أدرى بحاصل أو بمستحيل
يا صاح قد حرت أين أمضى والسبل ضلت عن الضّلول
فاستلمح البرق هل تراه فإنه أول السبيل
انظر فلى فى البروق سر تعرفه النفس فى البروقِ
ألا ترى البرق نار رَكْب تقدمونا على الطريق ؟
من ألف دهر وألف دنيا سَمَوْا إلى المشرع الحقيقى
فسر بنا نقتفى خطاهم نصر إلى منبت الشروق

* * *

سر قبل أن تحجب الغوادى عن ناظرينا ذرى السماء
سر لست أخشى على فؤادى أن يبقى فى الأرض للفناء !
وكيف ترجو اصطحاب قلبى والنفس والقلب فى عداء ؟
إن كان لابد من فؤاد فلنبق فى الأرض للشقاء
إن كان لابد من فؤاد فقم نفتش عن الفؤاد
إن فاتنا أو نوى استتارا نستهد بالحزن والسواد

نلقـــاه حيث الجهاد يفنى أو حيث لا نفع فى الجهاد
أو سائراً فى ركاب ريح يهرب فيهـــا من العباد ..

* * *

يا نسمات ســـرين ليـــلا متى تعودين يا نواسم ؟
سلبتِ قلبى وقـــد أراه يطوف فى ركبك العـــوالم
فهـــل تراه يعـــود يوما إلىَّ ، أو لا يزال هائم ؟
يا ويح قلبى وويح نفسى من صحبة لم تكن تلائم !
يا قلب ! يا طائرا صغيرا مضطرباً فى يد الحيـــاة
يا ظامئـــا والدماء تجرى منـــه ليروى بهـــا سواه
تعـــال نختر لنـــا طريقا نقفو بها الحلم فى سراه
تعال أو تنقضى الليـــالى فننثنى دون أن نراه !

* * *

تقرحت أعـــين الدرارى وحشرجت أنفس الليالى
وولولت فى الدجى شكوكى ورفرفت أجنح المحـــال
واستأسر الحـــلم باختيار وطار همى بلا عقال
فعـــد بنا يا سمير حزنى نقنع فى الأرض بالخيال

سفر الدهور

شعشع الخمر وهات الـ كأس من نار ونور
علنى أعلم بعض الـ علم ما معنى السرور !

* * *

يا نديمى وانس ما كا ن وما سوف يصير
وَدَع العتب على الدهـ ر فلا تدرى الدهور ..
قم بنا نطلب لهـــواً غير عُـــود وزمور
نتأمل مسرح الدنـ يا بطرف لا يحور
نبصر الناس عليـــه كألاعيب تـــدور
كلهم يلعب دوراً غير ما يخفى الضمير
إن ما لاح هو غيـ ر الذى خلف الستور

* * *

يا نديمى إن بعض النـ اس إن جُسْتَ الأمور
عالم يبحث طول الـ عمر ما بين السطور

جامع فى صدره ما ليس تحويه الصدورَ
ما تراه حاز من فهـ م الأحاجى والجذور ؟
آه هل يحترم الأعـ لامَ دود فى القبور ؟.
دعك منه واقلب الصفـ حة فى سفر الدهور !

* * *

يا نديمى إن بعض النا س إن جست الأمور
ذو ثراء يحسب المـا ل غِنىً وهو غرور
يملك المـال . . ولكن هـو للمـال أجـير
دعك منـه واقلب الصفـ حة فى سـفر الدهور

* * *

يا نديمى إن بعض النـا اس إن جست الأمور
تاجـر يطلب ربحـاً من بضـاعات ودور
يضرب الخمس بسدس وصحيحـاً بكسـور
يسهد الليـل لخوف من متـاع أن يبور
ثم ينسى المتجـر الأسـ مى لدى حَسْب الأجور
دعك منـه واقلب الصفـ حة فى سـفر الدهور !

* * *

يا نديمى إن بعض النـا س إن جست الأمور
عاشـق يرقب فى الظلـ ماء أنـوار الخـدور
همُّـه أن يتلهى بنحـور ، وثغـور !
يقتـل النفس على مر أى قـدود وخصور
ما تراه يرتجى من وصـل غادات وحور ؟
وإذا ما شـبع الجسـ م وأضـناه الفتور
أنزل الحب عن العر ش إلى سـوق الفجور
دعك منـه واقلب الصفـ حة فى سـفر الدهور..

يا نديمى إن بعض النا س إن جست الأمور
شاعر مهنته صو غ القوافى من شعور
يعشق الحسن ويبنى فى علا الجو القصور
يمتطى الشمس ويسعى فوق هامات البدور
وهو فى الأرض يجر الرِّ جل تدميها الصخور
يأمر الدهر وينهـا ه بهتان وزور
دعك منه واقلب الصفـ حة فى سفر الدهور

* * *

يا نديمى ! إننى أبـ صر . هل أنت بصير ؟
ولعمرى قد يرى السكـ ران ما يخفى الضمير
إن كل الناس أشبا ه إذا زحت الستور
ليس فى الدنيا غنى ليس فى الدنيا فقير
لا عليم ، لا جهول لا عظيم ، لا حقير
كلها حالات وقت كغبوق وبكور
كلها تمثيل أدوا ر على ملهى العصور
فالغنى والفقر ؛ إن كنـ ت غنياً ، فى الشعور
والنهى والجهل إن كنـ ت عليما ، فى الصدور

* * *

يا نديمى نحن مثل النا س إن جست الأمور
كلنا أسرى حياة أذهلتنا عن نشور
نضرم النار ولا نعـ لم ما تحوى القدور
فاعطنى الكاس وهات الـ خمر من نار ونور
ثم أيقظنى فإن لم أصح من سكر الغرور
دعك منى واقلب الصفـ حة فى سفر الدهور

أم الحجار السود

صـــور تلوح لخاطر المعمود ما بين أرباض المنى والبيد
خفاقة فيهـــا بنـــود العيد بسامة فيهـــا ثغور الغيد
تجلو رؤى ماضى الهوى المفقود

وقف الفؤاد أسير بارق نارها يهفو إلى ما لاح من أسرارها
لمن الديار تذوب من تذكارها من بعد طول نوى وفرط جحود
يا موثقاً من شـــوقه بقيود ؟

يا قلب ما هذا الخفوق وما ترى فيما توهمـــه الخيال وصورا
تبكى كأنك بعض أفئدة الورى وظننت أنك صرت صلب العود
أشجتك رؤيا يا أخا الخلمود ؟

رفعت لطرفك من مكان قاص تختال بين حدائق وعراص
أعرفت يا قلبى عروس العاصى محيّيَ أمانينا ، ومحيـــا الجود؟
ونعيم راض بالوجود ســـعيد ؟

أعرفتها تلك الربوع العاليـة ما بين لبنان وبين البادية ؟
الذكريات وقد برزن علانية نادين عنك بحسرة المطرود :
ياحمص ! يا بلدى وأرض جدودى !

جثمت بكلكلها على درب الأمم جبارة من طبعهـــا رعْىُ الذمم
بلد الهدى أحجارها سود ، نعم لله در ســـوادك المعبود !
يا حمص ، يا أم الحجار السود !

أنســـيم وعرك ما سمعتُ مهينما أم روح ديك الجن من خلف الحمى
أم شيخنا الجنـــدى حن ورنما متغزلا بمعاطف وقـــدود !
بيضاء فى ظل الحجار السود ؟

ماذا يكابد فى النوى ويقاسى صب يحن إلى حمى الميماس
وإلى الدوير ، إلى ربوع الكاس وكناسها ، وغزالهـــا الأملود !
وإلى مغـــانى نعمة وسعود !

حمص العـــدية ، كلنا يهواك يا كعبة الأبطال إن ثراك
غمـــد لسيف الله فى مثواك ولكم لنـــا من خشعة وسجود
فى هيكل النجوى ومن تمجيد !

يا جارة العاصى لديك السؤدد لبنان دونك ســـاجد متعبد
هو عاشق من دمعه لك مورد وارحمتـــا لمتيم مصفود !
يستى الهوى من قلبه الحلمود !

عاصيك كوثرنا ، لنا فى ورده طعم الخلود ونكهة من شهده
هيهـــات يوماً نرتوى فى بُعـــده ونُبَلَّل حرقة أضـــلع وكبود
إلا بســـلسل مائه المفقود

حادى العطاش إلى موارد مـــاء نفسى لقد ظمئت فأين روائى
عللتهـــا بعـــد النوى بلقـــاء والدهر يأبى أن أفى بعهودى
أو لم يئن أن تستقر جهودى ؟

يا دهر ! قد طال البعاد عن الوطن هل عودة ترجى ، وقد فات الظعن
عد بى إلى حمص ولو حشو الكفن واهتف : أتيت بعاثر مردود
واجعل ضريحى من حجار سود !

يا جارة العاصى إليك قد انتهى أملى ، وأنتِ المبتغى والمشتهى
قلبى يرى فيك المحاسن كلهـــا وعلى هـــواكِ يدين بالتوحيد
يا حمص يا أم الحجار السود !

رَشِيد أيّوب

١٨٧١ — ١٩٤١

يذكرني هذا الشاعر الباكي الشاكي بشاعرنا حافظ إبراهيم ، فإن كل قصيدة من شعره هي أنغام من الأسى ، ونغمات من الشكوى الصاعدة من أعماق قلب حزين ، حتى أطلقوا عليه اسم « الشاعر الشاكي » . وقد كان ينفس عن الشكاة في شعره بالنكتة الحاضرة والفكاهة التي يرسلها في مجلسه . كما كان شاعر النيل حافظ إبراهيم في نكتته وفكاهته في مجالسه . ويشهد له الأستاذ ميخائيل نعيمة بذلك في قوله عنه وعن عبد المسيح حداد بأن كلا منهما خفيف الروح ، حاضر النكتة ، لطيف المعشر ، فكم أحالا العبوس في بعض الساعات إلى حالات من الضحك ، وكم ساعة تدب ثوانيها في أصفاد من الهم والأسى جعلاها دقيقة ترفرف بأجنحة من الزهو والطرب [١] . . . ولولا هذه الروح الخفيفة والنكتة الحاضرة عند أمثال رشيد أيوب وحافظ إبراهيم لكانت الحياة جحيما لا يطاق أواره ، ولا تحتمل ناره . . .

ورشيد أيوب من السابقين الأولين إلى الهجرة إلى العالم الجديد ، كما كان من السابقين إلى تأسيس « الرابطة القلمية » في نيويورك سنة ١٩٢٠ ، فهو من السبعة الكرام الذين شهدوا أول اجتماعاتها كما أسلفنا في فصل سابق . وديوانه « الأيوبيات » من أقدم ما نشر من شعر المهجر ، فهو يعود إلى عام ١٩١٦ . وديوانه « أغاني الدرويش » المطبوع بأمريكا سنة ١٩٢٨ اشترك جبران في وضع رسومه وأُطر صفحاته ، كما اشترك ميخائيل نعيمة في كتابة مقدمته .

ولقد شهدت قرية بسكنتا — وطن نعيمة — مولد الشاعر رشيد أيوب سنة ١٨٧١ ، كما شهدت مدرستها الصغيرة نضوج عقله . وفي سنة ١٨٨٩ رحل إلى باريس وأقام فيها ثلاث سنوات ، ثم تركها إلى مانشستر وأقام فيها نحواً من

(١) جبران خليل جبران : لميخائيل نعيمة ، ص ٢٢٤ .

ذلك يشتغل بالصفق فى الأسواق تاجراً ووسيطاً ومصدراً للبضائع . . . ولكن الوطن دعاه فلباه يمضى فيه ثلاثة أشهر فقط ، غادره بعدها إلى أمريكا حيث دعته الحياة من جديد ، وحيث دعته منيته ليدفن فى ثرى أمريكا ، وفى أحضان بروكلن فى ديسمبر سنة ١٩٤١ .

وعلى الرغم من إغراق رشيد أيوب فى ذكريات حزينة وتذكارات باكية ، وحنين إلى فائت لا يعود ، ونواح على ماض يفضى إلى حاضر مهموم ، فأنه كان دائم التطلع والتشوف إلى غد سعيد مرموق . ولعل ميخائيل نعيمة قد أنصفه حين قال عنه : « إن تكن فى شكواه مرارة الفشل ، ففيها كذلك حلاوة الأمل ، وإن تكن فى دمعته حرقة الأسى ، ففيها كذلك برودة التأسى » . ولهذا ليست شكاة رشيد أيوب مناحة على الحياة ، بل هى إدراك لسر الحياة ، وفهم للحياة على وجهها . فأوتار حزنه كأوتار فرحه يضربان على قيثارة الحياة ، وينبعان من قلب الحياة . . . ومن هنا يجد المحزونون فى شكوى رشيد أيوب سلوة لأحزانهم من هموم زمانهم . ولقد شارك رشيد فى حركة الشعر المنثور بمقطعات أهمها : الأعمى ، والشاعر ، والدرويش ، كما شارك فى الشعر الوطنى وشعر الحنين إلى الأوطان ببضع من القصائد منها قصيدته « بلادى » التى يقول فى مطلعها :

خلقت ولكن كى أموت بهـا حبا لذاك ترانى مستهاماً بهـا صبا

وقد ترك الشاعر لنا ثلاثة دواوين هى « الأيوبيات » و « أغانى الدرويش » و « هى الدنيا » الذى ظهر فى العالم الجديد سنة ١٩٣٩ .

باقة من أشعاره

لعل غدى

دموع بعينى لم تجمد ... ونار بقلبى لم تخمد
فيادمع هل أنت من لجة ... ويانار هل أنت من موقد ؟
أصلى لموسى ، وأعبد عيسى ... وأتلو السلام على أحمد
طلبت معيناً على الحادثات ... فمر الزمان ولم أهتد
إذا ما تمشى بفكرى القريض ... قرضت وصدرى عليه يدى
أقلب طرفى برحب الفضاء ... وأمضى حزيناً إلى مرقدى
أقول وأمسى خان العهود ... ويومى كأمسى : لعل غدى !
فيادهر إن أشكُ لا تغترر ... فما أنا فى موقف المحتدى

الجندى والغدير

يا غديراً جارياً بين الحقول ... فى سكون الليل ، ماهذا الخرير؟
قل برب الخلق هل أنت رسول ... رنة الأفلاك فى أوج الأثير؟
أم فؤاد الصب من بين الطلول ... يبعث الشوق أنيناً وزفير؟
هل تقاسى وحشة الليل البهيم ... وبنات النعش فيه مؤنسات ؟
مثل صب كلما هب النسيم ... هاجه ذكرى الليالى الماضيات
أم كمشتاق إلى دار النعيم ... بعد ما قد مل من هذى الحياة
أنت تبكى مثل من يرعى العهود ... أنت مثلى ما تلا الليل النهار !
بدموع ما لها الدهر جمود ... كدموعى خلقت للانحدار ...
إنما أنت إلى البحر تعود ... وأنا هيهات عودى للديار ؟.

وولى ما عرفناه

وقفنا عند مرآه ... حيارى ما عرفناه
عجيب فى معانيه ... غريب فى مزاياه

له سربال جوّاب غبـــار الدهر غشّاه
ووجه لوحته الشمـ س غارت فيه عيناه
سألنا الناس : من هذا ؟ فقالوا : يعلم الله ...
فلا ندرى بما فيـــه ويسهو إن سألنـــاه
كأن فى صدره سر وذاك السر ينهاه . .

* * *

إذا ما جنّه ليـــل ترامت فيـــه نجـواه
فيرعى النجم إذ يبدو كأن النجم مغنـــاه
تراه إن سرى برق تمنـــاه مطاياه . .
وإن أصغى لصوت النا ى أشـــجاه وأبكاه ..
إذا أعطيته شـــيئاً أبت جدواك كفـــاه
وفى الدنيـــا لأهليها حطـــام ما تمنـــاه

* * *

ألا يا ساكنى الدنيـــا تعالُوا استنطقوا فـــاه
ســـلوه ربما المسكيـ ن سوء الحظ أقصاه
فقالوا إنه صب وفرط الحب أضناه
وقالوا شـــاعر يشكو فما تجـــديه شـــكواه
وقالوا زاهـــد لمـــا رأوه عاف دنيـــاه
ومنهم قال درويش غريب ضاع مأواه

* * *

سألناه بلا جـــدوى وولّى ما عرفنـــاه ..!

فراشـــتى

ماذا تقول فراشـــتى إن رفرفت عند الصباح
ورأت محاسن روضتى أودت بها هوج الرياح
فتناثرت أزهارهـــا منهـــا وفر هزارها ؟

ماذا تقول إذا أتت من لم أجد عنها براح؟
ورأت كمنجتيَ التى من كثر شوقى والنواح
قد فجرتهـــا نارها فتقطعت أوتارها ؟

* * *

يا ليت شـــعرى ما تقو ل إذا أتت ذات الوشاح
ودرت بأن روايتى فى مسرح الغيد الملاح
قد أسبلت أســـتارها وقد انتهت أدوارها ؟

غروب شمس الحياة

دنت المنية وانقضى عمرى ونسيت ما قد كان من أمرى !
غابت رســـوم فى مخيلتى كادت تضىء كأنجم زهر
وخبـــا فؤاد كان مشـــتعلا بالحب مثل النار فى صدرى
ودويُّ نفسى الآن خارجةً منى دويُّ الموج فى البحر
ماذا إذا رفع الحجاب غدا ألقى وقد أصبحت فى القبر ؟

* * *

قد كنت حتى الأمس مصطحباً عزمى ، شعورى ، همتى ، لبى
إن قمت قام الحب فى أثرى أو نمت نام الحب فى جنبى
وإذا بكيت بكيت منتحباً وإذا ضحكت ضحكت فى قلبى
فحسبت نفسى فى الهوى ملكا قد توجته إلاهـــة الحب
واليوم قد أصبحت منفرداً لم أدر كيف تفرقت صحبى !

* * *

أنفقت هـــذا العمر مكتئبا وقطعت هذا العيش بالركض
ودرجت فى الدنيا على أمل باق ولو غُيبت فى الأرض
ما ضر نفسى والحياة مضت فإلى حيـــاة غيرها تمضى
فالنفس من أخلاقها أبدا إبدال ذاوى الغصن بالغضِّ
والعين إن طال السهاد بهـــا عند الضحى حنت إلى الغمض

دنيا : وداعاً إن ثويتُ غدا وتقطعت فى القبر أوصالى
وتساءلت عنى الطيور وقد تاقت إلى شدوى وإعوالى
ورياضك الغناء قد عجبت منى بأنى مغرم سالى :
قولى بأنى قد رحلت إلى حيث الحِمام يفك أغلالى
ولحقت آمالى فقد سبقت قِدْما غروب الشمس آمالى ..

هل تذهبين

يا هند قد فسد الزما ن وراج قول المرجف
فهلم نذهب فى الظلا م إلى الجبال ونختفى
هل تذهبين ؟
وهناك نسرح مثلما الـ أطيار تسبح فى الفضا
متوكلين على المقا در صابرين على القضا
كالزاهدين
أو نمتطى طيارة ونطير فى الجو الفسيح
متمتعين كما نشا ء بحبنا الصافى الصحيح
فى كل حين
يا هند ! هذى نجمة غراء لامعة الجبين
غمازة فكأنها تدعو إليها العاشقين !
هل تذهبين ؟

النسر

هات حدثنا بآيات الطيور أيها السلطان
وبما قد كان فى ماضى العصور من عظيم الشان
لك ملك ليس تمحوه الدهور ثابت الأركان
عشقتك النفس فى هذا الجلال أيها الجبار
وقفة منك على هذى الجبال كلها أشعار !

من ترى أنباك أسرار النعيم ... من ترى أنباك ؟
سابحاً فى الجـــو حراً كالنسيم ... والذرى مأواك ؟
منصتاً تسمع فى الليل البهيم ... رنة الأفلاك
أيهـــا السابح فى بحر الخيال ... فيك عقلى حار !
نسَبٌ ما بيننا الاعتزال ... مع بعد الدار !

* * *

أنت حر شـــاعر أنت أمير ... فى الورى محسود
فهنيئاً لك فى الجـــو المطير ... والمدى محـــدود
لست مثلى تائهاً فوق الأثير ... فى الليالى السود
حائراً أقضى ليـــالىَّ الطوال ... أنشـــد الأسرار
أبتغى عنـــد السهى ما لاينال ... من يد الأقـدار

* * *

ملك الأطيـــار بُلِّغت المنى ... فى حمى مأمون
فكلانا طـــائر لكن أنا ... طائر مسجون
ما له عن مذهب الناس غنى ... قلبه محـــزون
قيـــدوه ، قيدوا منه الجمال ... قيدوا الأفـكار
هى دنيـــا كلهـــا مال بمال ... يا أبا الأحرار !

ألم ترنى

ألا ليت لى ما قد دعاه بنو الورى ... حطاماً فأعطى البائسين وأنفح
سموح هو المـــرء المفرق ماله ... ولكنَّ من يعطى من القلب أسمح
ألم ترنى والدهر أصمى حشاشتى ... أعلم ورقاء الحِمى كيف تصدح
إذا صلحت بالمال نفس فأنها ... بأعطائهـــا مما لديها لأصلح
فما المال إلا — بعد موتك — بارح ... وما الجود إلا صنع ما ليس يبرح..

النفس الهاربة

ضربنا بقرب السواقى الخيام
وبتنا هناك بظل السلام
إلى أن تجلى لنفسى الغرام
ففكت سلاسل أغلالها وألقت إلى بأثقالها
تمشت إلى الروض عند الصباح
يموج على منكبيها الوشاح
فأصغت إلى هينمات الرياح
وسارت على درب آمالها تمس النجوم بأذيالها
تغنّت بلحن بعيد القرار
كهمس السواقى وشدو الهزار
فلما توارت وشطّ المزار
ترى هل خطرت على بالها بدنيا الهموم وأهوالها ؟
ألا أين كأسى وهاتوا الشمول
لأنعش قلباً عراه الذبول
ألا ليت شعرى أما من رسول ؟
يذكّر نفسى بأطلالها وأن غناها بأقلالها ؟
فغنِّ فؤادى إلى أن نعود
كفانا بأنا رعينا العهود
ليال تمر بهذا الوجود
وإدبارها مثل إقبالها وصفو الحياة كبلبالها..

خليانى

يا خليلىّ إذا شط المزار بفؤاد ما له غير الزفير
وَهمىَ دمعى لدى ذكر الديار خليانى
عندما أجلس فى الليل البهيم ونجوم الأفق فوقى سابحات
فى فضاء عنده النفس تهيم خليانى

فأنا دون الملا شأنى عجيب ... ليس يحلو لى سوى الليل الطويل
وأنا فى هـــذه الدنيا غريب ... خليانى

يا خليلىّ إذا فاض القريض ... ويراعى سال مِن فيه المداد
وعلت شكواى من قلبى المريض ... خليانى

حنت النفس اشتياقاً للجبال ... حيث أنسى وحشتى بين الصخورْ
حيثما أبعد عن قيـــل وقال ... خليانى

أو خذانى نحو هاتيك الرياض ... ثم عوجا بى على ذاك الغدير
وإذا ما الدمع من عينىّ فاض ... خليانى

آه كم من زفرة أرســلتها ... مثل برق ضحكت بين الغيوم
والتى تعــلو السهى أنزلتها ... خليانى

زعمــوا بالسعى للمرء النجاحْ ... ثم قالوا هذه الدنيا حظوظ..
فأنا ممن درى الدنيا وراح ... خليانى

قصرى

قصرى بناه الوحى رحب المجالْ ... فى القبة الزرقاء منذ الوجود
فارقصن فيــه يا بنات الخيال ... يا حبذا منكن هــز القدود
وامرحن فى ساحات ذاك الجمال ... والبسْن من تلك الدرارى عقود
تلوح فى دُهم الليــالى الطوال ... علامة للنفس فى زهدهــا

* * *

والذة العيش برْعىِ النجــوم ... بين أسى الشاكى ورشف المدام
إذ تطرد الأحلام جيش الهموم ... إذ تنجلى الآمال تحت الظلام
دبىِّ رعاك الله بنت الكروم ... وغلغلى فى القلب حتى ينام
على بساط مــد فوق الغيوم ... حاكته أيدى النفس من وجدها

* * *

ما تنفع الشكوى ودمعى بحورْ ... جفت حياة سُلَّ منها الشباب
لم يبق منهـا الدهر إلا قشور ... لولا قليل أودعوهـا التراب
لكن فى قصرى وراء البدور ... باق إلى يوم النشور اللباب
قد وفرته النفس قبل العبور ... من هذه الدنيا إلى مهدها ..

* * *

يا عاذلى فى سهد ليـلى الطويلْ ... ولائمى لمـا أطلت النـواح
دعنى فمالى غير هـذا السبيل ... فمن حواشى الليل يبدو الصباح
فإن رأيت الدمع منى يسيل ... فذا بشرع الحب عين الصلاح
أو قلتَ قصرى ما عليه دليـل ... أقصر وخَـلِّ النفس فى رشدها

* * *

منْ أين حُسْن الزهر لولا السواد ... هيهات لولا الصبر عيش يطيب
يا قلب والآمال أحلى وسـاد ... لمن بهذا الكون أمسى غريب
نم آمناً من بعد هـذا السهاد ... فإن ما ترجوه خلف المغيب
ومَن رأى الدنيا بعين الرشاد ... حاشاه أن يبكى على فقـدها

* * *

أنا على دربى بظل الأمان ... أشدو كدرويش غريب شريدْ
وكلَّ يوم لى برغم الزمان ... فوز على الدنيا وعيش رغيد
حتى إذا ما نام هـذا الجنان ... لحقت أحلامى بقصرى البعيد
إذ ألتقى بالنفس حول الجِنان ... فالنفس ما زالت على عهدها ..

هى الدنيا

وقائلة لمـا رأتنى مكثرا ... من الخمر : إن الخمر تذهب باللُّب
فقلت دعينى فى رشادى فإننى ... أعوض عما يشرب الحزن من قلبى !

نفس مكروب

إن التى كنت لو كلفتها غزلا ... تفجرت فى القوافى كالشآبيب
قد قرحتها الليالى فهى إن رشحت ... قصيدة أعربت عن نفس مكروب

جبران خليل جبران

١٨٨٣ — ١٩٣١

لو أجيب اقتراح الفتى بطرس — شقيق جبران — يوم ميلاد أخيه لكان اسمه الآن « عنتر » بدلا من جبران ! ولكن الشيخ خليل والد جبران يقهقه حين يسمع باسم عنتر يتدفق من شفة أخيه الصغير ، ويقول : جبران أحسن من عنتر . . جبران جد العائلة ! !

وهكذا طلع على الدنيا الكاتب النابغة جبران فى ليلة من ليالى ديسمبر سنة ١٨٨٣ ، وفى أحضان قصبة «بشرى» من أعمال لبنان .. ولعل ترجمة ميخائيل نعيمة لجبران هى أبدع ما فى كتب التراجم فى الأدب العربى ، فقد صور فيها حياته وموته ، وفنه وأدبه تصويراً حياً نابضاً ، وصور لنا هذه الروح الأدبية المفكرة التى أطلت على سماء الدنيا برهة ثم غابت إلى حياة الذكريات . لقد تعلم جبران فى « مدرسة الحكمة » ببيروت — وهى مدرسة أخرجت شيوخاً وعمالقة فى النهضة الفكرية — ثم رحل إلى باريس فأقام فيها شهراً ، ومنها شد الرحال إلى الولايات المتحدة ، فأقام فى مدينة بوسطن يشتغل بالكتابة والتصوير ، وقد كانت ريشته المصورة كريشته المعبرة ، تحلقان فى سماء بعيدة من الخيال العميق .

وفى سنة ١٩٠٨ عاد إلى باريس ليكمل الموهبة الفنية فيه ، فأقام فيها ثلاث سنوات حصل بعدها على إجازة عالية فى التصوير من معهد الفنون الجميلة ، وفاق بالسبق والتقدم مئات من المتقدمين معه لهذه الإجازة الرفيعة من شعوب شتى . وفى مدينة العلم والنور بفرنسا اتصل جبران بالنحات العالمى الجبار « رودان » وزاره فى محترفه ، فأخذ الفتى العربى ببساطة الفنان الفرنسى وعظمته ، وهيبته ووداعته ، وسمع منه حديثاً عن الشاعر الفنان الإنجليزى « وليام بليك » وكيف التقى فيه الشعر والتصوير . . . ومن هنا فتن جبران بالشعر ، وتمنى لو اجتمع فيه الفنان والشاعر كما اجتمعا فى وليام بليك . . .

وما خابت أمنية جبران ، فقد التقى فيه الفن الجميل والشعر ، وإن كان شاعراً تحرر من قيود الوزن والقافية إلى أبعد الحدود . فأنه يغلب على كتاباته وآثاره النثر الشعرى أو الشعر المنثور ، أما الشعر المقفى الموزون فقد كان الكاتب النابغة مقلا فيه ، ولكن له مع ذلك قصيدته « المواكب » التى اجتمع فيها شعره ورسمه ، فقد زينت قصائدها أو مقطعاتها بلوحات فنية تدل على عبقرية الفكر والفن عند هذا الكاتب العظيم .

ولم يصادف أديب عربى من الرواج والقبول عند القراء ما صادفه جبران ، فقد جذب أسلوبه الشائق وطريقته المبتكرة كثيراً من المتشوقين إلى أدب جديد ، ولم يقل حظه فى مؤلفاته الإنجليزية عنه فى كتبه العربية ، فقد فتن الأمريكيون بمؤلفاته وعلى رأسها « النبى » الذى بيع منه إلى اليوم ٧٧٨٢٠٠ نسخة و « رمل وزبد » الذى بيع منه ٣٢٩٠٠ نسخة ، و « التائه » الذى بيع منه ١٧٩٠٠ نسخة ، و « المجنون » الذى بيع منه ١٦٣٠٠ نسخة [١] .

ولجبران الفضل كل الفضل فى تأسيس «الرابطة القلمية» بنيويورك ، فقد كان الروح التى تصل بين أرواح عمالها وأنصارها ، حتى اختاروه عميداً لها . ولا شك أن حركة التجديد فى الأدب العربى ، وحركة الحملة على القديم ، وحركة التحرر من قيود الأساليب والوزن — بل التفكير نفسه — ستظل مقترنة باسم جبران ، على مدى الآباد والأزمان .

ومات جبران مهاجراً فى أبريل سنة ١٩٣١ بأحد مشافى نيويورك . وفى أغسطس من السنة نفسها نقل جثمانه إلى لبنان ، حيث شيع فى موكب رهيب إلى بلدته « بشرى » [٢] وهناك دفن فى ثرى الأرض التى وهبته إلى العالم الجديد ، ثم استردته إلى أحضانها من جديد . . .

---

(١) هذه الإحصاءات وصلت إلى من الناشر « الفرد كنوف » بواسطة البروفسور ديتس سميث

(٢) زرت هذه القرية اللبنانية الجميلة فى أغسطس سنة ١٩٥٤ لأطلع على مافى متحف جبران من غوالى الآثار

باقة من أشعاره

ماذا تقول الساقية

سرت فى الوادى وقد جاء الصباح ... معلناً سر وجود لا يزول
فإذا ساقية بين البطاح ... تتغنى وتنادى وتقول :

ما الحياة بالهناء ... إنما العيش نزوع ومرام
ما الممات بالغناء ... إنما الموت قنوط وسقام
ما الحكيم بالكلام ... بل بسرٍّ ينطوى تحت الكلام
ما العظيم بالمقام ... إنما المجد لمن يأبى المقام
ما النبيل بالجدود ... كم نبيل كان من قتلى الجدود
ما الذليل بالقيود ... قد يكون القيد أسنى من عقود
ما النعيم بالثواب ... إنما الجنة بالقلب السليم
ما الجحيم بالعذاب ... إنما القلب الخلىّ كل الجحيم
ما العقار بالنضار ... كم شريد كان أغنى الأغنياء
ما الفقير بالحقير ... ثروة الدنيا رغيف ورداء
ما الجمال بالوجوه ... إنما الحسن شعاع للقلوب
ما الكمال للنزيه ... رُبَّ فضل كان فى بعض الذنوب

هذا ما قالته تلك الساقية ... لصخور عن يمين ويسار
رب ما قالته تلك الساقية ... كان من أسرار هاتيك البحار

بالأمس

كان لى بالأمس قلب فقضى ... وأراح الناس منه واستراح
ذاك عهد من حياتى قد مضى ... بين تشبيب وشكوى ونواح
إنما الحب كنجم فى الفضا ... نوره يمحى بأنوار الصباح

وسرور الحب وهْمٌ لا يطول ... وجمال الحب ظل لا يقيم
وعهود الحب أحلام تزول ... عندما يستيقظ العقل السليم

* * *

كم سهرت الليل والشوق معى ... ساهر أرقبه كى لا أنام
وخيال الوجد يحمى مضجعى ... قائلا : لا تدْنُ فالنوم حرام
وسقامى هامس فى مسمعى : ... من يريد الوصل لا يشكو السقام
تلك أيام تقضت فابشرى ... يا عيونى بلقا طيف الكرى
واحذرى يا نفس أن لا تذكرى ... ذلك العهد وما فيه جرى

* * *

كنتُ إن هبّت نسيمات السحر ... أتلوى راقصاً من مرحى
وإذا ما سكب الغيم المطر ... خلته الراح فأملا قدحى
وإذا البدر على الأفق ظهر ... وهى قربى صحْت : هلا يستحى ؟
كل هذا كان بالأمس ، وما ... كان بالأمس تولى كالضباب
ومحا السلوان ماضىَّ كما ... تفرط الأنفاس عقدا من حَباب

* * *

يا بنى أمى إذا جاءت سعاد ... تسأل الفتيان عن صب كئيب
فاخبروها أن أيام البعاد ... أخمدت من مهجتى ذاك اللهيب
ومكان الجمر قد حل الرماد ... ومحا السلوان آثار النحيب
فإذا ما غضبت لا تغضبوا ... وإذا ناحت فكونوا مشفقين
وإذا ما ضحكت لا تعجبوا ... إن هذا شأن كل العاشقين . !

* * *

ليت شعرى هل لما مر رجوع ... أو معاد لحبيب وأليف ؟
هل لنفسى يقظة بعد الهجوع ... لترينى وجه ماضىَّ المخيف
هل يعى «أيلول» أنغام الربيع ... وعلى أذنيه أوراق الخريف ؟
لا ! فلا بعثٌ لقلبى أو نشور ... لا ! ولا يخضر عود المحمل
ويد الحصّاد لا تحيى الزهور ... بعد أن تبرى بحد المنجل . .

شاخَت الروح بجسمى وغدت لا ترى غير خيالات السنين
فأذا الأميال فى صدرى مشت فبعكاز اصطبارى تستعين
والتوت منى الأمانى وانحنت قبل أن أبلغ حد الأربعين!
تلك حالى فإذا قالت رحيل ما عسى حل به؟ قولوا: الحنون
وإذا قالت أيشفى ويزول ما به؟ قولوا: ستشفيه المنون..

البلاد المحجوبة

هو ذا الفجر! فقومى ننصرف عن ديار ما لنا فيها صديق
ما عسى يرجو نبات يختلف زهره عن كل ورد وشقيق
وجديد القلب أنّى يأتلف مع قلوب كل ما فيها عتيق؟
هو ذا الصبح ينادى فاسمعى وهلمى نقتفى خطواته
قد كفانا من مساء يدّعى أن نور الصبح من آياته...

* * *

قد أقمنا العمر فى واد تسير بين ضلعيه خيالات الهموم
وشهدنا اليأس أسراباً تطير فوق متنيه كعقبان وبوم
وشربنا السُّقم من ماء الغدير وأكلنا السم من فج الكروم
ولبسنا الصبر ثوباً فالتهب فغدونا نتردى بالرماد
وافترشناه وساداً فانقلب عندما نمنا هشيما وقتاد

* * *

يا بلاداً حجبت منذ الأزل! كيف نرجوك ومن أى سبيل؟
أى قفر دونها أى جبل سورها العالى ومن منا الدليل؟
أسراب أنت أم أنت الأمل فى نفوس تتمنى المستحيل؟
أمنام يتهادى فى القلوب فأذا ما استيقظت ولّى المنام
أم غيوم طفن فى شمس الغروب قبل أن يغرقن فى بحر الظلام؟

* * *

يا بلاد الفكر يا مهد الألى عبدوا الحق وصلوا للجمال
ما طلبناك بركْبٍ أو على متن سفن أو بخيل ورحال

لست فى الشرق ولا الغرب ولا ... فى جنوب الأرض أو نحو الشمال
لست فى الحو ولا تحت البحار ... لست فى السهل ولا الوعر الخرج
أنت فى الأرواح أنوار ونار ... أنت فى صدرى فؤاد يختلج

من قصيدة المواكب

الخير فى الناس مصنوع إذا جبروا ... والشر فى الناس لا يفنى وإن قبروا
وأكثر الناس آلات تحركها ... أصابع الدهر يوماً ثم تنكسر
فلا تقولن هذا عالم علم ... ولا تقولن ذاك السيد الوقر
فأفضل الناس قطعان يسير بها ... صوت الرعاة ومن لم يمش يندثر
ليس فى الغابات راع ... لا ، ولا فيها القطيع
فالشتا يمشى ولكن ... لا يجاريه الربيع
خلق الناس عبيداً ... للذى يأبى الخضوع
فإذا ما هب يوما ... سائرا سار الجميع
أعطنى الناى وغن ... فالغنا يرعى العقول
وأنين الناى أبقى ... من مجيد وذليل

* * *

وما الحياة سوى نوم تراوده ... أحلام من مراد النفس يأتمر
والسر فى النفس حزن النفس يستره ... فإن تولى فبالأفراح يستتر
والسر فى العيش رغد العيش يحجبه ... فإن أزيل تولى حجبه الكدر
فان ترفعت عن رغد وعن كدر ... جاورت ظل الذى حارت به الفكر
ليس فى الغابات حزن ... لا ، ولا فيها الهموم
فإذا هب نسيم ... لم تجىء معه السموم
ليس حزن النفس إلا ... ظل وهم لا يدوم
وغيوم النفس تبدو ... من ثناياها النجوم
أعطنى الناى وغن ... فالغنا يمحو المحن
وأنين الناى يبقى ... بعد أن يفنى الزمن

* * *

والحب فى النـــاس أشكالٌ وأكثرها ... كالعشب فى الحقل لا زهرٌ ولا ثمر
وأكثرُ الحب مثلُ الراح أيسره ... يُرضى ، وأكثره للمدمن الخطر
والحب إن قادت الأجسامُ موكبه ... إلى فراشٍ من الأغراض ينتحر
كأنه ملك فى الأسر معتقل ... يأبى الحياة وأعوانٌ له غـــدروا
ليس فى الغـــابِ خليع ... يدّعى نُبل الغـــرام
فاذا الثيران خارت ... لم تقل هذا الهيـــام
إنّ حب النـــاس داء ... بين لحم وعظـــام
فاذا ولى شـــباب ... يختفى ذاك السَـقام
أعطنى النـــاى وغنّ ... فالغنـــا حب صحيح
وأنين النـــاى أبقى ... من جميـــل ومليح

* * *

وما السعادةُ فى الدنيا سوى شبحٍ ... يُرجى ، فان صارَ جسماً مَلّه البشر
كالنهرِ يركض نحو السهل مكتدحا ... حتى إذا جاءه يُبطى ويعتـــكر
لم يسعد النـــاسُ إلا فى تشوقهم ... إلى المنيع ، فان صاروا به فتروا
فان لقيتَ سعيداً وهو منصرف ... عن المنيع ، فقل فى خُلقه العبر
ليس فى الغـــابِ رجاء ... لا ، ولا فيه الملل
كيف يرجو الغابُ جزءا ... وعلى الكل حصل ؟
وبما السعى بغـــاب ... أملا ، وهو الأمل ؟
إنمـــا العيش رجاءُ ... إحدى هاتيك العلل
أعطنى النـــاى وغنّ ... فالغنـــا نار ونور
وأنين النـــاى شوق ... لا يدانيه الفتـــور

* * *

والموت فى الأرض لابنِ الأرض خاتمةٌ ... (وللأثيرىّ) فهو البدء والظفر
فمن يعانقُ فى أحلامه سحرا ... يبقى ، ومن نام كل الليل يندثر
ومن يلازم تُربا حال يقظته ... يعانق الترب حتى تخمد الزُّهر
فالموت كالبحر ، من خفت عناصره ... يجتازه وأخو الأثقال ينحـــدر

ليس فى الغابات موت لا ، ولا فيها القبور
فإذا نيسان ولّى لم يمت معه السرور
إنّ هولَ الموت وهمٌ ينثنى طى الصدور
فالذى عاش ربيعا كالذى عاش الدهور
أعطنى الناى وغنّ فالغنا سر الخلود
وأنين الناى يبقى بعد أن يفنى الوجود

* * *

العيش فى الغاب ! والأيام لو نظمت فى قبضتى لغدت فى الغاب تنتثر
لكن هو الدهر فى نفسى له أرب فكلما رمت غابا قام يعتذر !
وللتقادير سُبْل لا تغيرها والناس فى عجزهم عن قصدهم قصروا

مسعود سماحة

١٨٨٢ — ١٩٤٦

إذا كنا نقيم وزناً لشهادة أعلام البيان فى رجال البيان ، فان شهادة المغفور له الأمير شكيب أرسلان فى شعر مسعود سماحة تعد تزكية أدبية رفيعة لها قيمتها فى تقدير هذا الشاعر المهجرى الكبير . ويعترف الأمير شكيب بأن الشاعر مسعود سماحة هو فى هذا العصر من فرسان الحلبة التى تمثل فحولة الشعر العربى ، ولا ترضى من اللغة إلا بالنسج الذى كان لها فى أيام الجاهليين والمخضرمين. والحق أن شعر مسعود سماحة يحمل طابع القديم ويعود بالقارىء إلى أساليب الأولين ، كأن موجة التجديد الجارفة فى المهجر لم تأخذ صاحبنا فى تيارها ! وعلى الرغم من إقامته الطويلة فى أمريكا فانه لم يتأثر باتجاهات « الرابطة القلمية » فيها ، بل لم يكن — فيما يظهر من وثائق تكوينها — من عمالها ولا من أنصارها ، ولعل نزعة المحافظة قد باعدت بينه وبين التجديد فى عالم يموج بالجديد .

ولقد لقى سماحة من آلام الغربة الروحية والوطنية ، وآلام الجهاد فى سبيل العيش ما انعكس فى كثير من قصائده . ولما خانه الحظ فى حياة المتاجرة والصفق فى الأسواق عاد إلى القلم يجد فى شباته منفسحاً للتعبير عن آرائه فى صراحة وجرأة وإخلاص لوطنه . ولما عاد إلى لبنان سنة ١٩٢٥ زائراً لقى من حالة التعس فى بلاده ما أثار قديم أشجانه فنظم قصيدة مؤثرة يقول منها :

مشت القرون وكل شعب قد مشى معهـــا وقومك واقفون ونوّم
لم ترتفع كف لصفعة غاشم فيهم ، ولم ينطق بتهديد فم

ويتجلى شعر المناسبات واضحاً وكثيراً فى ديوان مسعود سماحة ، حتى لا يكاد يخلو حفل اجتماعى أو وطنى فى أمريكا من قصيدة تنشد لهذا الشاعر ، فهو يستقبل عربياً وافداً إلى أمريكا ، أو يودع راحلا ، أو يهنىء صديقاً ، أو يداعب رفيقاً . إلا أن شعره الوطنى وقصائده الغزلية ومراثيه لكثير من

الراحلين تدلنا على روح وطنية عالية ، وعلى نفس رقيقة ، وعلى قلب وفى .

ولقد شهدت مدينة واشنطون كثيراً من نشاط هذا الشاعر الأدبى والتجارى.. فقد آثرها على نيويورك ، وإن كانت هذه الأخيرة هى التى أخرجت ديوانه الضخم إلى عالم الوجود ، حيث طبع فى مطبعة جريدة « السمير » العربية التى يصدرها إيليا أبو ماضى .

ولد شاعرنا فى قرية دير القمر بلبنان سنة ١٨٨٢ ، وهاجر إلى الولايات المتحدة غير مرة ، ولعله من أقدم المهاجرين إليها ، فقد كانت أولى رحلاته سنة ١٩٠٠ . وفى سنة ١٩٠٨ عاد إلى لبنان حيث أنشأ فى سنة ١٩١٠ جريدة « دير القمر » مشتركاً مع الأستاذ نعوم أفرام البستانى . وعاد إلى أمريكا قبيل الحرب العالمية الأولى — سنة ١٩١٣ — مشتغلا بالتجارة ، إلاأنها لم تصرفه عن رسالة الشعر الجميل . . . ولقد قدرت الولايات المتحدة جهود الشاعر فأنعمت عليه ولاية كنتكى برتبة « كولونل » . وفى خلال الحرب الثانية اشتغل الشاعر محرراً فى جريدة البيان النيويوركية التى أنشأها سنة ١٩١١ الأديبان سليمان بدور ، وعباس أبو شقرا ، إلى أن أدركته المنية فى سنة ١٩٤٦ وهو عامل فى تحريرها . وللشاعر منظومات غنائية رقيقة فى الإنجليزية ، وقد لحنت إحدى شركات الموسيقى فى شيكاغو سنة ١٩١٨ أغنية له عنوانها « عندما تكون أنت وأنا واحداً »

باقة من أشعاره

الله

الملك ملكك والبهاء بهاكا ... والأرض أرضك والسماء سماكا
الكون مع ما فيه من متحرك ... أو ساكن قد كونته يداكا
نظّمت أمكنة النجوم وسيرها ... والأرض والقمرين والأفلاكا
لا مسعف إلاك ، لا متساهل ... إلاك ، لا متسلط إلا كا

* * *

تهوى العروش وعرش مجدك ثابت ... وسواء ملكك كل ملك فانِ
سلطان مجدك أنت فيه أول ... لا رأى فيما ترتئيه لثان
من بعض حسنك كل حسن فى الورى ... والنور بعض بهاك والقمران
لا العقل يدرك كنه سرك ، لا ، ولا ... تلقى جمالك مقلتا إنسان . .

* * *

والملحدون وكلهم متجاهل ... أو جاهل لا يقبل البرهانا
قالوا الزمان هو الرقىّ وقولهم ... يوهى الجحود ويدعم الإيمانا
من أوجد الأسماك فى أبحارها ... من كوّن الأجسام والإنسانا ؟
مَن قيد الأبحار فى قيعانها ... من نظّم الأفلاك والأكوانا ؟

* * *

حارت عقول الباحثين وقصرت ... وسواك كلٌّ عاجز ومقصر
لم يعثروا إلا بما أوحيته ... وأذعته لهم ، ولما يعثروا
ما قصروا فى البحث ، لكن لم تشأ ... رفع الحجاب عن المصون فقصروا
لو رمتَ كشف حجاب سرك الألى ... بحثوا لأبصره الذى لا يبصر

* * *

رصدوا النجوم فلم تفتهم غاية ... منها ، ولم يشكل عليهم أمرها

والكيميا دانت لعلمهمُ ولم يغمض عليهم حلوها أو مرها
قاسوا البسيطة برها وبحورها وعنا لهم قَرَ الفصول وحرها
لكن بعض سرائر حجّبتهـا طمست عقولهم وحلق سرها . .

* * *

هـذا بأطمار يطوف وغيره بالفرو والخز الموشّى يرفل
هذا قوى الجسم ، هذا واهن هـذا بلا حوَل ، وهذا أحول
هـذا فضولى ، وهذا فاضل هذا نطاسى ، وهـذا أخطل
سر جلالك صانه ، فعلى الورى أن يذعنوا لعلاك ، لا أن يسألوا

* * *

لك رحمة فيهـا اليراع مقصر وبيان أرباب الفصاحة أعجم
لو رمت عدلا فى الخليقة ما بقى فى الأرض مخلوق به يجرى الدم
قالوا الخطاة المجرمون مصيرهم لجهنم ، وسواك كلّ مجرم
حاشى لرحمتك العجيبة أن ترى نفساً وأنت صنعتها تتألم . .

* * *

ضـل الغنى بماله ، ولو اهتدى لرأى الغنى بازاء باب المحسن
أعطيته مالا فمجـد ماله لا مؤمن بالتبر فيك بمؤمن !
لم يدر أن المقتنىَ يفنى ونو رعلاك وضاح ويفنى المقتنى
والموت قد ساوى الورى ففقيرهم يتجرع الكأس العتيدة كالغنى

* * *

نخشى الممات وما لنا من حيلة فى رده عنا ، ولا من مهرب
الملك كالمملوك يجرع كأسه والطفل يطرق بابه كالأشيب
نعنو له متهيبين وليتنـا نعنو لسطوته بدون تهيب
فالموت مرقاة النفوس لربهـا وهنا يزول شقاء جسم المتعب . .

لست منى ولست منك

لستِ منى ولست منكِ فسيرى واتركينى مقيـداً بأمورى
لستِ منى ولست منك فإنى ناظر للُّبـاب لا للقشور
لا تحبين ما أحب فقلبى لا يرى فى الغرور غير الغرور

أنت بنت اللذات بنت التجنى ... أنت بنت الأهواء بنت السرور
تحسبين الحيـــاة إرهاق صب ... وجمال الحيـــاة رشف الخمور
وقـــدوداً تموج بين قـــدود ... وخصوراً تميل بين خصور
وقصـــوراً محـــاطة برياض ... ورياشاً محشـــوة بقصـــور
اتركينى فان قلبى يهـــوى ... من كحيل العينين لطف الشعور
والفقير الأديب عندى أغنى ... من غنى فى أصغريه فقـــير
لا جمـــال للمرء إلا بحسن ... فى زوايا فؤاده مســـتور
لا أرى الحسن فى الأزاهر حسنا ... إن خلت من روائها والعبير
إن ما تحسبين نوراً بهيـــا ... هو عنـــدى جهنم بالسعير !
وجمـــالا يراه طرفى نورا ... هو فى مقلتيك ليس بنـــور
فـــرّق الله بيننـــا فكلانا ... مستقل برأيه فى الأمور
أنت بالزهـــو والملاهى تفرد ... ت ، ونفسى تفردت بالشعور...

أجلت بميدان الحياة ظنونى

أجلت بميدان الحيـــاة ظنونى ... فراحت بشك وانثنت بيقين
أرتنى حيـــاة الكائنات بأسرها ... سكون تمشى تائهاً لسكون
فمـــاء وطين دب فى الأرض برهة ... وعاد لمـــاء فى التراب وطين
ويلعب فينا الدهر حتى كأننا ... سـَفينٌ بيمٍّ ، أو قلوع سـفين
وينزل جورا بالألى ساء حظهم ... وتسكره منهم دموع حزين
يخون الذى خارت قواه ولا يرى ... لغير صليب العود غير خئون
تقاضتنى الأيام عن كل هفوة ... ولكن ديونى ما تزال ديونى
أنام وبى منهـــا جروح ثخينة ... كأنى قد جالدت ليث عرين
كأنى لم أترك لغيرى شئونه ... كأنى قد عالجت غير شئونى
وفتشت عن خدن بأيام محنتى ... فما طالعت عيناى عين خدين
فكم من صديق لم أخنه ، فخاننى ... ومؤتمن قد بات غير أمين
وأنكر فضلى من أدنت ولم أنل ... دعاء قريب أو ثناء مدين
إذا جزتَ سهلا فى الزمان فانما ... ستسرى بوديان به وحزون
وتجرع من مر النوائب أكؤسا ... إذا رمت أن تروى بكأس معين

الفقير

أيهـا الليل ! طل فأنت سميرى ... وسمير العفـاة والتعسـاء
أيها الليل ! أنت نور على من ... لا يرى فى الحيـاة غير الشقاء
أيها الليل ! أنت كالشمس لاتفـ ... ـرق بين المثرين والفقـراء
أنت تُهدى الأحلام للناس ياليـ ... ـل وتهـدى الأفكار للشعراء !

* * *

قدَّر الله أن أكون شقيا ... فى حياتى من جملة الأشقياء
ليتنى لم أكن فان حياتى ... وممـاتى لدىَّ مثـل الهباء
إن أيامى الطويلة داء ... لفقـير مثـلى بدون دواء
كلما شاب مفرقى شب حزنى ... فى فؤادى وشب فيـه عنائى
ليس فى الصيف لى مقر ولا لى ... ما يقينى قر الشتا فى الشتاء
ليس لى ملجأ أحن إليـه ... فلدىَّ البـلدان كالصحراء
أين منى معنى الحياة فانى ... تائه بين صبحها والمساء ؟
لست أنسى يوماً تعمدت قوما ... من كبار المثرين والأغنياء
طردونى فقلت يا قوم إنى ... مثلكم . . . إنما من الضعفاء !
قلت إن الجسوم منكم كجسمى ... والدما فى عروقكم كدمائى
إننى مثلكم ولدت وإنى ... مثلكم صنع رافع الزرقاء
غير أن الظروف قد حرمتنى ... من نصيبى من الهنـا والثراء
أى ذنب لمن يفتِّح عينيـ ... ـه إذا لم يجد سـوى الظلماء ؟
أنتمُ تهربون منى كأنى ... مبتلى بينكم بأقبـح داء
أنتم تنظرون نحـوى كما ينـ ... ـظر مولى الإماء نحو الإماء
أننى مثلكم على الرغم منكم ... من لحـوم مركَّبٌ ودماء
بين جنبىَّ لى فـؤاد خفوق ... كاللوا هـزه مهب هـواء
ذو شعور يهتزُّ مع كل قلب ... ذو ولاء يسرى بكل ولاء
أنتمُ تبذلون كل عـزيز ... فى سبيل الأميال والأهـواء
تقتلون الأوقات فى حفر الاسـ ... ـراف بين القمار والفحشاء

تسهرون الليل الطويل ، وأنتم بين سعدٍ باد ، وسعدٍ ناء
قد أخذتم طبع الجوارح طبعا واستعرتم تلون الحرباء
تعرفون الحياة أكلا وشربا ومناماً وبَذْل ماء الحياء
فالسما فى جهنم إن أردتم عندكم ، أو جهنم فى السماء !

الربيع

سرِّح الطرف فى الربى الخضراء وتمتع بما بها من بهاء !
واترك الهم فهو أقبح داء فى نفوس الورى وأفتك داء
أنت فى الأرض رملة فى فضاء من رمال ، وقطرة من ماء
أنت فيها ظل يزول وطيف تائه بين ودها والرياء
أنت فى الكون للفناء وما فى الـ ـبر والبحر والهوا للفناء
فضع القلب بين عود وكأس ومغن وكاعب هيفاء
فى رياض أزهارها زيّنتها بشكول سحرية الأزياء
ليس أشجى للنفس من روعة الزهـ ـر وأسمى حسناً لعين الرائى !

* * *

نوَّر النبت فى الربى وتوارى من أمام الربيع وجه الشتاء
لا ثلوج تأتى بجوع وضيق لا ليال بظلمة دكناء
لا غيوم بها طل مسبطرٌّ لا رياح بزعزع هوجاء
ورواء الأعواد عاد إليها فتحلت بحلة خضراء
فجذوع ريانة وفروع ناضرات يلثمن بُرد ذُكاء !
يتجلى الجمال فى كل حى كونته السماء تحت السماء
وندى الفجر بثّه الفجر بردا وسلاماً فى الروضة الغناء
فحكى فى الورود حبات در أو دموعاً فى وجنة الحسناء
تفتح الزهر قلبها لهوى الشمـ ـس وتهتز من عناق الهواء
من ورود ثغورها تنفث السحـ ـر سماوية الشذا حمراء
وأقاح تحكى جباه الغوانى وخزامى تحكى شفاه الاماء !
وعبير الريحان أفعل فى النفـ ـس وأشهى من نشوة الصهباء

والنسيم العليـــل يلعب بالأغ صان طوراً وتارة بالمـــاء
والسهول الخضراء كانت بقاعا قاحلات كجبهة المســـتاء !
وبنات القفير طرن ألوفا فى الفضا يفترعن زهر الفضاء !
ومشى الماء فى الغـــدير نميرا يتـــلالا كأدمع العـــذراء
والهـــوا يلثم الزنابق سرا فيذيع العبير سر الهـــواء !
وثلوج الربى تسيل حيـــاة فى رياض مخضـــلة رياء
كل شىء أضحى جميلا كأن الـ ـحسن قد حل ســـائر الأشياء

لو ملكت الدنى ..

لو ملكت الدنى سماء وأرضـــا لوضعت الأكوان بين يديكِ !
ولقلدت جيدك الشمس والبد ر وصغت النجوم فى قرطيك
وأخذت السواد من لمـــة الليـ ـل وألقيته عـــلى فوديك
ولحكت الضباب ثوباً وبُـردا ووضعت النسيم فى برديك !
وجعلت الورود حولك تنمو واحمـــرار الورود فى خديك
ووضعت الجـــلال فوق محيا ك ولمع البروق فى عينيك
وأخذت الجمال من روعة الفجـ ـر وحولته إلى صـــدغيك
وأخذتُ ابتسامة ابنة خمس طابعاً مثلهـــا على شفتيك
ومزجت الرُّقى بطلسم سحر ووضعت المزيج فى مقلتيك !
وجعلت السلام فرشا وثيراً ورميت الهنا دثاراً عليك !
ومددت الطريق دراً وماساً ووضعت الياقوت فى خفيك !
وتَثنّى الغصون ما بين جنبيـ ـك وشكل السيوف فى حاجبيك !
ولألقيتُ ما ملكت ، وزندى وفؤادى ، والروح فى راحتيك !
وفعلت الذى فعلت لعـلّى أسعد النفس بالوصول إليك ..

محبوب الخوري الشرتوني

١٨٨٥ – ١٩٣١

لم تشهد سماء الولايات المتحدة نجم هذا الشاعر إلا وهو على أبواب الأفول في مستشفى « مايو » الشهير بمقاطعة روتشستر ١٩٣١ ، أما سماء المكسيك وأرضها ، وأغوارها وأنجادها فقد شهدت حياة هذا الشاعر مجاهداً في سبيل الرزق ومشاركاً في رسالة الفكر والأدب والصحافة العربية . وقد تقسم قلبه صراع بين المادة والعلم ، حتى استهوته التجارة في بلاد المكسيك فجمع منها ثروة طائلة ، ولكن الدهر كان راصداً له فنكب في ثرواته غير مرة ، بالحريق مرة ، وبالإغراق ثانية ، وبأيدي اللصوص ثالثة . . . وفي المرة الأولى استقبل الحادث بقصيدته المشهورة التي قال في مطلعها :

حلم جميل من ذهب ما زارني حتى ذهب !

وحياة هذا الشاعر سلسلة من ذلك الكفاح الطويل الذي يبدو لنا في شعراء المهجر جميعاً ، فهو ينتقل من التعليم في لبنان ، إلى الكتابة والشعر والتجارة في المهجر الشمالي ، إلى الصحافة التي أسهم فيها بأصداره جريدة « الرفيق » العربية بعاصمة المكسيك سنة ١٩٢٥ . وليست « الرفيق » سوى واحدة من خمس عشرة صحيفة يصدرها العرب في المكسيك منذ سنة ١٩٠٥ إلى زماننا هذا . وكان المترجم له صحافياً بطبعه ونشأته في أرض وطنه ، قبل أن يشارك في الصحافة العربية في المهجر ، فقد تولى – قبل هجرته إلى أمريكا – رياسة تحرير صحيفة « لبنان » في مدينة بعبدا اللبنانية ، وهي الجريدة التي أنشأها الكاتب إبراهيم الأسود سنة ١٨٩١ . وقد حولها المترجم له من صحيفة للأخبار ، إلى معرض أنيق للآثار الأدبية والأفكار .

أما حياته في التدريس فكانت نموذجاً للمدرس الذي خلق بطبعه ليكون مدرساً ، ومن هنا فتحت له مدارس بيروت أبوابها ليؤدي فيها رسالة المعلم

الناجح ، فدرس فى المدرسة البطركية والمخلص والفرير والكلية اليسوعية ومدرسة الحكمة التى تلقى فيها العلم شاباً ، بعد أن رضع لبان التعليم الابتدائى فى مدرسة الفرير ومدرسة « قرنة شهوان » .

ويغلب على محبوب الشرتونى شعر المناسبات كما غلب على شعر مسعود سماحة ، وكأنهما كانا يمتحان من نبع واحد . فالشعر الوطنى والاجتماعى والغزلى وشعر المراثى والمناسبات هو طابع الديوان العام — ذلك الديوان الذى ظهر مع ديوان مسعود سماحة فى عام ١٩٣٨ وطبع فى مطبعة جريدة السمير للشاعر إيليا أبى ماضى ، الذى كتب مقدمة كشف فيها عن شاعرية المترجم له وتأديته رسالة الشعر والأدب فى بلاد سلخته فيها يد الزمان عن وطنه .

ولد محبوب فى قرية شرتون من أعمال قضاء الشوف بلبنان سنة ١٨٨٥ ، وكان الشعر يجرى فى دماء أسرته ، فأبوه شاعر فنان ، وجده كان إمام الزجالين فى عصره ، وعلى الرغم من نزعته التقليدية المحافظة فى الشعر فإنه يمثل لنا الشعر العربى المغترب فى بلاد المكسيك بالقارة الأمريكية أصدق تمثيل . . .

باقة من أشعاره

حلم جميل من ذهب (*)

حلم جميل من ذهب ما زارنى حتى ذهب
أمسيت ذا نشب وقد طلع الصباح ولا نشب
ذعر النيام لصائح بالويل يصرخ والحرب
النار تمعن فى الحمى والناس تمعن فى الهرب
والريح تلعب باللهيـ ـب كأنه إحدى اللعب
هجم السعير على المضا رب واللصوص على السّلب
فوقفت أنظر ما الحجـ ـيم وما الأبالس عن كثب
وحسبت أن الكون أجـ ـمع قد تضعضع واضطرب
ونظرت نظرة ذاهل أودى بحكمته العجب
ثم التفتُّ إلى الورا ء وقست مرحلة الحبب
تلك الأباطح من جها د والبواذخ من تعب

* * *

يا نفس لا تتوجعى أخذ المهيمن ما وهب
ذهب السعير من العما رة بالهشيم وبالخشب
ومن الحطام براجع والجِد يرجع ما ذهب
ومن الكتاب بكاغد ومن البراعة بالقصب
لا بالشباب ولا النشا ط ولا الذكاء ولا الأدب
ويقيم ذكرى فى المحا فل حيث لا يصل اللهب
أنا فوق من كدّس النضا ر وإن خسرت وإن كسب
إن التفاوت بالعلو م هو التفاوت فى الرتب

(*) نكب الشاعر بحريق خسر فيه كل ماجمعه من ثروة فى المهجر ، فنظم قصيدة منها هذه الأبيات .

جمال الربيع (*)

هو ذا الكون فى قشيب ردائهْ ... والحلى ملء أرضه وسمائهْ
الحقول الخضراء ألقى عليها ... باسط الأرض مسحة من بهائه
وغمـــام السماء يبكى ولكن ... تضحك الروض كلها من بكائه
إيه ما ألطف الربيع وأبهى ... زهره وهو مشرف من خبائه
كشباب الفتى أنيق ولكن ... لهف نفسى على قليل بقـــائه

* * *

يا رواسى الربى أنا ابن الروابى ... وربيب الأشم فى عليـــائه
ذكرينى بموطنى وأرينى ... مثلا من جمـــاله وروائه
شاعر عن مضارب الريف ولىّ ... ناشدٌ فيك راحة من عنائه
جاء يشكو إلى رباك هجيرا ... كهجير الحجاز فى بطحائه
فامنحيـــه برودة ورفاها ... وخذى من مديحه وثنائه
أيهذا القطار تسرع فى الحق ... ل فدعنى أهيم فى خضرائه
يذهب الطرف والخطى لمعات ... فيرى ما أمامه من ورائه
أنت كالعمر ليس يمهل حتى ... يتملى الشباب من أشـــيائه
ليتنى كنت فى الحياة هزارا ... ناعم البال فى فســـيح فضائه
مطلق الجانحين فيـــه بعيدا ... عن أذى المرء عن كثير جفائه
ليس يلهيه والحدائق ملآى ... طلب القوت عن لذيذ غنائه
يرتدى من صنيع باريه ثوبا ... ما ارتداه ابن آدمٍ فى رخائه
خلق الله للتوجع منى ... شاعراً غير باحث عن دوائه
هو فى الأرض حيث كان غريب ... ليس فى أهله ولا عشرائه
كفراش الحقول ما هو إلا ... ضائع القلب، شارد الفكر، تائه
روحه ترقب البعيد وتشكو ... قلقاً فى عروقه ودمائه

(*) يصف الشاعر رحلة فى القطار من تمبيكو إلى سان لويس فى بلاد المكسيك.

الحمامة الضائعة (*)

أنا بَكِ خطب فلم ترجعى ... أم الطير تنبو عن المرتع ؟
أسى يا حمـــامةُ فى جانحى ... وحزن تغلغل فى الأضلع
ولو لم يعذب جفونى السقام ... لحللت ذكرك بالأدمع
غداة تركت فراش الضنى ... طلبتك فى ذلك الموضع
وساءلت عنك جهات الفضاء ... فضـــاع السؤال ولم ينفع
هو الفجر عودنى أن أراك ... هناك على الحائط الأرفع
فكم طلع الفجر ثم انقضى ... وعاد وعدتُ فلم تطلعى
لقد كنت ذاك الأنيس الأحب ... إذا ما طفرتُ من المخدع
أمتع طرفى بنور الضحى ... وبالورد والحبق الأضوع
أجل ! كنت أبدع رسم يلوح ... لعينى فى المشهد الأبدع
فكنت أرى فيك رمز الوفاء ... ورمز الطهارة فى المنزع
وأبصر فيك رسول السماء ... يحـــدث عن قدرة المبـــدع
وقوفك فى شرفات السطوح ... وقوف يشوقك أن تسجعى
كأنك فى أوجها شاعر ... أطل على العـــالم الأوسع
وكنت إذا ما شققت الفضاء ... بجانحك الخـــافق الطيع
تصورتُ أنك طير الخيال ... يطير بعيـــداً عن المجمع

* * *

إذا كنت فى قيد هذى الحياة ... تعـــالى إلىَّ وعيشى معى
فأنت هنالك رهن الخريف ... إذا نقص الحب لم تشـــبعى
وليس هنالك أمن فان ... رمتك يداً صائد تصرعى

(*) كان الشاعر قبل مرضه يرى حمامة فى البكور تتنقل أمام ناظريه على مرتفعات الأسطح ، فلما شفى لم يقف لها على أثر فنظم هذه الأبيات .

ليس للقلب فى الهوى لغتان (*)

يا فتى الشعر ما اختلاف اللسان ... كائن فى عواطف الإنسان
لغـة القلب بيننا فتكلم ... ليس للقلب فى الهوى لغتان !
جمعتنا فى الشاعرية قربى ... فكلانا بحكمها أخوان
وبلاد هبطتها أنت فيها ... بلبل من بلابل الأغصان
المياه التى جرعت عذاب ... والثمار التى اشتهيت دوانى
والرجال الألى عرفت كرام ... والحسان التى هويت غوانى
والعشير الذى اتخذت شريف ... والمكان الذى نزلت مكانى
فكأنى – رغم الفراق – مقيم ... بين أهلى على ربى لبنان

الغنى والفقر

ليس الذليل هو الفقير بماله ... إن الفقير بعقله لذليل
الشوك محتقر وفيه خضارة ... والورد محترم وفيه ذبول
هبط المسيح من السماء وماله ... إلا مغارة « بيت لحمَ » مقيل
وأتى الحياةَ محمد لا أمه ... بنت الأمير ، ولا أبوه نبيل

قالوا تحب العرب

قالوا تحب العُربَ ؟ قلت أحبهم ... يقضى الجوار علىَّ والأرحام
قالوا : لقد بخلوا عليك ، أجبتهم ... أهلى وإن بخلوا على كرام
قالوا الديانة ، قلت جيل زائل ... ويزول معه حزازة وخصام
ومحمد بطل البرية كلها ... هو للأعارب أجمعين إمام
قالوا البداوة ، قلت أطهر عنصر ... صفت النفوس هناك والأجسام
الأريحية والشهامة والندى ... فى الأرض حيث أيانق وخيام...
قالوا الشآم ، فقلت روئية وجهها ... كنز ، ولثم ترابها إنعام
وطن لنا ذكراه نفحة عنبر ... وحديث عودتنا إليه مدام..

(*) يخاطب الشاعر بهذه الأبيات أحد شعراء المكسيك .

أرض المهاجر نحن فى جنباتها ريح تسير لغاية وغمام
وإذا تمر بقرية عصفورة فعلى السطوح وقوفها إلمام
نسمات واديها ، وعزلة عشها ومروجها ، وسماؤها أحلام!

وأى ضعيف لا ينوء بأحمال[1]

هزأت بسكنى القفر والبال متعب وفضلت سكنى القبر ناعمة البال
فألقيت فى الدنيا السلام على الهوى على بهجة الآمال فيها، على المال
تيقنت ليس العاشقون على هدى وليست وعود العاشقين سوى آل
يقولون لى ترثى الفتاة وقد جنت وتلبسها فى قبرها ثوب إجلال ؟
فقلت : ظلمتم فى الضريح بريئة فقد سلبتها روحها كف محتال
تملك منها قلبها ورمى بها إلى اليأس لا تسلوه وهو لها سالى
تعالج فى المحبوب شوقاً ولوعة ومحبوبها من كل عاطفة خالى
فناءت وأحمال الغرام ثقيلة وأى ضعيف لا ينوء بأحمال ؟
إذا برئ الجانى عليها وذنبت فما عرف الإنصاف قاضٍ ولا والى
عزاؤك أن الجسم يا ابنة آدم من الهال مجبول يعود إلى الهال
ومن لم يمت فى يومه مات فى غد وبين غد واليوم بضعة أميال

(١) شربت فتاة مكسيكية السم لأن خطيبها تركها ، فنظم الشاعر هذه الأبيات .

أحمد زكى أبو شادى

١٨٩٢

إن كل بقعة من الأرض يحل فيها الدكتور أبو شادى يخلع عليها من حيويته الدافقة ونشاطه الذى لا يهدأ حلة تبرز فيها آثاره ومعالمه . . . ولو أن للديار ألسنة — كما للناس ألسن — لنطقت بقاع من مشرق الأرض إلى مغربها بجهود أبى شادى فيها . . . لقد حل فى انجلترة طالباً للعلم من سنة ١٩١٢ إلى سنة ١٩٢٢ فظفر باجازة الطب ، ونال جائزة « وب » فى علم البكتريولوجيا ، وأسس جمعية النيل فى لندن ، وساهم فى تأسيس معهد النحالة الدولى سنة ١٩١٩ ، واشتغل بالتصوير ليجمع فى يده بين ريشة المصور وقلم المعبر .

وحل أبو شادى فى الولايات المتحدة مهاجراً من سنة ١٩٤٦ إلى يومنا هذا ، فمضى فى كهولته كما كان ماضياً فى شبابه ، فكتب فى الصحف العربية وغير العربية ، وجلجل صوته فى إذاعة « صوت أمريكا » مرتين كل أسبوع ، واختير عضواً بمجلس الرابطة الدولية لحقوق الإنسان ، ودعته الهيئات الأمريكية والمؤسسات الثقافية ليحاضر فى الأدب العربى ، وأسس بأمريكا رابطة « منيرفا » الشعرية الأدبية على نحو ما صنع فى وطنه مصر حينما أسس « جماعة أبولو » وأنشأ لها مجلة أبولو تنطق باسمها وتدعو لأهدافها سنة ١٩٣٢ .

ولا يزال الدكتور أبو شادى فى حاضره المكتهل ، كما كان فى أفانين الشباب بأمسه ، ولا يزال فى مهجره كما كان فى وطنه ، وكما كان قبل ذينك فى مغتربه بانجلترة ينظم الشعر ، ويرسل الأحاديث على أمواج الأثير ، ويلقى الخطب فى المحافل ، ويكب على ريشته وألوانه ، ويمضى فى موكب الحياة لم تفل الأيام من حد عزمه ، ولم يحطم الزمان وتراً من معزفه ، فقد نشر بالأمس القريب فى أمريكا ديوانه « من السماء » سنة ١٩٤٩ ، واحتفلت جمعية الشعر الأمريكى بتكريم شاعرنا بمناسبة ظهور هذا الديوان فى سنة ١٩٥٠ . والتقى

فى الحفل رجال من الشرق والغرب ، ومن العالمين القديم والجديد ليكرموا شاعراً مجاهداً عربياً .

وفى روضة الشعر العربى فى المهجر نجد هذه الدوحة المصرية الباسقة من بين دوحات وزهرات لبنانية وسورية ، وإذا كنا وقفنا على أسباب الهجرة إلى العالم الجديد عند السوريين واللبنانيين فإن هجرة شاعر مصرى — وحده — إلى أمريكا تعد حدثاً أدبياً يستحق الاهتمام . ويحدثنا أبو شادى نفسه عن أسباب هجرته مع تمتعه فى مصر بمركز علمى ممتاز فى جامعة الإسكندرية ، فقد شعر — كما يقول — بأن الرجعيين والناقمين بدأوا يعرقلون جهوده ، ويسعون لمطاردته فى عمله الحكومى ، وبدأ الناشرون يرضون الرجعيين بالإعراض عن نشر كتبه ، وأحس بالغبن الذى لحقه فى عمله بالجامعة والاضطهاد الذى يلازمه ، وكاد الهم والمرض يبخعان نفسه فلم يجد غير أمريكا ملاذاً ومهرباً ، فركب إليها البحر فى أبريل سنة ١٩٤٦ ولا يزال بها إلى اليوم .

وكان آخر ما لقيه أبو شادى من الأحزان فى مصر هو موت زوجته قبيل رحلته إلى العالم الجديد سنة ١٩٤٦ ، فرثاها بقصيدة مؤثرة يقول فيها :

أسديت عمرك للحياة فما وفت ومضيت للأبرار والشهداء
لهفى عليك وقد أتيت مودعاً فبكيت فوق جبينك الوضاء
زاد المات جماله وتناثرت منى الدموع عليك كالأنداء

إن القيثارة التى يوقع عليها أبو شادى لا تزال غنية بأخصب الألحان ، وقد ألهمته أمريكا ديوانين مخطوطين هما ديوان « الإنسان الجديد » وفيه نفحات من الشعر الوطنى وشعر الحرية التى ذاق حلاوة طعمها فى أمريكا وكانت دائماً منى نفسه . وديوان « النيروز الحر » وفيه القصائد التى نظمها فى أمريكا من سنة ١٩٥٢ إلى يومنا هذا .

ولعل ديوان « من السماء » هو أصدق مرآة للتطور فى شعر أبى شادى قبل هجرته إلى أمريكا وبعدها بثلاث سنوات . ولعل الديوانين المخطوطين يكونان أكثر صدقاً لأنهما يغطيان من عمر الشاعر فى مهجره سنوات أطول .

ولم يستطع أبو شادى – على الرغم من نزعته التجديدية البعيدة ، وعلى الرغم من وجوده فى جو المهجر الأمريكى الجديد – أن ينسلخ جملة من شعر المناسبات الطارئة ، والحفلات العارضة . فله قصائد فى ذكرى المهرجان اللبنانى الذى أقيم فى ترنتون نيوجرزى سنة ١٩٤٦ ، وفى تحية صحيفة « الهدى » العربية النيويوركية بعيدها الخمسينى ، وفى مدح حسنى الزعيم ، كما أن له مراثى للشاعر نسيب عريضة ، وعبد المنعم رياض ، وخليل مطران .

إن جوانب الدكتور زكى أبى شادى متعددة فى الحياة ، فهو طبيب وبكتريولوجى ونحال ورسام وأديب وشاعر . وقد تعددت دواوينه المطبوعة كما تعـــددت جوانب حياته . فله « أنداء الفجر » ، « الشفق البـــاكى » ، و « الينبوع » و « الشعلة » و « أشعة وظلال » و « فوق العباب » و « أطياف الربيع » و « عودة الراعى » و « من السماء » وغيرها ، وله من المؤلفات العلمية والأدبية غير ذلك كثير . ونشاطه فى الصحافة الأدبية الراقية تشهد به مجلات أبولو ، والإمام ، وأدبى ، ومملكة النحل .

الحق إن مصر كانت أولى أن تضن بأبى شادى أن يخرج منها ، أو يرحل عنها . ولكن أمريكا الحرة قد استقبلته بصدرها الرحيب – كما استقبلت شعراء المهجر من قبله – وقابله هناك إخوانه العرب فى مهجرهم بهذه الروح التى تبدو فيما كتبه الأديب المهجرى الكبير الأستاذ عبد المسيح حداد قائلا : (ونحن أدباء المغترب الأمريكى قد وجدنا به الأخ الحبيب ، بل العليم اللبيب ، الذى أحسن ردنا عن سبيل الفناء الأدبى ، إلى سبيل إعادة الحياة لأدب العرب ، فى هذا المغترب) .

باقة من أشعاره

نيويورك

نسيت الجنان وسكانها ... ومن ألهموا الشعر إيمانها
وآثرت عاصمة للكفاح ... وقد زانها منه ما زانها
كفاح التنافس فى الخالدات ... تخذن الشوامخ عنوانها
وقدّسن مسترسلا فى الطموح ... أجاد ، وأعلين إنسانها
تلألأ فيها ضمير الوجود ... وإن سوّد الدهر جدرانها
فللدين فيها مكان الخشوع ... وإن زعموا المال ديانها
وللعلم فيها حياة الجموع ... وإن حسبوا اللهو ميزانها
وللطب آياته فى سطوع ... تضاعف بالشيب شبانها
وللفن منزلة فى الذيوع ... كأن الهواء الذى صانها
وللهو غايته فى الشيوع ... ولكن ليسعد سكانها
سمت بمتاحفها الغاليات ... قروناً تكرر أقرانها
وشتى معابدها الحاليات ... ترتل للسلم ألحانها
وأبقى معاهدها المعجزات ... جعلن الحقيقة أوطانها
وأقوى معاملها الخالقات ... غرائب جاوزن حسبانها
وأزهى مسارحها الفاتنات ... بهرن الفنون وفنانها
سعدت بها رغم هذا الكفاح ... ولولاه كنت كمن خانها
فأصبحت عاشقها المستعز ... بها والمرتل فرقانها
أغنى لها صلوات الشكور ... رأى فى المصاعب إحسانها
وأمشى على الطرق الصاخبات ... فخوراً أنافس سلطانها
وأهوى حدائقها الحالمات ... قصائد زيّنّ ديوانها
كأن السناجيب أطفالها ... جعلن الأراجيح أغصانها

كأن الغرانيت فى أرضها صوامع حجّبن رهبانها
معابد لا معبد للجمال يمس المطوف أركانها
ومن حولها العشب جم الرفيف يجاوب بالعطف تحنانها
كأن الأزاهر يقظانة ملائك تحرس كثبانها
كأن الجنادب فى شدوها ندامى تسامر ندمانها
كأن الطيور بتغريدها تلقن للشعر أوزانها
كأن الأشعة رسل الطبيعة تحمل للنبت ألوانها
وتضفى على الصخر تحنانها وتلقى على الماء نشوانها
أطوف بها لاهياً ضاحكاً كأنى منتهب حانها
وإن كان صفوى الذى لا يمل عبادة من عز أوثانها
ومن للوحوش بأقفاصها رأى إخوة أسعدوا شانها
فما زأرت مرة فى شجى ولا عرف الهم خرسانها
وما شمخت ناطحات السحاب على السفْن تمخر خلجانها
وإن سكنت فوق قطر تسير شياطين نافسن شيطانها
تسير بجوف الثرى كالبروق وقد تتجاوز إمكانها
حياة تكرر فيها الحياة وهيهات نقدر أثمانها
وعمر تجاوز عمر السنين ودين تشرّب أديانها

ربيع الحر

ربيعَ الحُر أشرق يا ربيعى وَثِبْ فرحاً مع الحمل الوديع
ولا تحجب حياء كالعذارى سناءك أو صلاتك عن سميع
لقد نم الأريج عليك لما أريق شفاعة الحب الصريع
ونمّ عليك همس من غصون ووسوسة البراعم فى خشوع
وسقسقة الغرام تذوب لحنا بأمواج الضياء على الزروع
وآمال السلام وقد تراءت نجوماً فى السماء وفى الربوع
وتحنان الجماد لكل حى يرف بلهفة الطفل الرضيع
وأنداء الصباح مضمّخات بعطر الحسن فى نسق بديع

وآلاف الروائع سافرات ... وإن خفيت عن الحس الوضيع
يفيض الجو سحرا عبقريا ... تفـــرد بالأصالة والنزوع
كأن جميع آلهة المعـــانى ... حبته كنوزهن على الشيوع
كأن الكون يخفق فى حبور ... خفوق الشعر فى الروح الرفيع
تقدّس كل شىء فى عيونى ... وقد ران الجمال على الجميع
فكيف إذا سفرت لنا فتيا ... بثوب العرس تخطر فى الجموع ؟
وكيف إذا الأناشيد الغوالى ... أغثن الروح من ظمأ وجوع ؟
ولقنّ العبادة كل قلب ... وأطلعن الشموس من الشموع ؟

* * *

ربيع الحر أشرق يا ربيعى ... وثب فرحا مع الحمل الوديع
كلانا كان فى عنت وضيق ... يعانى الأسر فى سجن منيع
وكنت معذباً شاهت نهاه ... وكنت ضحية القدر الفظيع..
فعدنا اليوم يجمعنا إخاء ... وأرض لم تسخر للرقيع...

الاحتمال

تجرعتُ آلام البرية مثلما ... تجرعت فى قلبى المآسى حوّما
علام اعتناقى للتفاؤل حينما ... فؤادى ووجدانى به قد تهدما؟
وفيم ولوعى بالوداد أصونه ... وقد ضرجت نفسى بأسهمه دما
وإن لم تضرج بالصغائر مـــرة ... وإن لم تدنس بالتزلف للدمى !
وما استمرأت نفسى الخصومة مرة ... فلم تتخذها للمنافع ســـلما
ولكنهـــا تلقى العذاب مخلصا ... وتؤثره حظا ، وتبغيـــه مَعْلما
وتشقى وما ترضى التقهقر موئلا ... وترقى وما تسترحم الأرض والسما
ترى ألم الأحرار سر وجودهم ... ومن ذلك الحر الذى ما تألما ؟
طغى كل يوم مأتم بعد مأتم ... ونفسىَ تأبى أن ترى الكون مأتما
وما ندمت يوماً على ما أصابها ... من الحيف مهما ذُوِّقت منه علقما
إذا عرف الأحرار حمل بلائهم ... فما عرف الأحرار بعـــدُ التندما
ومهما شكوا كانت شكاة قلوبهم ... وفاء لمعنى ، أو رجاءً تلثّما

وقد آمنوا بالحق ينصر آخرا ... وإن دوخ الظلم البرية واحتمى
وما زلت تغزونى المآسى كأننا ... صحاب ، وتهوانى شرابا ومطعما
بلا كلفة تحيـــا على بر مهجتى ... فآثرت أن أفنى وأن أتبسما . . .

من وحى الخريف

وافى الخريف فوافت للندى صور ... من الجمال على عشب وأوراق
كأنما أودع العشـــاق أنفسهم ... بها ، فما كشفت يوماً لأحداق
تلألأ الحب فيهـــا وهى باسمة ... تبسم السحر فى ألحاظ عشاق
ما للعناكب قد فازت بحيلتها ... وللحشائش قد رفت بأشـــواق
ولم أزل فى ظمائى غير مدكر ... وما يبالى الندى همى وإخفاقى
إن داعبتها خيوط الشمس راقصة ... ذابت نضارا حيال اللؤلؤ الباقى
ولم يعـــد من مرائيها سوى حلم ... كأنما غيرتهـــا فتنة الراقى

* * *

غاب الندى ونسيم الصبح يعلنه ... سراً أبيح لوجد الشاعر الشاكى
تدرى العناكب مايروى كما فهمت ... كل الطبيعة هذا الصامت الحاكى
فإن بكت بدموع للندى ذرفت ... فقبلها ذرفت فى خاطرى الباكى
كم للنسيم رســـالات منوعة ... يشجى الوجود لها أضعاف إدراكى
كأنما هى ألغـــاز ووسوسة ... على حروب ، وحيناً همس نساك
تعنو الغصون صلاة فى تجاوبها ... وفى تبتلها تودى بأشراكى
فما أرى غير دنيا الحب ماثلة ... فيما أرى بين أنداء وأفـــلاك

الألوهة والكون

كل شىء فى الكون سحر عجيب ... والغريب القصى فيه قريب
يجهد العلم باحثاً بينما وفـ ... ـق من قبل واحتواه الأديب
هكذا كل ذرة من كيانى ... تحتوى العـــالم العظيم الشان
أنا فان وفى المدى غير فان ... وكيانى هـــذا الوجود الرحيب
والإلـه العظيم هـــذا الضياء ... ومعانيه أجملتهـــا السماء

لا ابتداء له وليس انتهـــاء أو شروق لوحيه أو غروب
كل شيء من حولنا يتحول ولوَ ان الخلود طبع موصل
سوف نحيا على ضروب تشكل بينما الأصل واحد والضروب
لبنات الوجود موج يدور قد تجلى به الإلـٰه القـــدير
والجمال الذى به نستنير غاية للوجود لا تستريب
هو فن ثوى به الفنـــان هو كون أرواحه الأبدان
هو معنى ما فاته الإمعان وتناهى إليه شـــعر حبيب
ما ابتهالى إلا ابتهال لنفسى فأنا ملهم جنانى وحسى
وحنانى إلى الإلـٰه وقبْسى من سناه استجابة لا تخيب

الصعود

أسفاً ، أعود إلى السما ء كما أتيت بنبع فنى
لم ألق فى دنيـــا الأنا م سوى المهازل والتجنى
دنيـــا تقوم على الدما ء وبالدماء هـــوًى تغنى
وتدور طاحنة عقـــو ل النابهين ، وأى طحن!
ويسوسها البلهـــاء من غبن تعـــانيه لغـــبن
ومن الخـــراب يهزها هـــزًّا إلى ضغن وضغن
الأرض كم شقيت بهم كشـــقاء موتور بأين
وهبتْ لهم أســـنى الكنو ز فكافأوهـــا بالتـــدنى
صلبوا المســـيح وشردوا ال أحرار بين الخـــافقيْن
وحيـــاتهم نقض الحيـــا ة تسام فى شـــك ومين
كم أولعوا بالهـــدم وال هدام لا يسمو ليبنى
ولوَ انهم عقـــلوا جنوا من نارهم جنات عـــدن
فإلى السماء أعـــود لم يغن التـــأنى والتمنى
فحروبهـــا أجدى وأو فى للحيـــاة وكل فن
وســـلامها أبقى وأز كى للوجـــود المطمئن
إن تعتبر منفـــاى فا لمنفى أبرٌّ إذن بذهنى
ولعل أمى الأرض فى ال حالين فى ذهنى وعينى

فى أتلانتيك سيتى

لمن يهدر البحر الحبيب وقد مضت ... حياتى ، ولم أستبق غير خيالى ؟
وقد كان أيام الشباب معللى ... وكان نديمى ، لا نديم رمال
وأنفقت أيامى عليه فردها ... من البشر أضعافاً بغير سؤال
أيدعو إلى الذكرى عواطف شاعر ... تلاشت على تعذيبه المتوالى ؟
ولو بعثت ، أنى له بشبابه ... وأنى له بالحب بعد زوال ؟
أهذا هدير السحر فى شاطىء الهوى ... فليس محالاً فيه أى محال ؟
تسمّعْته نشوان ألمس غابرى ... كما لمس المخمور وهْم ليال
وما كان بالأعجاز أو سكرة المنى ... فليس بسال كل من هو سالى
وقد يكمن الفنان فى قلب راهب ... كما يكمن الإشعاع طى جبال
فألفيت نفسى فى الشباب مجددا ... أعب من النور الشهى حيالى
وأشربه ألوان أنس وبهجة ... تعالت ، ولم تبخل برغم تعالى
وهذى عروس الماء لم تدخر حلى ... على الليل ، حتى الليل أزهر حال
أعدت لدى البحر الطروب طريقنا ... على جمع ألواح نعمن غوال
سفينة نوح تلك أم حلم شاعر ... تَملّك فيه الحسن كل مجال ؟
وتغتبط الآلاف فيها حبيسة ... ولا تعرف الأشواق أى ملال
تروح وتغدو ، لا ترى الوقت عابرا ... وليس سواه بالوجود يبالى !
وما تشتهى أرضاً تلوذ ببيسها ... كما اشتاق نوح فى زمان ضلال
فكل الذى تعطاه صفو مبرأ ... وكل الذى تخشاه حلو دلال
تدفق فيها النور من كل جانب ... إلى أن تراءى بعضه كظلال
وعشش فيها الحب حتى كأنما ... تَغذّى ، وغذانا بكل جمال !

الفصل الثالث

شعراء المهجر الجنوبي

إلياس فرحات — رشيد الخوري

فوزي المعلوف وشقيقاه — شكر الله الجر

إلياس وزكي قنصل — جورج صوايا

نعمة قازان

إلياس فرحات

١٨٩٣

إن الشاعر إلياس فرحات بين شعراء المهجرين الشمالى والجنوبى هو أقلهم نظماً فى شعر المناسبات ، وأين من مناسباته القليلة المعدودة مناسبات الشاعرين محبوب الشرتونى ومسعود سماحة من شعراء أمريكا الشمالية ؟ أو مناسبات الشاعر الفحل رشيد سليم خورى — الشاعر القروى — التى ملأ بها أكثر من مائة وثمانين صفحة فى باب « المحافل والمجالس » فى ديوانه الضخم الكبير ؟

لقد أقل فرحات من المدح وشعر الحفلات والمواسم والمجالس والمراثى والمفاخرات ، واتجه بكل قلبه إلى الشعر الخالص ، ولم ينظم فى المناسبة العامة إلا إذا هزته هزاً عنيفاً . على أن هذا الشعر الصافى الحر لم يخل من خطرات الحكمة والمثل يرسلها الشاعر فى خلال القصيدة . وتكثر هذه الظاهرة فى شعر فرحات كثرة تذكرنا بالحكم والأمثال فى شعر المتنبى ، وقد أشرنا إليه فى الفصول الدراسية الأولى من هذا الكتاب .

وإذا كان بين فرحات وبين المتنبى مشابه من المثل السائر والحكمة المرسلة ، فإن بينه وبين زهير بن أبى سلمى مشابه من حيث تنقيح شعره ونخله قبل نشره.. فقد أسقط من شعره ضعفى ما أثبته فى ديوانه المطبوع فى سان باولو سنة ١٩٣٢ . ولكنه لا يزال إلى اليوم — على كبرة من السن جاوزت الستين — يغنى أرق ألحانه ، فلم يجف الوتر الصافى اللين الذى فى لهاته . . . فله فى مجلة « الشرق » البرازيلية العربية الأنيقة قصيدة فى عدد يناير سنة ١٩٥٤ يقول فيها :

فر عصفور شبابى من يديا ... تاركاً فى مهجتى جمراً ذكيا
طالما أوحى فغنيت على ... مسمع الليل نشيداً عبقريا
كان إن أطلقته فى جنة ... يلثم الزهر ويرتد إليا ...

* * *

الفراشات اختفت مذ جف ما كان فى روض الصبا غضاطريا
والظباء البيض ظمأى نفرت خيفة أن لا ترى عندى ريا
يا فراشـــات الأمانىّ ارجعى ترجعى لليائس العيش الرخيا !

وقد يرجع المهاجر الغريب إلى وطنه ، ويؤوب إلى أرضه كل نازح ، ولكن الصبا الغض وفراشاته الحالمة لن ترجع !.

ولقد علمت الحياة إلياس فرحات بدروسها وتجاربها أكثر مما علمته المدارس القليلة الضئيلة التى تعلم فيها المبادىء الضرورية من القراءة والكتابة . . . فهو الوحيد بين شعراء المهجر الذى لم يتلق دراسة مدرسية منظمة متصلة ، فقد ترك مدرسة موطنه كفر شيما إلى مدرسة الشويفات حيث أقام فيها سبعة أيام ، ومن هناك انتقل إلى مدرسة فى وادى شحرور لم يقم فيها إلا شهراً واحداً ودع بعده المدارس والتعلم وجرس المدارس المطرب فى السراح ولكنه إذا جدّ غير مطرب ، كما قال شوقى !

غادر فرحات وطنه سنة ١٩١٠ مهاجراً إلى البرازيل ملتمساً الرزق طالباً العيش — كما هاجر إخوان له من قبل — فلقى من العنت والكفاح ومرارة الصراع فى الحياة ما لم يتغلب على روحه الشاعرة ، بل أحالها إلى نغمة مؤثرة معبرة فى الأدب العربى الحديث . وقصيدته « حياة مشقات » تصور لنا فى تعبير بليغ قوى قصة ذلك الكفاح المر الذى لقيه الشاعر فى المهجر . . . فقد كان يستقطر ماء الرزق من صخرة قاسية ماشياً بين الفيافى والمروج الفساح ، أو راكباً عجلة تسير على الصخور الصلد ، وترقص فوق نواتىء الحصا فتكاد ترمى براكبيها إلى الأرض . . . وقد كان يقضى الليل فى أكواخ خلت من أهلها ، وقام البوم عليها نادباً باكياً ، والنجوم تطل من سقوفها المثقوبة وجدرانها المفككة الأوصال . وهناك فى غمرة الصراع الأليم فى الحياة لم ينس فرحات وطنه لبنان ، ولا قريته الصغيرة اللبنانية « كفرشيما » التى أنجبت للأدب العربى آل اليازجى اللغويين ، وآل شميل المفكرين ، وآل تقلا الصحافيين الذين تشهد « الأهرام » فى مصر بعبقريتهم الصحافية . فكان من أجمل هدايا كفر شيما للشعر العربى أن أنجبت إلياس فرحات ليحمل هو والشاعر القروى — ابن البربارة — راية الشعر فى أمريكا الجنوبية ...

وفى سنة ١٩١٦ — وبعد بضع سنين من الهجرة — لم يكن إلياس فرحات فى روضة الشعر العربى فى المهجر الجنوبى إلا نباتاً غضاً ضئيل الورق نحيل الساق ، فإذا به بعد ذلك دوحة باسقة أو طائر غرد قوى الجناح بعيد التحليق يسمعنا أرق الألحان فى عبارة بليغة ، وقافية متمكنة رصينة غير قلقة ولا نابية ، وفى نسج محكم مسرود ، مع أنه غادر لبنان غلاماً ينظم الزجل العامى ، ويقرأ الميسور من المكتوب ، ويجهل أصول العربية — نحوها وصرفها وبيانها — جهلا يكاد يكون مطبقا . . .

وفى السنة التاسعة من هجرة فرحات إلى البرازيل اشترك مع توفيق ضعون ، الأديب الناقد المتمكن ، فى إنشاء مجلة « الجديد » التى ظهر أول أعدادها سنة ١٩١٩ . ويظهر أن الصحافة — كالتجارة — تجرى فى دماء اللبنانيين وبين أصلابهم ! وظلا يعملان فى « الجديد » إلى أن انفرد توفيق ضعون بإصدار مجلة « الدليل » فى أول أبريل سنة ١٩٢٨ .

وللشاعر فرحات قصيدة « خصلة الشعر » التى سارت مسير الشمس فى الآفاق منذ أكثر من ثلاثين عاماً ، فاتخذها الشباب العربى ترنيمة لحبهم . . . وقد أثبتناها هنا مع أنها ليست من أروع ما نظم ولا من أرصن ما قال ، وقد كاد هو نفسه يسقطها من ديوانه الذى طبع سنة ١٩٣٢ .

ولقد حالفت الأيام — بأخرة من العمر — الشاعر فرحات ، فقر قراره فى بيت ابتناه فى إحدى البقاع بالبرازيل ، وأذن الله للشاعر الجواب أخى الأسفار فى الفلوات أن يهدأ . . .

فألقت عصاها واستقر بها النوى
كما قر عينـــا بالإياب المسافر

باقة من أشعاره

السكرة الخالدة

سكرت بعينيك منـــذ الأزل ... وها أنا فى سكرتى لم أزل !
ألا تذكرين الزمان القـــديم ... ألا تذكرين العصور الأول ؟
ألا تذكرين بأنا وجـــدنا ... محبين قبل وجود الغزل ؟
وأنا شهدنا سقوط العروش ... وأنا شهدنا قيـــام الدول ؟

* * *

تحولت فى الروض من زهرة ... إلى نحلة لا تطيق الكسل
وكنتُ رفيقك فى الانقلاب ... وعونك عند ازدياد العمل
نطير إلى الروض عند الصباح ... وننقل من زهرها ما انتقل
ونحتال فى صنع تلك الشهاد ... وإن قوام الحيـــاة الحيل
ومن ذلك الوقت كنت تحلي ... ن من صدر صبك أسمى محل

* * *

وفاجأنا الموت يوماً فمتنا ... ولكن مماتاً قصير الأجل
وكان الوجود الجـــديد نعيما ... لبسنا به زاهيات الحـــلل
فصيرنا الله زوجى حمـــام ... نغنى الضحى ، ونغنى الطّفل
وفى ليـــلة من ليالى الشتاء ... وقد هطل الثلج مع ما هطل
أضعتك بين الغصون ومن ... أضاع الرفيق أضاع الحذل !
فناديتك الليـــل حتى انجلى ... وناديتك العمر حتى اضمحل

* * *

أخيراً خلقت بشكل امرىء ... يقلب بين نيوب الوجل
ويذكر عهـــداً قديماً مضى ... فيذكر حباً قديماً رحل
ففتشت عنك مآوى الحمام ... زماناً فكان نصيبى الفشل

فعدت وفى مهجتى لوعة أفتش عنك القرى والحلل
ولما التقينا بذاك المساء وكنتِ كأنك نجم أطل
سألتك باللحظ هل تذكرين الزمان القديم فقلت : أجل!

* * *

فيا لسرور المحب الذى سعى يبتغى مبتغى فوصل
ويا لابتهاجى بفتانة تعود العليل فتشفى العلل
يسائلنى الصحب عن رسمها وما رسمها صورة تبتذل
وإن المصور مهما أجاد تظل الإجادة دون الأقل
فكم صوروا المقل الساحرات وما صوروا سحر تلك المقل
وكم صوروا قُبل العاشقين فهل صوروا طعم تلك القبل؟
وهل من يصور نشر الورود إذا صوروها حساناً ؟ وهل ؟
ولكننى شاعر بيراعى كسوت المصور ثوب الخجل
فصورتها بجمال المعانى ولونتها بمعانى الحُمل!
ففى خلقها كل لطف النسيم وفى خلقها كل أنس الحمل
وفى شعرها كل عطر الرياض وفى ثغرها كل طعم العسل!
وفى لفظها خير ما فى الكروم وما فى كئوس قسوس الحبل
وفى وجنتيها ، وفى مقلتيها خضاب الحياء ونور الأمل
تغنى فيأخذ عنها الهزار وتمشى فيأخذ عنها الحجل
فيارب صنها لهذى الصفات تصن صبها عن مهاوى الزلل!

عجل الذهب

تحكمّ بمثلى زمان الجهول وجيّش علىّ جيوش الخطوب
وحكم بصدرى رقاق النصول فما أنت إلا عدو الأديب

* * *

صعدت لقرب الهلال المنير أفتش عما يزيل الكُرَبْ
وسرّحت فى الكون طرف الخبير فشاهدت فيه صنوف العجب
أناساً تدوس إله الضمير وتحنى الرءوس لعجل الذهب

ويذهلها المـال كل الذهول فتدنى الجهول وتقصى اللبيب
فرحمة ربى على من يقول بأن النضار يغطى العيوب

* * *

وشاهدت زنبقـة طاهرة تجور عليهـا يد الغارس
تمـد أناملهـا الجائرة إلى عودها اللين الجالس
وترغمهـا قـوة قاهـرة فتربط بالعوسج اليابس
فيمنع عنها النسيم العليـل ويحجب عنها جمال الغروب
وتسطو عليها جيوش الذبول فيذبل ذاك القوام الرطيب

* * *

وأغرب ما لاح لى فى الحياة وأوجد فى النفس هذا الهياج
نعاج تجور عليهـا الرعاة وتعلن عنهـا بسوق الحراج
ويدفعهـا الظالمون القساة إلى الذئب وهو عدو النعاج
ولا دافع غير شىء قليل من المال ، وهو الإلـه العجيب
فليت حيـاة الجيوب تزول عسى أن تجىء حياة القلوب !

* * *

عشقت البقا حين كنت صبى وأحببت هذى الحياة الغرور
ولكننى حُلت عن مذهبى لدن عم فى الناس موت الشعور
ولمـا رأيت الغنىَّ الغبى يفوز على الفيلسوف الفقير
تنهدت حزناً ورحت أقول مخاطباً الله بارى الشعوب
إلهى لماذا خلقت العقول بعصر تفكر فيه الجيوب ؟

الراهبـة

أطلَّت من الدير عند الضحى وفى ناظريها بريق الأسى
فتـاة كأن الإله براها ليجعلهـا فتنة للنُّهى
ولكنهـا فى صباح الحيـاة علا وجنتيها شحوب المسا
رماها الزمان بهجر الحبيب فداوت ضلال الهوى بالهدى

تصلى فتحسبها دمية ... من العاج ساجدة للدمى
وتلثم تلك الدمى بخشوع ... فيوشكن يلثمنها من جوى
تحاول نسيان محبوبها ... وزهو الشباب وعز الغنى
وأقسى من الحب كتمانه ... وأنكى من الهجر فقد الرجا

* * *

ولما بدت شمس ذاك النهار ... بدت خارج الدير ذات التقى
تجمع من حوله ضمة ... من الزهر تهدى لفادى الورى
فبينا تسير على مهلها ... وتجمعها من هنا وهنا ...
وقد عانق الورد فى كفها ... حسان الشقيق عناق الهوى
رأت زهرة فى أعالى الجدار ... تداعبها نسمات الصبا
فأعجبها شكلها المستطيل ... ولون كقوس السحاب زها
وقد زاد فى قدرها أنها ... تعز على من يريد الجنى
فحرك منظرها نفسها ... وقالت بملء الحنان لها :
أخية يهنيك هذا السمو ... وهذا البهاء وهذا الرضى
ولكن أما كان أشهى لديك ... جوار الأزاهير بين الربى ؟
تحوم عليك بنات القفير ... وتسعى إليك صبايا القرى
وتسمعك الطير إنشادها ... ومنه الحجاز ومنه الصبا
لأنت تعيشين فى عزلة ... فلا فى السماء ولا فى الثرى
لمن خلق الله هذا الجمال ... ومن يتنشق هذا الشذى ؟

* * *

وفى الليل سارت إلى خدرها ... وفى قلبها مثل نار الغضا
ولما نضت ثوبها لتنام ... تبيّن من حسنها ما اختفى
فمدت إلى صدرها كفها ... وقد فتح الورد تحت الندى
وقال لها قائل صامت ... وكان الذى قيل رجع الصدى :
وأنت تعيشين فى عزلة ... فلا فى السماء ولا فى الثرى
لمن خلق الله هذا الجمال ... ومن يتنشق هذا الشذى ؟

لولا ضميرى

توالت همـــوم الحياة عليا ولولا ضميرى لعشت خليا

* * *

فكم ثروة تعجز الحاسبا تسلمت وهى لبعض التجار
فقلت أفر بهـــا هاربا فقال ضميرى: حذار! حذار!
فأرجعتهـــا وغسلت يديا ولولا ضميرى لكنت غنيا ..

* * *

وبكرٍ أتت حجرتى موهنا يقود خطاها غرور الصبِّا
فقلت سأبلغ منها المنى فقال ضميرى : ألست أبا ؟
فأغمضت عن حسنها ناظريا ولولا ضميرى جنيت الشهيّا

* * *

وسابقت فى الشعر فرسانه فقصرت عن فارس مفلح
فقلت أعرقـــل ميـــدانه فقال ضميرى : ألا تستحى؟
فعدّلت حب التفوق فيا ولولا ضميرى تركت دويا ...

* * *

شكوت ضميرى شكوى الجهول ونحت على الحظ نوح الغراب
فأسمعنى الله صوتاً يقول : أتشكو ضميرك يا ابن التراب ؟
ولولا ضميرك ما كنت شيا ولو كنت من نيرات الثريا !

يا عيـد

يا عيد لا تنكر غناى فإنما أنا بلبل مسخ الزمان صداحى
قد كنت أشرب بالثغور إذا دعا داعى السرور ، وليس بالأقداح
وإذا المرافع أقبلت ألفيتنى فيها أخا طرب ، طليق جناح ..

* * *

يا عيد عدت وأدمعى منهلّة والقلب بين صوارم ورماح
والنفس يائسة فليس بنافع عذل العذول وغيرة النصاح
والصدر فارقه الرجاء فقد غدا وكأنه بيت بلا مصباح

يمشى الأسى فى داخلى متغلغلا ... بين العروق كمبضع الجراح
وتظل تلوينى عواصفه كما ... تلوى الرياح بواسق الأدواح
وتشدنى كف القنوط ملحّة ... فأطيع خوف زيادة الإلحاح!

* * *

يا عيد ليتك تحمل الأخبار من ... متخلفين قسوا على نُزّاح!
ويلاه! قلت قسوا وما أدرى أهم ... فى الأرض أم فى عالم الأرواح
أماه ليت مع النسيم رسالة ... تأتى فترجعنى إلى أفراحى!
مرت ليالى العيد بى وكأنما ... وجه العبوس بوجهها الوضاح
وكأن زاهـــر فجرها لكآبتى ... ليل يعج بأقبح الأشباح

* * *

أنّى التفتُّ أرى الخلائق تحتسى ... راح الصفا وأنا المدامع راحى
فكأنهم قد أودعوا أتراحهم ... فى مهجتى، فتضاعفت أتراحى!

بين البدر والبحر

أكذا يكون من الزمان جزائى ... وأنا الذى عرف الزمان ولائى؟
أتحمّل البلوى صبورا هادئا ... لكن أحاذر أن يمس بائى
وأزيد حلماً كلما زاد الورى ... ظلماً، وأشقى مسعداً أعدائى
نفسى لها فى كل بارقة هوى ... يشقى به قلب الغريب النائى
يا قلب! إنك للرزايا مرتع ... يا نفس إنك منبع الأهواء
حملتمانى النائبات بأسرها ... وجعلتمانى عبرة الأحيـــاء
أمشى من الأحزان خلف جحافل ... ومن الدواهى الدهم تحت لواء
ومن البلايا المهلكات بموكب ... يمشى أمامى تارة ووراءى...
يا مشرقاً يصبى العيون بنوره ... يا سابحاً فى القبة الزرقاء
يا ساكباً فوق البرايا نوره ... موجاً بلون الفضة البيضاء
يأيهـــا البدر المنير! بحرمة الـ ... عليا، بهذى الطلعة الغراء
وبما يحيط من النجوم بعرشك السـ ... ـامى البهى ألا استجبت دعائى؟
قد كنتَ رب الأقدمين ولم تزل ... رب الجمال وفتنة الشعراء

رافقت أجيال الخليقة كلها ... وشهدت كل حوادث الغبراء
وعلمت أسرار القلوب فكم فتى ... لولاك أنكر لذة الإفشاء
قل! هل رأيت بمن رأيت من الورى ... شخصاً يقاس شقاؤه بشقائى؟
أو هل عامت بمدنف تخذ الأسى ... مثلى رداء دون كل رداء ؟
يأيها البحر المحرك موجه ... جيشاً يهدد فسحة البيداء
خذنى لجلك إنه أقصى أذى ... وأخف شراً من بنى حواء
أنا فى الوجود كمركب فى لجة ... لا ساحل يبدو بها للرائى
غضبت عليه الكائنات فأقبلت ... تجتاحه بعواصف هوجاء
شق الهواء شراعه وتناولت ... سكانه الواهى يد الأنواء
وغدت تقلبه الرياح ، فعائم ... طوراً ، وطوراً تحت ضغط الماء!

* * *

بحر الحياة ! أما بقربك ساحل ... أرتاح عند صخوره الملساء ؟
ما إن مددت أناملى متلمسا ... رأس الرجا إلا وخاب رجائى
تبدو الدموع على الجفون جوائلا ... فيصدهن عن السقوط حيائى!

خصلة الشعر

خصلة الشعر التى أعطيتنيها ... عندما البين دعانى بالنفير
لم أزل أتلو سطور الحب فيها ... وسأتلوها إلى اليوم الأخير!

* * *

خنت عهد الحب لا بأس! فانى ... مكتف بالأثر الغالى الثمين!
فإذا ما عدت أحيا بالتمنى ... بعد أن منيتنى عشر سنين
أحمد الله ! فما الإخلاف منى ... إننى كنت لك الصب الأمين
راجعى سيرة حبى.. راجعيها ... فهى نور ساطع للمستنير
وإذا مرت بك الريح سليها ... إنها تعرف من أمرى الكثير !

* * *

هيكل الحب تداعى وترامى ... تاركاً للعين أطلال الوفاء
كتباً توقظ فى قلبى الهياما ... كلما نام على ذكر الجفاء

إننى أرنو إلى الخط احتراما ... فأرى فى الخط أنقاض الرجاء !
وأرى الأســطر آثاراً تقيهــا ... غيرتى الشماء من عبث العصور
وأرى الحبر وقد جف شبيها ... بدم جف على بعض الصخور

* * *

وأرى — فيما أرى — شكلا فظيعا ... خصلة الشعر أراها فأخال
جثــة الحب وقد خر صريعا ... تحت أنقاض عليها الدمع سال
فيفيض القلب من عينى دموعا ... وتروح الروح عن دنيا الضلال
تلك آثار هوانا ! فانظريهــا ... تعلمى ماذا جنى ذاك الغرور
ودموع صنتها لا تذرفيهــا ... ليس يمحو جرمك الدمع الغزير !

* * *

ربطة القلبين حلتهــا يداك ... ويدى تأبى امتهان الشعرات
لم يحركهــا إلى الإثم جفاك ... فهى لا تعرف غير الحسنات
لمسها مجموعة الشــعر يحاكى ... لمس هذا الثغر تلك الوجنات !
إن أعد بعد التنائى تبصريها ... مثلما سلمتها يوم المســير
فهى كالطفلة فى حضن أبيها ... لا ترى إلا حناناً وشعور !

* * *

هى أصفى منك حباً ووداد ... هى أوفى منك رعياً للذمم !
هى فى غى الصبا لم تتمادى ... هى لم تتبع هوى جر ندم
أنت قوضت من الحب العمادا ... أنت خنت العهد عمداً ، وهى لم
لم تراوغ ! لم تُر الصب بفيها ... عسلا ، والحل فى القلب يفور
قد وفتنى ، وأنا أيضاً أفيها ... فكلانا حافظ عهد العشير !

* * *

كلما أذكر أيام صــبانا ... ولياليهــا اللذيذات العذاب
تصهر الأحزان فى صدرى الحنانا ... فأقاسى كل أنواع العذاب
فإذا أيقنت أن الموت حانا ... وتصورت نزولى فى التراب
نشقة من خصلة الشعر تليها ... قبلة تخمد ذياك الســعير
فتخوض النفس بحر الأنس تيها ... ويزول اليأس عن قلبى الكسير ..

النحـــلة

خرجتْ، والشمس من خلف الأكام ... أصبحت أيضاً على وشك الخروج
وسرت فى الروض أنفاس الخزام ... وبدت للعين أزهـــار المروج
وتجلت لى آيات الســـلام ... فنسيت الحرب مع ذاك الضجيج
ذاك حلم لم يزرنى فى الكرى ... إنمـــا فى يقظة الأجفان زار
وأخـــو الشـــعر كثيراً ما يرى ... أنجم الزرقاء فى بحر النهـــار

* * *

نحـــلة ذات جنـــاح وجدت ... مقلتى فى لونه كل العجب
ذهبـــاً حتى إذا الشمس بدت ... صار يحكى فضة فوق ذهب
ترتدى ثوباً جميـــلا ما ارتدت ... مثله بلقيس فى ماضى الحقب
لامعاً يبعث فى النفس الفـــرح ... ويريها الحسن فى الطير النحيف
ذا غبار طار عن قوس قـــزح ... فتمنى بعضه الجنس اللطيف !

* * *

ذهبت تواً إلى الحقـــل الأنيق ... ليس تلوى ، همها جمع العسل
حين كان الزهر فيـــه يستفيق ... وعلى أجفـــانه يبدو الكسل
والنـــدى يغسل أحداق الشقيق ... والهـــوا ينشف منها ما اغتسل !
وشعاع الشمس فى بدء الظهور ... يتـــدلى كحبال من لجـــين
منظرٌ زين بتغـــريد الطيور ... فتصَبّى كل ذى أذن وعين !

* * *

وصـــلته وبنو اليسر نيـــام ... وبنـــو اليسر كذا فى كل آن
لا يرون الحسن إلا فى المنـــام ... ولعمرى ليس حلم كعيـــان
قبّلت فى أول الأمر الخـــزام ... وانثنت ترشف ثغر الأقحـــوان
ثم طارت بين أنواع الورود ... لا ترى فى كلهـــا غير الجمال
تلثم الزهـــرة حيناً وتعـــود ... تتهـــادى بين سكر ودلال..

* * *

هى مثلى تعشق الورد النضير ... إنمـــا ليس عليهـــا رقباء !

وعلىَّ منهم الخلق الكثير حرمونى كل صفو وهناء!
زهرتى فى الروض يابنت القفير فاقت الأزهار حسناً ورواء
إنهم قد حرمونيها فكاد ناظرى يحرم أنوار الصباح
وهى لى واحدة دون ازدياد ولك الحقل بما فيه مباح . .
زهرتى ! لله كم طيب وكم عسل فى الثغر منها والرضاب!
لم أذقه ! إنما الأنفاس نم ت على شهد لذيذ مستطاب
لو درت يوماً به النحلة لم تقصد الروض وترضى بالعذاب
إن فى الكون لقانوناً جليل سُنَّ للأحياء من بدء العصور
كل من يظفر بالشىء الجزيل لا يضيع الوقت فى جمع اليسير!

خيال الوطن

إنى انتظرت القمر أشكو له أمرى
فازددت لما ظهر جمراً على جمر
هذا خيال الوطن فى وجنة البدر
سمَّوه محواً ومن سماه لم يدر

* * *

هذى سفوح التلال هذى أعاليها
هذى عيون الجبال تجرى مآقيها
هذى مراعى الظبا هذى مآويها
هذى ديار الصبا يا ليتنى فيها !

* * *

أهل الحمى ، والحمى فى ذمة الله
والصب يشكو الظما والمرتجى لاه
كم ذا المحب اشتكى للكوكب الزاهى
يزجى البكا بالبكا والآه بالآه !

* * *

يا رب ! هذا النوى يستنزف العينا

بنّا فلجّ الهـوى ما أصعب البينا !
إن كنت تأبى اللقا ما بين جسمينا
فاجمع بروح التقى فى البدر رسمينا !

* * *

جنـات لبنان يا جنـات لبنـان
إن جف عنك الحيا روّتك أجفـانى
مـدى ظلال الوفا فى أرض غسـان
واحمى ثمـار الصفا عن كل خـوّان !

* * *

جنات لبنـان هـ ـذى غوطة الشـام
يختال فوق السهى ريحانهـا النـامى
كم من فتى مهتد للمجـد مقـدام
يروى ثراها الصـدِى من جرحه الدامى ..

موطنى

نازح أقعـده وجد مقيم فى الحشا بين خمـود واتقاد
كلما افتر له البـدر الوسيم عضه الحزن بأنياب حـداد
يذكر العهد القديم فينـادى
أين جنـات النعيم من بلادى؟

* * *

زانهـا المبـدع بالفن الرفيع منصفاً بين الروابى والبطاح
ملقياً من نسج أبكار الربيع فوق أكتاف الربى أبهى وشاح
حبـذا راعى القطيع فى المراح
ينشد اللحن البديع للصـباح

* * *

موطنى يمتـد من بحر المياه ممعناً شرقاً إلى بحـر الرمال
بين طوروس وبين التيه تاه بجمال فائق حـد الجمال

ذكره يغرى فتـــاه بالمعـــالى
أنا لا أرضى سواه فهو مالى!

منابع الشعر

يقولون عمن أخـــذت القريض وممن تعلمت نظم الدرر ؟
وأين درست العروض وكيف تلقفت هذا البيان الأغـــر
وما كنت يوماً بطالب عـــلم فإنا عرفناك منـــذ الصغر!

* * *

فقلت أخـــذت القريض صبيا عن الطير وهى تغنى السّحرْ
وعن خطرات عليل النسيم يمر فيشفى عليـــل البشر
وعن ضحكات مياه الجداول فوق الجلامد تحت الشجر
وعن زفرات المحب الأديب يزاحمـــه الموسر المحتقـــر
وعن نظرات الحسان اللواتى يكدن يغلغلنها فى الحجر!
وعن عبرات الحزانى الضعاف ففى عبرات الحزانى عبر!

* * *

كذاك تعلمت نظم اللآلى لفرط الغرام وطول السهر
فإنى سهرت كثيراً وكنت إلى النيرات أطيـــل النظر
وإن الكواكب كانت تغيب وتبقى بقلبى جليـــل الأثر
فهذى القصائد منها السماك ومنها الثريا ، ومنها القمر!

* * *

لئن كنت لم أدخل المدرسات صغيراً ولا بعد هذا الكبر
فذا الكون جامعة الجامعات وذا الدهر أســـتاذها المعتبر
ففى المبكيات بيـــان جميـــل وفى المضحكات معان غرر
وفى كل ما يبصر المبصرون دروس تنار بهن الفـــكر
فمن يحى يوماً ولا يستفيـ ـد أعمى البصيرة أعمى البصر

يا نجمة الليل(*)

أراك مؤرقة هاجدة ... فهل أنت عاشقة واجدة ؟
وهل مضّك الحب يوماً فهمت ... كما همتُ بالظبية الشاردة ؟
وهل أنت مثلى رأيت الحياة ... صعوداً فجبت الفضا صاعدة ؟
وهل لقنتك كما لقنتنى ... الليالى دروساً بها الفائدة
وهل سلعة الحق فى سوقكم ... كما هى فى سوقنا كاسدة
وهل عندكم من يدوس أخاه ... لأجل مآربه الفاسدة ؟
وهل للنضار هناك عبيد ... تظل محاسنه عابدة
وهل يستر « القرش » عار اللئيم ... فيخفى عن الأعين الناقدة
وهل فى السماء كما فى الثرى ... شرور ترى أبداً سائدة ؟
إذا كان هذا الذى فى السماء ... فنفسى به وبها زاهدة !

* * *

إلهى ! جعلت الحياة نعيما ... فمالى أرى نارها واقدة ؟
وصيرت قاعدة العيش حبا ... فشذ الجميع عن القاعدة
أرى المال أفسد قلب الوجود ... وأيقظ أطماعه الراقدة
وحلت محل الرءوس جيوب ... لكل معانى الهوى فاقدة !
فحقّرت الأنفس الصالحات ... وقدست الأنفس الحاقدة
بكيت وإن الخلائق تبكى ... وليست مدامعها الشاهدة
فكم مظهر فرحاً والهموم ... تماشيه قائمة قاعدة
تسيل مدامعه فى الضلوع ... وتبدو بأجفانه جامدة
وما أدمع تحرق القلب حزنا ... لدى الحق كالأدمع الباردة ...

* * *

أحن إلى الغاب حيث الشرور ... هنالك نيرانها خامدة
أحن إلى حيث لا يجلس الغد ... ر قرب الوفاء إلى مائدة !

(*) تناول الشاعر هذه القصيدة بالمراجعة والتعديل . فبدت فى ديوانه المطبوع سنة ١٩٣٢ بالبرازيل مغايرة لما فى كتاب « بلاغة العرب » المطبوع سنة ١٩٢٤ .

أحن إلى حيث لا المنكرات تعيش ولا الأعين الحاسدة
فهل من فتـــاة كعاب تكون رياح مطامعهـــا راكدة ؟
تحن حنيني وتلقى على الكو ن نظرةَ عاقلةٍ راشـــدة ؟
فأمنحهـــا مهجتى ونعيش بعيدين عن عصبة جاحدة
ويفرح قلبى الحزين بهـــا كما يفرح الطفـــل بالوالدة
فإن مسها الداء يوماً ونامت تراقبهـــا مقلتى الساهدة !
وأن أمّت القبر قبلى تظل ترافقنى روحهـــا الخالدة
ولست أبالى ولو كلمتنى بإحدى لغات الورى البائدة
إذا ما لغات الشفاه اختلفن فما للقلوب سوى واحدة !
خُفوق يخـــر لديه البيـــان وتعنو المعانى له ســـاجدة..

تعـال

حبيبى ! تعال تجـــد منزلك ! معداً كما كان من قبل لك
تعال ! فما احتل قلبى سواك وغيرك فى خاطرى ما سلك
تعال ! فهذا بساط الربيع يوشى بأزهـــاره مخملك !
تعال انظر النيرات اللواتى تعرّين لما لبسن الحلك !
فلولاك لم تبد هـــذى النجوم ولولاك ما دار هذا الفلك !

* * *

حبيبى تعـــال ادن منى فكم حسدت النسيم الذى قبّلك !
تعال ارفع اليأس عن مدنف إذا لم تبادر إليه هلك !
تعال اشهد النزع ، نزع الذى سوى دمعة الوجد لن يسألك
تعـــال ابك صباً يولّى ولولا وداع الحياة لما استعجلك
أموت على رشفة من لمـــاك فيا أكرم الناس ما أبخلك !

حياة مشقات

أراقب فى الظلماء ما الليل يحجب وأقرأ فى الأسحار ما الله يكتب
وأستعرض الأيام : يومى الذى مضى دليل على يومى الذى أترقب
فلا تسألوا عنى وحظى فإننا لأمثال أهل الشرق والغرب مضرب

طوى الدهر من عمرى ثلاثين حجة ... طويت بها الأصقاع أسعى وأدأب
أغرِّب خلف الرزق وهو مشرِّق ... وأقسم لو شرقت كان يغرِّب
وأنفر من واد لطود كأننى ... وقد بوَّق الداعون للصيد ربرب !
لئن غردت للشاعرين بلابل ... فإن غراب الشؤم حولى ينعب
وإن كان علماً ثابتاً قول بعضهم ... لكل امرىء نجم. فنجمى المذنّب..

* * *

ومركبة للنقل راحت بجرها ... حصانان : محمر هزيل وأشهب
لها خيمة تدعو إلى الهزء ، شدها ... غرابيلَ أدعى للوقار وأنسب !
جلست إلى حوذيها ووراءنا ... صناديق فيها ما يسر ويعجب
حوت سلعاً من كل نوع يبيعها ... فتى ما استحل البيع لولا التغرب
وراحت كأن البر بحر نجاده ... وأغواره أمواجه ، وهى مركب
تبين وتخفى فى الربى وحيالها ... فيحسبها الراءون تطفو وترسب
وتدخل قلب الغاب والصبح مسفر ... فتحسب أن الليل لليل مُعْقب
تمر على صُم الصفا عجلاتها ... فنسمع قلب الصخر يشكو ويصخب
وترقص فوق الناتئات من الحصى ... فنوشك من تلك الخلاعة نقلب !
نبيت بأكواخ خلت من أناسها ... وقام عليها البوم يبكى ويندب !
مفككة جدرانها وسقوفها ... يطل علينا النجم منها ويغرب
عليها نقوش لم تخطط بريشة ... تظن صباغاً لونها ، وهو طحلب !
يغنى لنا فيها الهواء كأنه ... ينومنا ، والبرد للنوم مُذهب
فنمسى وفى أجفاننا الشوق للكرى ... ونضحى وجمر السهد فيهن يلهب
ومأكلنا مما نصيد ، وطالما ... طوينا لأن الصيد عنا مغيب
ونشرب مما تشرب الخيل تارة ... وطوراً تعاف الخيل ما نحن نشرب !
حياة مشقات ... ولكن لبعدها ... عن الذل تصفو للأبى وتعذب ..

* * *

وقد نلتقى بعضَ الجميلات صدفة ... فيطربنا والمبدع الغيد مطرب
وكل مكان فيه للحسن مرتع ... وللطرف ملهى فيه للحب ملعب

وما تلتقى عينا فتـــاة حيية ... وعينا فتى إلا لكوبيد مأرب !
وهل أنا إلا شاعر لان قلبُهُ ... فليس له من صولة الحسن مهرب ؟
نفتنى من المـــدْن العواصم عزتى ... فرحت بأطراف الولايات أضرب
أعاشر من لو عاشر القرد بعضهم ... لما رد عن « دروين » قبر مقبب
وأنصت مضطراً إلى كل أبله ... كأنى بأسرار البـــلاهة معجب !
وأكره أشـــياء رفيقى يحبهـــا ... وأرغب فى أشياء عنهن يرغب
وأرهب قطاع الطريق . . وربما ... تعمدت إظهار السلاح ليرهبوا . .
فعزُّ الفتى الطاوى الفيافى مسدس ... كما أن عز الليث ناب ومخلب
وما صينَ حق لا ســـلاح لربه ... وأضعف أنواع السلاح التأدب . .
ولولا نيوب الأسد كانت ذليلة ... تساط ، وتعنو للشكيم وتُركب
وكم ظالم يستعبد الناس عنـــوة ... وحجته الكبرى الحسام المشطّب . .

* * *

أقول لنفسى كلما عضها الأسى ... فآلمها : صبراً ففى الصبر مكسب
لئن كان صعباً حملك الهم والأذى ... فحملك مَنَّ الناس لاشك أصعب
فلولا إباء مازج الطبع لم يكن ... لمثلى مجىء فى البرارى ومذهب
ولولا رجائى أن تظلى بعيـــدة ... عن الضيم لم يوطأ برجلى سبسب
فلا تعذلى صحباً دروا بى وما عنُوا ... بأمرى فهم منى إلى الفقر أقرب
ولا تأملى من غير صحبى معونة ... فما تخصب الكفان والقلب مجدب
ولا ترتجى الإخلاص من كل باسم ... ففى الباسمين المبغض المتحبب
ولو كان كل المظهرين لى الوفا ... وفين لم يعجزك يا نفس مطلب . .
عتبت على ناس أضاعوا مودتى ... وكل كريم خانه الصحب يعتب
فقد زعموا أنى هجوت حبيبهم ... وأنى سأهجو غيره حين أخطب
ولست بهجـــاء . . ولكنه الهوى ... إذا قاد نفس المرء فالنور غيهب
أنا من يرى أن الرياء معـــرة ... وأن خبيث القول فى الصدق طيب
وما أنا إلا كالزمان وأهـــله ... أعاف وأستحلى ، وأرضى وأغضب
فأى هجاء فى مقـــالى لعقرب ... له ولع بالشر ! إنك عقرب !
فيانفس إلا أنت مالك واعلمى ... بأنْ كلُّ برق غير برقك خلّب
تعبتُ إذ استنظرت خيراً من الورى ... ومستقطر السلوى من الصاب يتعب

الشاعر القروى

— ١٨٨٧ —

قد تكون الترجمة لشاعر أو أديب أمراً صعباً إذا عزت مصادر حياته ، ولكن قد يكتب الشاعر أو الأديب لنفسه ترجمة ذاتية ليهون على الناس أمر سيرته ، فيزيدهم صعوبة من حيث أراد التسهيل عليهم . . . لأنه قد يكاشف الناس من مستور أمره وخصوصية شأنه بما يحير الذين يودون الكتابة عنه ، أو التعريف به... وكذلك شأننا اليوم مع الشاعر القروى « رشيد سليم خورى » . . فقد كتب ترجمة حياته بقلمه هو فى مقدمة ديوانه الضخم « ديوان القروى » الذى طبع فى البرازيل سنة ١٩٥٣ .

ولقد كان الشاعر القروى صريحاً كل الصراحة حين ترجم لنفسه ، فولج معنا أعماق نفسه وحناياها ، وصورها على حاليها . . . بخيرها وشرها ، وبعصمتها ونزواتها . . حتى لم يدع سؤالا لسائل ، ولا فضلة لمستطلع ، ولا شهوة لصاحب فضول !

ولد شاعرنا بقرية البربارة من جبل لبنان سنة ١٨٨٧ ، وقد ورث الشعر عن أبيه الذى كان له فى النثر والنظم بعض الإجادة ، وورث من قريته رخامة الصوت التى تميز أهلها جميعاً . ومن هنا كان الشاعر ينشد أشعاره على أوتار العود الذى يحتضنه ، كما كان يفعل شعراء الغناء فى العصر العباسى . . . وتعلم فى قريته ، ثم فى مدرسة الفنون الأمريكية بصيدا ، فالكلية السورية الأنجيلية ببيروت ؛ وانتهى من حياة التعلم ليشتغل معلماً فى مدرستى طرابلس والمينا الأمريكيتين ، فالكلية الشرقية فى زحلة ، فمدرسة الأمريكان فى سوق الغرب. ورسالته فى التعليم تذكرنا برسالة الشاعر محبوب الشرتونى من شعراء المهجر الشمالى ، ولا يعرف المترجم له من اللغات الأجنبية غير نزر من الإنجليزية

والبرتغالية ، أما العربية الصحيحة الفصيحة فهى لغة ثقافته ، وقد تمنى لو يطول به الأجل ليغترف من كنوزها المخبوءة وخاصة عن المغتربين . .

ولقد هاجر الشاعر من وطنه إلى البرازيل سنة ١٩١٣ بأغراء من عمه المهاجر من قبل . وقد أحجم الشاعر أول الأمر خشية أن لا يكون فى المهجر سماء كسماء لبنان وجبال كجبالها . . ولكن وفاة والده سنة ١٩١٠ وإغراقه فى الديون قد حمل الابن على الهجرة ليجمع من المال ما يبرىء به ذمة والده ويقضى دينه ، وقد لقى من العنت ما لاقاه الشاعر إلياس فرحات وغيره من الذين كابدوا فى المهجر ، فحمل صندوق الزنك على ظهره يبيع السلع فى لفح الحر وتحت وابل السيل . وكانت الأمور تنفرج له بعد أن تستحكم حلقاتها . . . ففى أشد ساعات العسر ، وقد فرغ جيبه من آخر درهم ، قيض الله له من يريد تعلم الضرب على العود ، فأعطاه دروساً يفرج بأجرها كربته . . .

ويمتاز الشاعر القروى بروح وطنية عالية ، فهو أقوى الأصوات العربية الوطنية فى المهجرين ، ولا تمر مناسبة وطنية عامة إلا ارتفع فيها صوت الشاعر مجلجلا بشعر قوى رصين مملوء بالأيمان والحماسة الثائرة المثيرة ، وخاصة فى الأحداث الكبرى التى منيت بها الأوطان العربية منذ عهد غير بعيد . وكان الشاعر القروى يطوف على القرى والأقاليم البرازيلية النائية يجمع التبرعات من العرب فى المهجر لخدمة القضايا العربية ، ويأخذ أجور رحلته من ربح الحوارب التى يبيعها على ظهره . . .

والشاعر القروى — هو وزميله إلياس فرحات — يمثلان فحولة الشعر العربى فى المهجر ، وهو كصاحبه من أنصار الرصانة ، وصحة الأسلوب ، وبلاغة العبارة ، وتمكن القافية ، والحفاظ اللغوى . وإذا كان هذا الحفاظ اللغوى هو طابع الأدب العربى فى المهجر الجنوبى ، فإن ذلك لم يمنع من ظهور حركة مجددة متحررة من كل قيد لغوى أو نحوى أو عروضى ، كما سيظهر لنا فى الحديث عن الشاعر « نعمة قازان » .

وقد بلغ من إيمان الشاعر القروى باللغة الفصيحة الصحيحة وسمو رسالتها أنه وسم كل عادل عنها بسمة الكفر بالعروبة وبالعرب . . .

والقروى شاعر حساس دقيق الحس ، يجد فى الطبيعة أنساً لوحشة نفسه ، وله فى ذلك غرائب رواها فى سيرة حياته ، وقد يطغى جمال الطبيعة على حسه ووجدانه ، فيرده إلى خشوع يلصق جبينه بالتراب ، ويسكب من عينيه وشفتيه تسبيحة رطبة ، حارة . فيمتزج فى وجهه البكاء بالثناء ، على الله صاحب الآلاء..

ولقد تبرعت الجالية العربية فى المهجر بطبع ديوان الشاعر القروى تبرعاً سخياً ، فظهر الديوان فى ٩٢٨ صفحة . وكان بذلك أضخم ديوان للشعر العربى المعاصر ، فى العالمين القديم والجديد . . . ولا يدانيه فى ضخامة الحجم إلا ديوانا « الشفق الباكى » للدكتور أحمد زكى أبى شادى ، و « ديوان الأسمر » للشاعر محمد الأسمر .

باقة من أشعاره

الولادة الجديدة

إذا الشمس يا أم لاحت هتفتُ ... هتاف الغريب رأى الموطنا
وقبّلت غرتها بالبنان ... وطوّقت بالساعدين السنا
كذلك كنت أمد يدى ... إلى النار طفلا ! أطفل أنا ؟

* * *

وإذ يكفهر جبين السماء ... وتسكب أجفانها الدمع طلاّ
وتنشر فوق الرءوس المظلا ... ت لم أرض غير السحابة ظلا
كذا كنت أعشق خوض الحداول ... طفلا ! فهل عدتُ يا أم طفلا ؟

* * *

مررت بأترابيَ التاجرين ... فلم ألق إلا العبوس الوقورا !
فملت إلى الحقل حيث الصغار ... تناغى الطيور وتجنى الزهورا
فهل صار كل رفاقى كهولا ... وهل أنا وحدى ظللت صغيرا ؟

* * *

فأسمَعُنى الطير عند الصباح ... جواب الطبيعة لى تنشدُ :
يُنىّ ! ولدتك طفلا جديدا ... فقل للرفاق الألى تعهد :
لقد ملأ الأرضَ أولادكم ... وأنتم إلى الآن لم تولدوا . . .

اجعل الأرض

اجعل الأرض حيث كنت جِنانا ... إن تكن قد هجرت منها جِنانا
صغرت نفس حاصر النفس فى أشـ ... ـبار أرض يعدها أوطانا
أنت حر فاستوطن البلد الحر ... وصاحِب من أهله إخوانا
مثلك الكون والزمان . . فلا تلـ ... ـحَ مكاناً ، ولا تذم زمانا

واسْمُ عن أن تشكو إلى الناس فقرا ... ولئن بت جائعاً ظمآنا
ليس فى قضمك الحديدَ هوان ... إن فى بثك الشكاة هوانا
بسمة تظهر الفقير غنيا ... دمعة تمسخ الشجاع جبانا
فتلقَّ الحياة بالبشر فالعيـ ... ـش نعيم إن لم تكن شيطانا
ليس بدعاً إن كنت تطلب ماتقـ ... ـصر عنه أن تشتكى الخذلانا
لم يخب طالب رغيفا بسعى ... وإذا عزَّ حنطة فزوانا
أنت لفظ يعنى الخلود فكم تُعْـ ... ـنى بفان فى حبه تتفانى ؟
كن إلٰه النضار ! إنك عندى ... لست شيئاً ما لم تكن إنسانا
أشبِع العقل حكمة واختبارا ... واملأ القلب رحمة وحنانا
ولك الأرض والسماء وهل يدُ ... عى فقيراً من يملك الأكوانا ؟

الفتنة الكبرى

عرَتنى خشية لله لما ... رأيت الشمس تأذن بالشروق
فلم أرفع يدى بالحمد حتى ... ذكرت بضاعتى وكساد سوقى
ولما قمت منصرفاً لشأنى ... تذكرت الصلاة على الطريق..

* * *

حملت نماذجى ... ألقى اتكالى ... على المولى ووعد من صديق
فلم أبصر جمال الروض حتى ... عرتنى هزة الشعر الرقيق
ولما عدت من نظم القوافى ... تذكرت الصديق على الطريق. !

* * *

وإنى فى ذهول الشِّعر يوما ... أحوم به على غصن وريق
إذا بحمامة تبكى بكاء ... له جمدت دمائى فى عروقى..
فلما ذاب فى سمعى صداها ... تذكرت القريض على الطريق. !

* * *

سمعت كمنجة فى كف أعمى ... تثير كوامن الحس العميق
فلما كنت منجذباً إليها ... وملتِ إلىَّ بالقد الرشيق
ذهلتُ عن الصلاة، وكسب رزقى ... وشعرى، والكمنجة و... الطريق. !

بين الحقول

هل تذكرين لقاءنا فى روضة ... سحرية والطيرُ تهتف باسمك ؟
والشمس تلقى فى المروج ظلالنا ... عمداً لتحتفظ المروج برسمك !
والنحل يطعمنى برشف لماك وال ... أغصان تغرى ساعدىَّ بضمك
لما شغلتك بالزهور هنيهة ... وشغلت عن شم الزهور بشمك ..
ثم ارتمينا بين أحضان الربى ... ثملين فى الغض الندىِّ كجسمك
وغدوت كالعقد النثير على الثرى ... أعجزتِ ألبق شاعر عن نظمك !
فرنوت مغضبة إلى فصابنى ... سهم ، فوا شوق الفؤاد لسهمك !
لمياء ! ما دام الكلام يمر فى ... شفتيك من يخشى مرارة شتمك؟
يا نحلة دون الأزاهر هجتها ... من ذاق شهدك لم يخف من سمك
يا زهرة زحزحت عنها كمها ... روحى فدا الحسن الخبىء بكمك !
أقطفت قطفاً ؟ أم ولدت ولادة ... من جنة الفردوس أم من أمك ؟
جاوزتُ حد الأربعين ولم أزل ... أزرى بفتيان الحمى فى زعمك !
لا بدع إن جددت لى عهد الصبا ... برضاك عنى تارة وبرغمك !
مِنْ ثم نعلك للهشيم تمايلٌ ... بين الحقول ، فكيف بى من ثمك؟

عناق الوجود

من لنفس تود لو تغمر الكو ... ن هياماً بحسنه المعبود ؟
مثلوا لى هذا الوجود بشىء ... أنا لا أستطيع ضم الوجود !

* * *

تطلع الشمس يستبينى بهاها ... وتلوح النجوم أرعى سناها
أى واد ولم أسامر حصاه ... وهضاب ولم أباكر ذراها ؟
وغصون ولم أغرد عليها ... وورود ولم أمص جناها ؟
غير أنى عمرى قصير وفى الكو ... ن فنون من كل حسن جديد
مثلوا لى هذا الوجود بشىء ... إننى أشتهى عناق الوجود !

* * *

يا سليمى ! جمعتِ حسن النهار ... والدجى ، والسماء ، والأقمار !

والربى ، والوهاد ، والغصن والزهـ ـر وقطر الندى ، وشدو الكنار !
فيك معنى من كل ما أبدع البا ـرى تعالى بل فيك معنى البارى !
لوحة المرصـد التى يظفر الرا صد فيها بكل نجم بعيـد
بذراعيـك طوقينى أطوِّق بذراعىَّ كل هذا الوجود ! !

يا رب

يارب إنك صـاحب الأمر وأنا إليـك موكل أمرى
من لى سواك إذا الهموم طمت وتلاعبت بسفينة العمر ؟
مرها تطعك ! فطالمـا سكنت طوعاً لأمرك لجـة البحر
أكذا أظل الدهـر مرتطما أنجرُّ من صخر إلى صخـر ؟
خمس مضت ، واليوم سادسة من غربتى فى إثرها تجرى
لم ألق فى أثنائهـا سـنة إلا وأهونُ ما بهـا فقرى ..
شكراً على ما سرنى ، وعلى ما ساءنى ! شكراً على شكر !
ما لى جميـل أرتجى معـه أجراً ولا عفواً سوى صبرى ..

الشـتاء

لمعـةَ الخاطر الجديدْ فى سمـاء المخـيِّلة
بالغـرام الذى مضى والرجـاء الذى قضى
جددى بيننا العهـود واتحفينـا ببسـملة
لمعـةَ الخاطر الجديد فى سمـاء المخيـلة

* * *

طال يا فتنـة العقول زمن الثـلج والمطر
فاكسحى هذه الغيوم وأطـلِّى على الكروم
وانفخى الروح فى الحقول وابعثى الحسن فى الزَهرْ
طال يا فتنـة العقول زمن الثـلج والمطر

* * *

تتشـكَّى لىَ الورود كلما عدتهـا ضحى
صلِّ يا شـاعر الزَهرْ صلِّ للشمس والقمر !

ذهبت حمرة الخدود ما على الحو لو صحا !
تتشكى لىَ الورود كلما عدتها ضحى

* * *

منظر الزهر فى ذبولْ منظر يبعث الأسى
كيف لا يحزن العروس ؟ كيف ترضى به «فنوس» ؟
هل ترى نابَها الأفول أم ترى قلبها قسا ؟
منظر الزهْر فى ذبول منظر يبعث الأسى

المتكبرون

سل المتكبرين : هل استشيروا بمولدهم ، وهل أمنوا الحماما ؟
وهل كشفوا من الأكوان سرا وهل عرفوا البداءة والختاما ؟
وهل جبلوا جسومهم بخمر وهل نحتوا من العاج العظاما ؟
وهل يغدون تحت الأرض تبرا ويمسى غيرهم فيها رغاما ؟
أليس قوامهم ماء وطينا كما خلق الإلٰه لنا قواما ؟
فان كانوا كغيرهمُ أناما علام إذنْ قد احتقروا الأناما؟
وإن لم ينفعوا الدنيا بشىء إذن فعلام منّهُم علاما ؟؟

الفرح

أنا لم أفرح لأنى بطل مثل «دمسى» أصرع القرم العنيدْ
أو لأنى فى الدواهى رجل لا يبالى إن دنا الخطب الشديد
ما يلاقى
بل لأنى ناصرٌ حق الضعيف حين فى الحق يعز الناصرُ
ولأنى حالة الفوز شريف أدّعى أنّ سواى الظافر
فى السباق
أنا لم أفرح لأنى عالم يتمشى فوق أعناق الدهور
أو لأنى ناثر أو ناظم يفتنُ القراء أرباب الشعور
حسنُ نظمى

بل لأنى لم أحرك قلمـــا بالذى يكسو مسوح الخجل
ولأنى لم أسبب ألمـــا جارحاً بالسب عنـــد الجدلِ
قلبَ خصمى
أنا لم أفرح لحشدى الذهبا واحتيازى كل ما لذ وطاب
أو لأنى بعدُ فى شرخ الصِّبا أتملى من مسرات الشباب
لا! لعمرى!
بل لأنى وافـــر العرض نبيل ولأنى مخلص حر الضمير
ولأنى عنـــدما يخلو السبيل ألبس الليل بشىء للفقير
مع فقـــرى ...

منشودتى

يأيهـــا الطيار فوق الغمـــام بالله هـــل صادفت منشودتى ؟
منشودتى تسكن قصر الصـــباح على رصيف الأفق تهوى المسير
تلبس من قطن الغيوم الوشـــاح على قميص من حرير الأثير !
وعندما يرخى ســـتار الظلام تلوح فى الجـــوزاء منشودتى

* * *

ياأيهـــا الغواص تحت البحار قل لى : أما صادفت جنّيتى !
جنيتى مكنونة فى الصـــدف فى قاع بحر الهند تهوى المقر
لم تحوها « باريس » بين التحف كلا ولا « رومة » بين الصور
من نُورها يشتق نور النهـــار والحسن من إحسان جنيتى

* * *

يا فَلَكيـــا باحثاً فى السماء هل لمحت عينـــاك حوريتى؟
حوريتى فوق محـــل الشموس عائمة فى لجة من ســـديم
تروى صداها من عصير النفوس تستنشق الأرواح مثل النســـيم
قَلْب الثريا خافق فى الفضـــاء وجدا على أقـــدام حوريتى !

* * *

ياأيهـــا الجرّاح يَفرى الصـــدور لى عنـــدك البشرى بأمنيتى

أمنيتى مخبـوءة فى القـلوبْ رائعـة تحت ظلال الخيـالْ
وهى التى تُلقى رداء الشحوب تعويذة فوق رسوم الجمال
أوصيك لا تهتك حجاب الضمير صونا لخِـدْر فيه أمنيتى . . !

أنشودة الغريب

حتّـام أحيا غريب مالى وطن
يا يوم وصْلِ الحبيب أنت الزمن

* * *

دهـر بقلبى رمى سهم النوى
يكويه ربى كما قلبى كوى !
هيهـات غير الحمى مالى دوا
لبنـان نعم الطبيب للمتحـن
إن كنت منه قريب زال الحَزَن

* * *

لله ذاك الغـدير ما أعـذبا
لله تلك الزهـور ما أطيبـا
لله تلك الطيـور ما أطـربا
من كل شاد عجيب ينفى الشجن
فى شـدوه للقلوب سلوى ومَنّ

* * *

كم لى بتلك السفوح من موقف
والشمس طوراً تلوح أو تختـفى
فى ظل روض يفوح بالمضـعف
أو تحت غصن رطيب حـلو التثنّ
غنى به العندليب فوق الفنن

* * *

إياك يهوى الفؤاد يا أمنّـا
من دون كل البلاد أنت المنى

هل يا ترى من معاد يوماً لنـــا ؟
يا حسن يوم تؤوب فينا السفن
نشتمُّ قبـــل الغروب ريح الوطن !

لا تنسنى (*)

ما للفراشـــة لا تطير مطروحة بين الزهورْ
هـــذا الجناح جناحها فى الحسن منقطع النظير
أطرى وأنعم ملمســـا من راحة الطفل الصغير
أبهى وأبهج منظـــرا من مطلع الصبح المنير
أندى وألطف من نسيـ ـم الفجر عن سطح الغدير
أجرى وألين من مرو ر الروح فى جسم الأثير
أشهى وأطيب من ســـلا م النفس فى ظل الضمير
وأحب من تغريدة الـ ـعصفور فى الروض النضير
وأرقّ من لحن الصـــبا وأدق من وتر الشعور
حامت عليهـــا العين تجـ ـلو الحسن من أمد قصير
فدنوت أختلس الخطا مترفقاً كى لا تطير
وطرحت نفسى فوقها ويل الصغير من الكبير !
فإذا الفراشـــة زهرة وإذا المتيّم فى غرور ...

* * *

أحْبابَ قلبى إن دعا داعى المنون إلى المسير
ورويتم الأزهـــار حو لى من ندى الدمع الغزير
لى عنـــدكم أمنيـــة تحقيقهـــا أمر يسير
أن تزرعوا لى زهـــرة بجميع ألوان الزهـــور
وقوامهـــا ندٌّ يفو ح عبيره وندى ونور

(*) لا تنسنى : هو اسم لزهرة يقال لها بالإنجليزية *Forget Me Not* . وهى تشبه الفراشة .

لى فى اسمها فأل يفيـ ـض علىّ فى اللحد السرور
يا حبـذا « لا تنسنى » زهراً يعيش على القبور !

الغريب والشمس

ربة النـور جمـال وكمال ما أجلاّ
مذ بدا وجهك من خلف الجبال وتجـلى
مال ظل الليل نحو الغرب ، مال ثم ولىّ

* * *

شمس لبنان انظرى حال الغريب وارحميـه
واذكرى كل شروق وغروب لذويـه
أنه صب وتذكار الحبيب مِلْء فيه

* * *

وإذا لحت بميناء « الوطا » مستحمىً
حيث يمشى إخوتى مثل القطا خلف أمى
فالثمى عنىّ آثار الخطا أى لثم !

* * *

ليتنى أعلق يا ذات الضياء بحبـالك !
لتدورى بى آفاق السماء كهـلالك
وأراهم كل صبح ومسـاء من هنالك !

إطالة الحياة

عجباً لمن يهب الطبيب جميع ما ملكت يداه لكى يجنبه الردى
وإذا دعتـه المكرمات أعارها صمماً ، ولم يبسط بعارفة يدا
يعطى الكثير لكى يطيل حياته سَنَةً ، ولا يعطى اليسير ليخلُدا ..

أبناء المعلوف: فوزى، وشفيق، ورياض

لقد اجتمع الشعر فى هؤلاء الأخوة المغتربين فى المهجر الجنوبى، وانحدر إليهم ذلك الميراث الأدبى الرفيع عن والدهم المؤرخ الأدبى الكبير الأستاذ عيسى إسكندر المعلوف، العضو بالمجمع العلمى العربى بدمشق. وليست أسرة المعلوف هى التى انفردت من أسر المهجر بإنجاب أشقاء شعراء، فهناك أسرة الخورى من قرية «البربارة» اللبنانية التى أنجبت الشاعرين الشقيقين رشيد سليم الخورى «الشاعر القروى»، وقيصر الخورى «الشاعر المدنى» وهما من أعضاء العصبة الأندلسية بالبرازيل التى يرأسها الشاعر شفيق المعلوف. وهناك أسرة قنصل من قرية «يبرود» السورية، وقد أنجبت الشاعرين الشقيقين إلياس قنصل، وزكى قنصل.

ولقد اشتهر المرحوم فوزى المعلوف بقصيدته الرائعة «على بساط الريح» التى نشرت فى مجلة «المقتطف» سنة ١٩٢٩، ثم طبعت طبعة أنيقة فى البرازيل، ولقيت من تقدير القراء فى العالم العربى ما لفت الأنظار إلى ناظمها الشاب الذى اختطفه الموت وقد أوفت سنه على الحادية والثلاثين، فمر فى الدنيا كما يمر الطيف، أو كحلم فى الكرى، أو كخلسة المختلس، كما يقول الشاعر الأندلسى.

ولد فوزى فى زحلة سنة ١٨٩٩ فى أعقاب الربيع الباسم، ولكنه كان كما يقول عن نفسه منقبض النفس مقطب الجبين، ولشد ما تمنى أن يموت فى خريف صامت ذاوٍ كما قضى حياته القصيرة فى خريف صامت ذاو..

ووجد الفتى فى كنف أبيه العلامة المؤرخ وفى خزانة كتبه ما أشبع ميوله الأدبية البادية، فنظم شعراً فى شبابه المبكر، وألف بعض الروايات التمثيلية. وفى سنة ١٩١٨ عين الشاعر كاتماً لأسرار المعهد الطبى العربى بدمشق، قريباً من رعاية أبيه فى عاصمة الأمويين. وما كادت تضع الحرب العالمية الأولى أوزارها حتى بدأ الشاعر الشاب رحلته إلى العالم الجديد سنة ١٩٢١ مشتركاً مع أشقائه وبعض

قرابته فى إنشاء مصنع للحرير بمدينة سان باولو بالبرازيل . ولكن نسج الحرير لم يشغله عن نسج أبراد العرائس من الشعر الرقيق ، واجتمع له الثراء هو وإخوته ، فلم يزدهم إلا استمساكاً بعروة الأدب الرفيع. وفى أخريات سنة ١٩٢٩ أصيب الشاعر بمرض أعيا الأطباء، ولم تنفع فيه حيلة الطب الذى عجزت محالته عن الإصدار فتوفى فى يناير سنة ١٩٣٠ . وكان لمنعاه رنة أسف فى العالم كله ، فنعته شركة هافاس البرقية العالمية شاعراً، قبل أن تنعاه شاباً من كبار رجال الصناعة فى البرازيل .

ولقد أحبه الذين قرأوا شعره ، لأنه يفيض بنزعة إنسانية كريمة ، وينزع إلى السمو بالإنسان إلى أسمى مراتب الكمال ، أما الذين رأوه فقد زادهم حباً إلى نفوسهم صفاء ذهنه ، وكرم خلقه ، وعلو همته ، ولطف عشرته على الرغم من اتساع ثروته . وممن تأثر بلقائه الدكتور فيليب حتى ، أستاذ التاريخ الشرقى بجامعة برنستون بالولايات المتحدة ، فلقد كتب — فى مجلة « الكلية » ببيروت واصفاً رحلته إلى البرازيل — كلمة يقول فيها : (قلّ بين الشبان الذين تعرفت بهم فى السنين الأخيرة — ولقد اجتمعت بالعدد الوافر منهم فى القارات الخمس — من أثر فى نفسى أثراً مستحباً أشد من الأثر الذى تركه فىّ فوزى المعلوف) .

وتمثل لنا نظرة فوزى المعلوف المتشائمة فى الحياة صدق القول بأن المال لا يخلق سعادة ، ولا يصنع غبطة . . . فقد اجتمع له الثراء والشباب ، وأوفيا له الكيل ، ولكنهما لم يستطيعا أن يخلقا وتر السعادة فى عوده الحزين . . . فظل حتى حين حلق إلى أبعد آفاق السماء فى ملحمته « على بساط الريح » يشكو ويتألم من الحياة على الأرض ، كأنه كان ينوى الرحلة إلى ما وراء الحياة وهو لما يزل بعد فى نضارة الشباب . ومن هنا وجد الشاعر الدكتور أحمد زكى أبو شادى سبيلا إلى نقده ونقد فلسفته التشاؤمية فى الحياة، حين كتب عن ملحمته « شاعر فى طيارة » أو «على بساط الريح » نقداً فى عدد «المقتطف» الذى نشرت فيه تلك الرائعة الأدبية سنة ١٩٢٩ .

ولقد بلغ من روعة «على بساط الريح» أنها ترجمت إلى كثير من اللغات الحية ، فترجمها المستشرق جورج كفت إلى الإنجليزية ، والمستشرق كمبفماير إلى الألمانية ، والمستشرق كرتشكوفسكى إلى الروسية ، والسيدان أسعد محفل

وفائز عون إلى الفرنسية ، والسيد إميل مرقدة إلى الرومانية ، وفنتور لوسبرينو — أمير شعراء البرتغال — إلى البرتغالية ، وفرنسيسكو فيلاسباسا — أمير الشعر الأسبانى — إلى الأسبانية . وتمتاز هذه الترجمة الأخيرة بتلك الدراسة التحليلية التى كتبها المترجم عن الشاعر وشعره .

وفى سنة ١٩٣٧ أزيح الستار فى حديقة عامة بمدينة زحلة عن تمثال نصفى من البرونز نحته مهاجرو العرب فى البرازيل ، وقدموه تذكاراً للشاعر الذى أنبتته المدينة اللبنانية الحالمة ، ليعود إليها أريجاً عاطراً فى سماء الخلود .

* * *

أما شفيق المعلوف فهو صاحب ملحمة « عبقر » ، وهى قصيدة أسطورية جمع الشاعر مادتها من أساطير القدامى ، وطاف فيها بعوالم غير عالمنا الأرضى ، وأبعد فى أودية « عبقر » كما أبعد المعرى فى « رسالة الغفران » ودانتى فى « الكوميديا الإلهية » . وقد كانت هذه الملحمة فى طبعتها الأولى بالبرازيل سنة ١٩٣٦ فى ستة أناشيد ، فأضاف إليها الشاعر ستة أخرى فى طبعة سنة ١٩٤٩ وصنع لها — هو لا أبوه كما ذكر بعضهم وهما — مقدمة تاريخية فى أساطير العرب وما شابهها من خرافات الأقدمين .

ولد شفيق فى زحلة سنة ١٩٠٥ وشدا من العلم فى كليتها الشرقية ، وفى سنة ١٩٢٢ جذبته أكناف والده فى دمشق ، فعمل محرراً فى إحدى صحفها المشهورة « ألف باء » ، ولم يطل مقامه بعاصمة الأمويين أكثر من ثلاث سنوات حتى غادرها سنة ١٩٢٦ مهاجراً إلى البرازيل ، حيث كان هناك شقيقه المرحوم فوزى وكثير من أفراد أسرته . فانعقدت له فى عالم الصناعة شهرة لا تقل عنها شهرته الأدبية المطبقة ، ويعينه فى الميدان الصناعى والتجارى شقيق رابع اسمه إسكندر . ويعيش شفيق فى سان باولو فى قصر مشيد ، لم تصنعه أحلام « عبقر » ولا خيالاتها ! ولكنه قصر منيف من الواقع ، تتسع رحابه الكريمة لأعضاء « العصبة الأندلسية » ، وللوفود العربية التى تفد من أوطان العروبة إلى البرازيل من حين إلى حين .

وقد ألقت العصبة الأندلسية فى البرازيل مقادتها إلى الشاعر شفيق معلوف ، فالتقت فى همته وشاعريته ومركزه الاجتماعى المرموق روافد النشاط الأدبى والمادى فى ذلك المهجر الجنوبى البعيد . . .

ونظرة « شفيق » إلى الإنسان ولؤمه وخبث طبعه لا تقل عن نظرة أخيه المرحوم

فوزى ، كأنهما استقيا فلسفتهما من معين واحد . . . فالإنسان عند المرحوم فوزى :

جاء والطهر والرواء رفيقا ه وثوب العفاف كل ثيابه
وتـــولىَّ يقـــوده الإثم والدا ء إلى القبر فى غضون شبابه
هو يحيا للشر ، فالشر يحيا أبداً حيث حَلَّ شؤم ركابه

والإنسان عند صاحبنا شفيق — أطال الله عمره — قد أفزع العرّافة فى وادى عبقر ، فقالت تخاطبه :

ويحك يا إنســـان ! ألْقِ عصـــا سحرك
ذَعرت فينا الجـــان فعُـــذن بالشـــيطان
من شرِّك . . .

وقد أفهمُ هذه النزعة التوجسية من الإنسان عند شاعر انعزالى ينطوى على نفسه فيأنس بالذئب إذا عوى ، ويكاد يطير من صوت الإنسان . . . أما عند شاعر كشفيق آتاه الله بسطة فى الشباب والمال والأعمال ، فلا أفهم لها سبباً إلا أن تكون « وقاية من العين » كما يحتاج الجمال إلى عيب يوقيه من العيون ، ويعيذه من شر الحاسدين !

* * *

وبقى من أبناء المعلوف « رياض » . . . وهو شاب ترتسم على ملامح وجهه النضر ابتسامة حلوة ، ولكن شعره مملوء بالبكاء والنواح ، وبسمات الموت ، ورمز الشقاء ، والدموع ، والوتر المقطوع . . وغير ذلك من عناوين أناشيده الحزينة الباكية فى ديوانه « الأوتار المتقطعة » . ولقد أسرف هذا الشاعر الناشىء الشاب فى سكب الدموع ، حتى لم يُبق فى عينيه الدامعتين فضلة من العبرات لغده المأمول الممدود . . . .

إن فى قيثارة « رياض معلوف » رقة وحلاوة فى النغمات ، وخاصة فى مثل هذه الأبيات

هـــذه الدنيا لنـــا لحبيبى ، لى أنا
فتمتـــع يا حبيبى فالمنى تلـــو المنى
أى شىء نبتغيـــه لم تنـــله يدنا ؟
طالما أنت بقربى كل شىء ههنا !

فحرام أن تتحول هذه الطاقة المذخورة من الرقة والحنان ، إلى أناشيد الألم ونغمات الأسى والأحزان .

على بساط الريح

لفوزى المعلوف

ملك فى الهواء

فى عباب الفضاء ، فوق غيومه ... بين نسره ... ونجمته
حيث بث الهوا بثغر نسيمه ... كل عطره ... ورقته

* * *

حلق الشاعر العصامى منذ الـ ... ـبدء لكن بروحه لا بجسمه
ضارباً فى الفضاء معْ ربة الشعـ ... ـر ومن حوله عرائس حلمه
ملك قبة السحاب له قصـ ... ـر ، وكل الأثير مسرح حكمه
ذو وشاح من الدجى فاح كافو ... ر دراريه فوق عنبر فحمـــه
هالة البـــدر كللته بتـــاج ... صيغ من نثر فضة حسن نظمه
والسوافى عرش له نفض الليـــ ... ـل على جانبيه رهبة رسمه
والثريا فى كفه صولجـــان ... ذهب الصبح ضم لؤلؤ نجمـــه
شاعر طائر بغـــير جناحيـ ... ـن بأمر الخيال يقضى وباسمه
ملكه ركنه الهواء ، ولكنّ ... إله الخـــلود قام بدعمـــه !
هجر الأرض طالباً راحة الرو ... ح بعيداً عن الوجود وظُلْمه
صد عنه طوعاً بملء رضـــاه ... بعد أن جاءه مقُوداً برغمـــه
هو منه ، وليس منه ، فما زا ... ل غريباً ما بين أبناء أمـــه

نفوس الشعراء

يا نفوساً فى بردة الشـــعراء ... رفعتهم ... على الهواء
أبعدتهم عن عالم الأحيـــاء ... قربتهم ... من السماء

* * *

لستِ من عالم التراب وإن كنـ ... ـت تجسدت بالتراب عليـــه
أنت من عالم بعيد عن الأر ... ض يفيض الجمال عن جانبيه
عالم أنت فوقـــه نسمات ... حملت نفحة الشـــعور إليه

هو ما زال طاهراً ونقيـــا لم يدنس إثم الورى بردتيـــه
وفتى الشعر فيه يستنزل الوحـ ـى بياناً يجثو الخلود لديه
مبقياً طى مصحف الأفق آثا راً توشّى بحســنها صفحتيه
ما شعاع الأصيل غير لهيب شع من قلبه على مقلتيه
وقتام الغمام غـــير دخان صعّدته الهموم من شفتيه
ما أنين الرياح غير زفـــير سرقته الرياح من رئتيـــه
ونواح الطيور غير أناشـــيـ ـد روتها الطيور عن أصغريه
ما بريق النجوم غير شظايا كأس حب تحطمت فى يديه
وندى الفجر غير در دموع شربتها الأزهار من محجريه

عبـد وحرة

بين روحى وبين جسمى الأسير كان بعد ذقت مُره
أنا فى الترب ، وهى فوق الأثير أنا عبد وهى حره

* * *

أنا عبد الحياة والموت ، أمشى مُكرها من مهودها لقبـــوره
عبد ما تحتوى الشرائع من جو ر يخط القوى كل ســطوره
بيراعٍ دمُ الضعيف له حبـ ـر ونوح المظلوم وقع صريره
أنا عبد القضاء ، عبد هناه وشقاه ، بشـــيرِه ونذيره
عبد عصر من التمـــدن نلهو ضـــلة عن لبابه بقشوره
عبد مالى ، أسعى إليه فأحظى بعد طول العنا بوطأة نيره
عبد إسمى ، أذيب نفسى وجسمى طمعاً فى خلوده وظهوره
عبد حبى ، جعلت قلبىَ مأوا ه فأضرمت أضلعى بســعيره
إن جسمى عبد لعقلى ، وعقلى عبد قلبى ، والقلب عبد شعوره
وشعورى عبد لحسى ، وحسى هو عبد الجمال يحيا بنـــوره
كل ما بى تحت العبودية العمـ ـياء فوق الوجود بين شروره
غير روحى ، فإنها حرة تمـ ـشى بروض الخلود بين زهوره

حلم يتحقق

يا طيور السماء فى الريح روحى ... بى جرياً على الجلد
وبجسمى طيرى إلى حيث روحى ... ثم تحيا بلا جسد !

* * *

هو حلم مازال فى فكرة الشا ... عر يطوى الزمان جيلا فجيلا
حققته الأيام فانظر تجدنى ... قاطعاً فى الأثير ميلا فميلا
ما جناحا خرافة حملانى ... بل جناحا حقيقة من هيولى !
فوق طيارة على صهوات الر ... يح قامت تذلل المستحيلا
هى طير من الجماد كأن ال ... جن فى صدرها تحث خيولا
فتظن الأزيز فيها عزيفا ... وتخال الدوى فيها صهيلا
حين هبت وثباً إلى الجو تختا ... ل وتعلو فيه قليلا قليلا
ثم مدت إلى النجوم جناحيـ ... ـن وجرت على السحاب ذيولا
دفعت موجة الرياح بكفيـ ... ـها فشقت إلى السماء سبيلا
خببا تارة ، وطوراً وئيدا ... صُعداً مرة وأخرى نزولا
درجت فى ممالك الطير تلقى الذ ... عر من حولها وتوثى الفضولا
فترى فى الطيور كراً وفرا ... وترى فى النجوم قالا وقيلا

بين الطيور

قال نسر لآخر : « أى طير ... هو هذا ومن رفاقه ؟
إن يكن قادماً إلينا لخير ... فلماذا علا زعاقه ؟

* * *

يا له طائراً بصورة شيطا ... ن تبث اللظى مراجلُ صدره !
يتخطى حدودنا دون إذن ... فكأنا وملكنا طوع أمره
إننى خائف فلم تر عينى ... طائراً قط فى ضخامة قطره ! »
فأجاب الثانى : « أعيذك منه ... فأنا عارف دخيلة سره
نحن لم نهجر البسيطة إلا ... هرباً منه واتقاء لشره !
ليس طيراً ، لكنه آدمى ... جاء يستعمر الأثير بأسره
ربما ضاق عن مطامعه الكو ... ن فحطت هنا مطامح فكره

قم بنا نجمع الطيور ونمشي للقاه ، فنتقى بعض غدره »
وإذا بالطيور حـولى وكلٌّ صامد لى بمخلبيه وظفره !
لا تخافى يا طير ما أنا إلا شاعر تطرب الطيور لشعره !
جاء يقضى بعض الدقائق فى مغ ناك ضيفاً على الهدوء وسحره
هارباً مثلما هربت من الإن سان والأرض ، من شقاها ومكره !

رمز الألم

انظريه يمشى وفى خطواته نزوات من الألم
عاثر الجد ، جد تحدو بذاته نزعات إلى العدم

* * *

هو فى ميعة الشباب ولكن ضم فى بردتيه شيخاً هزيلا
شارد الطرف ، تائه الفكر يحكى مدلجاً فى الظلام ضل السبيلا
ذو جبين ألقت عليه شجون الـ ـنفس ظلا من العبوس ظليلا
وقـوام كأن قاصمة الظهـ ـر أناخت عليه حملا ثقيلا
كتب البؤس فى غضون محيا ه سطوراً مقروءة وفصولا
فهو لا يعرف التبسم إلا عندما يستعيد حلماً جميـلا
ألف اليأس قلبه فهـو واليأ س يحاكى بثينة وجميـلا
وإذا اليأس صد عنه قليلا قام يبكى على نواه طويلا !
وإذا ما النسيم مر عليـه فعليل أتى يؤاسى عليـلا
تاه فى عالم الخيال فضاعت روحه وهى تطلب المستحيلا
حوّل الأرض عالمـا علويا مخرجاً من وحولها سلسبيلا
وأعاد الأثير طـوع يديه ناظماً من نجومه إكليلا . !

بين النجوم

وانبرت نجمة لأخرى تقول : « من يحوم من البعيد ؟
أهو نجم مذنّب أم دخيـل فى النجوم وما يريد ؟

* * *

انظريه يعـدو إلينا مغذّا مرعداً ، يقلق السبا بصياحه
ليت شعرى هل قاده نحو قاصى عالم النجم غيرُ حب افتتاحه» ؟

حدقت بى الأخرى ملياً، وقالت « لا تخافى يا أخت شر جناحه
هو تحت السديم يعجز عن أن يبلغ النجم فوق متن رياحه
هو مخلوق عالم اسمه الأر ض يغطى الشقاءُ كل بطاحه
عالم ما شعاره غير أن الـ ـحق للقوة التى فى سلاحه ..
فدعى ذلك الفضولى يعلو فقريباً يهوى عياً من كفاحه »
إيه يا نجمتى ألم تعرفينى شاعراً ينصت الدجى لنواحه؟
كم ليال فى الروض أحييتها أبـ ـكى وأرنو إليك بين أقاحه
ساكباً فى الفؤاد من رعشة النو ر بعينيك بلسماً لجراحه
وسواد الظلام فى قلمى حبـ ـر أوشّى به بياض صباحه
سامح الله فيك قلباً نسيًّا هو فى الكون مثل قلب ملاحه.!

أوراق متناثرة

أتناسيتِ يوم كانت ضلوعى من شجونى تتمزق
يوم كفكفت واكفا من دموعى فى عيونى يترقرق

* * *

فاذكرينى بين الكواكب وادعى لى ، عسى يهتدى إلىّ السلام
أى حلم سبكته ذهبيا لم تذبه بنارها الأيام ؟
ورجاء حبكته من خيوط النـ ـور لم ينسدل عليه ظلام ؟
أى عود حملته للتغنى لم تقطّع أوتاره الآلام
وغناء نظمته للتسلى لم يبدله بالأنين السقام ؟
أى كأس قربته من شفاهى لم تحُل حنظلا عليه المدام ؟
وفؤاد قطرت فيه فؤادى لم يضع عنده لعهدى ذمام ؟
أى طيف طوقته فى منامى لم يجلله دمع عينى السّجام
وهناء زرعته فى ضلوعى لم يكن منه للذبول طعام ؟
ليت شعرى والليل يعقبه الفجـ ـر متى يعقب البقاء ابتسام ؟
ضاع عمرى سعياً وراء رسوم خططتها فى الشاطىء الأقدام
وبناء على الرمال ، وهل يثـ ـبت ركن له الرمال دعام ؟

بين الأرواح

وتمشّى فى عـــالم الأرواح من قدومى أى همس
إذ تنشقن من حفيف جناحى فى السديم ريح إنس

* * *

فتألبن حول جسمى جمـــاعا ت ملأن الجو الفسيح دويا
وإذا بى أعى هنالك أشـــيا ء ولما حدقت لم أر شـــيا
فكأنى فى الحلم سكران صاحى تتوالى رؤى الخيال عليـــا
حام شىء هناك لم تره عيـ ـنى ولكن وعاه حسى جليا
طن حولى طنين أجنحة النحـ ـل وأهوى مرفرفاً فى يديا !
هو مثل الأنفاس لفحاً ونفحا وهو مثل الشعاع نشراً وطيـــا
إن فيه للمس برداً ، وللسمـ ـع حفيفاً ، وللتنشق ريـــا
لم يزل صوته إلى اليوم فى سمـ ـعى وقبلاته على شـــفتيا
غير أنى لما أردت له وصـــ ـفا غدا طيِّعُ البيان عصـــيا
هو حشد الأرواح فوق سماء قرَّبتها عروس شـــعرى إليا
فتنبهت من ذهـــولى وأصغيـ ـت لعلى أجلو هناك خفيـــا
ففهمت الذى توشوشـــه الأر واح عنى ، وما تفكر فيـــا !

حفنـة التراب

قال روح : « حذار يا أترابى واطردوه عن السماء
هو فى الأرض حفنة من ترابِ فـــأبوه طين وماء

* * *

هو من نفحة كفت لتجليـ ـه وتكفى بذاتهـــا لاحتجابه
وكما كان أصله من تراب الـ ـكون يغـــدو مصيره لترابه
ليته عـــاد للأديم كما جا ء نقياً فى نفسه وإهـــابه !
جاء والطهر والرواء رفيقا ه وثوب العفاف كل ثيابه
وتولّى يقوده الإثم والدا ءُ إلى القبر فى غضون شبابه
هو يحيا للشر فالشر يحيـــا أبداً حيث حل شؤم ركابه
وهو لا ينفع البســـيطة إلا حين يثوى فى القبر بين رحابه

حين يمتصه الأديم فيعطى ... منه بعض الغذا إلى أعشابه
ليت شعرى ! كل النبات الذى فى الـ ... ـكون من زهره إلى لبلابه
ليس إلا عصير أجسام من ما ... توا فزانوا الثرى بأجمل ما به
مثل طل فى حمأة بخرته الشـ ... ـمس فاسترجعته عين سحابه
فتراه فى الجو — ثانية — طلا ... نقياً ، يحيى الثرى بانسكابه »

ارتقاء ناقص

قال ما قاله ، وفرّ لفوره ... يتوقى تقربى
فانبرى آخر يقول بدوره ... قلت حقا بمذهبى !

* * *

ما دعوه الإنسان من أنسه لـ ... ـكن دعوه الإنسان من نسيانه
نسى الخير ثم أوغل فى الشر ... فداس الضمير فى عصيانه
ملأت قلبه أفاعى المعاصى ... فاسمعوها تفحّ فى خفقانه
حسد ناهش بقية ما فى ... نفسه من إبائه وحنانه
طمع يضرم السعير حواليـ ... ـه ويعمى عيونه بدخانه
وأنانية تحل له القتـ ... ـل لتحقيق غاية فى كيانه
مُنح النطق والذكا ميزة تفـ ... ـرقه فى الوجود عن حيوانه
فإذا بالأذى وليد حجاه ... وإذا بالشرور بنت لسانه
عاث فى أرضه فحالت جحيما ... فأتى الخلد عائثاً فى جنانه !
زج بالعلم فى السماء طيورا ... من جماد يديرها ببنانه
ما اعتلاها إلا لقتل البرايا ... ولهدم البلاد فى طيرانه
ليته لم يكن ذكياً وليت الـ ... ـكون لم يشهد ارتقا إنسانه » !

كفارة الشاعر

وتدانت روح هنالك منى ... رمقتنى بلا غضب
خِلْتُها أقبلت تدافع عنى ... صح ظنى ولا عجب

* * *

هى روحى قامت تخلصنى من ... غضب العالم الفخور بشمسه
طوقتنى بمعصميها ، وقالت ... أخواتى ! رفقاً به وببؤسه !

هـــو من عالم التراب ولكن شأنه غير شأن أبناء جنســـه
سكن الأرض مرغماً وهو لوخيـ ـر ما اختار غير ظلمة رمسه
إن بين السرير والنعش خطّوا ت دعوها الوجود، وهى بعكسه
شـــاعر ما حياته غير قطْرا ت جرت من يراعه فوق طرسه
يتلاشى كالشمع كى يعطى النـ ـور على هيكل الخلود وقدسه
غده مثل يومه تلعب الأقـ ـدار فيه ، ويومه مثل أمســـه
غسلت عينه بما ســـكبته من ندى الدمع كل أدران نفسه
والتظى قلبـــه فطهر بالآ لام ما دنسته شهْوات حســـه
جاء من أرضه يفتش عنى يائساً ، فاخشعوا احتراماً ليأسه
ودعوه معى . ففى قبـــلاتى شهد عطف ينسيه علقم كأسه »

على بســـاط الريح

ووقفنا معـــاً بقلب السماء نتمـــلى من القبـــل
ما أحب اللقاء بعـــد التنائى فهو أحلى من الأمل !

* * *

موقف لا يمثـــل الفكر أبهى منه فى نومه وفى يقظـــاته
إذ جلسنا على بساط من السحـ ـب يفوح الغرام من جنباته
تحت جو كأنه سِنة النـــو م ترف الأحلام فى طبقاته
والنسيم العليل فوق لظى أنـ ـفاسنا ساكب ندى نفثـــاته
وعذارى الأرواح تنشد من بعـ ـد بصوتٍ ، الله فى نبراته !
رافقته قيثارة الحب فانســـل أنين الأوتار فى نغماته
فانتقلنا إلى فضـــاء من البحـ ـر ران هاروتُ فيه بعض حماته
وملأنا من لفح قُبْلاتنا الجو فعادت بالنفح من قبـــلاته
ثم قمنا نجيل فى الكون أبصا رٌ أرتنا منه حقيقـــة ذاته
ننظر الناس من علٍ مثل مانظـ ـر نملا يمشى إلى غزواته
ونرى الطود فى السهول كما نبـ ـصر فوق التراب ظل حصاته
ونرى الموج فى الخضمِّ كما نلـ ـمح جواً والسحب فى مرآته. !

تلك بضع من الدقائق مرت ... فى خضم من الخلود
هى مثل الأحلام زارت وفرت ... أى حلم ترى يعود

* * *

وإذا بى أهوى إلى الأرض وحدى ... بعد حريتى أكابد رقا
تركتنى روحى وعادت لمأوا ... ها تشق الشعاع فى الجو شقا
فرأيت اليراع قربى يواسينى ، ويبكى لما لقيت وألقى !
يا يراعى ما زلت خير صديق ... لى — منذ امتزجت بى — وستبقى !
باسماً من سعادتى حين أهنا ... باكياً من تعاستى حين أشقى
كم حبيب سلا وعهدُك باق ... فهو أوفى من كل عهد وأبقى
أنت رغم الجحود خل وفى ... حول المستحيل غولا وعنقا ..
رب دمع كفكفته من عيونى ... سال حبراً فى الطرس يخفق خفقا
وعذاب نزعته من ضلوعى ... أجَّ بين السطور يحرق حرقا
وزفير حولته لصرير ... ملأ الخافقين غرباً وشرقاً
يا يراعى رافقت كل حياتى ... فارو عنى ما كان حقاً وصدقا
أنا لم ألق مثل صمتك صمتا ... حولته عرائس الشعر نطقا

لا المجد فى الأرض يرضينى

لا المجد فى الأرض يرضينى ولا الذهب ... إن لم يكن فى بلادى المجد والنشب
ولا السعادة بين الناس تقنعنى ... إن كان من حظ قومى الضيم والنصب
تالله ما البعد ينسينى مودتهم ... فالجسم مبتعد ، والقلب مقترب
الناس نحو الترقى مشيها خبب ... ونحن نحو التلاشى مشينا خبب
إيه بنى وطنى والناس قاطبة ... لرفع أوطانها قامت لها أهب
هبُّوا إلى المجد ولننشىء لنا وطناً ... قوامه العلم لا الخطّية القُضُب

لغز الوجود(*)

برغم الزهر ما وجدت لتبقى ... بل ليمضى بك الخريف
هذه حالنا : خُلقنا لنشقى ... ولتقضى بنا الحتوف

* * *

كيف جئنا الدنيا ومن أين جئنا ... وإلى أى عالم سوف نُفضى ؟
هل حيينا قبل الوجود وهل نبـ ... ـعث بعد الردى ؟ وفى أى أرض ؟
هو كُنْهُ الحياة ما زال سراً ... كل حكم فيه يؤول لنقض

* * *

كيف أجلو غدى؟ وأدرك أمسى ... وأنا حرت كيف يومى سيمضى
قد حيينا قبل الولادة لكن ... بجدود قضَوا كما سوف نقضى
وسنحيا بعد الردى ببنينا ... فى كيان نعطيه بعضاً لبعض
كان بذر النبات نبتا وأذوى ... فجنينا من بذره كل غض
إننى شاعر بروحىَ فوق الـ ... ـموت تمشى بكل حى وبغضى
إيه يا موت ! لن تمس خلودى ... فاقض ما شئت لست وحدك تقضى

(*) من ملحمته الشعرية « شعلة العذاب » وهى مما تركه مخطوطاً .

عبقر (*)

لشفيق المعلوف

عرافة عبقر

حوّم شيطانى على عبقـــر ... يؤذنهـــا بعوده وانحـــدر
وحط بى فيهـــا فألفيتُنى ... أمام شمطاء طواها الكبر
تلف ثعباناً على وســـطها ... يكمن فى نابيه كيد القدر
محامر الصندل من حولهـــا ... تألّب الجن عليهـــا زمر
ينبعث الدخان من شعرها ... ويلتظى فى مقلتيها الشرر
كأنما الله لدى بعثهـــا ... زودها بكل ما فى سقر...

* * *

فانتفضت والجن من حولها ... أجفلن وارفضضن بين الشجر
ودمدمت سخطاً ، وقد هالها ... أن يقلق الأرواح مرأى البشر
فيالصوتٍ خِلت لما دوى ... أن أديم الأرض تحتى اقشعر

حديث العرافـة

ويحك يا إنسان ألْقِ عصا سحرك ... ذعرتَ فينا الجـــان
فعُذن بالشـــيطان
من شرك
وددتُ يا غادر لو أننى ... أطلقت ثعبـــانى لا ينثنى
عنك فيرديك ولكننى
أخشى على الثعبـــان ... من غـــدرك
فى نابه السم كان ... وصار فى صدرك

(*) لما كانت ملحمة « عبقر » تبلغ من الطول حداً لا يسمح به هنا مقام محدود ، فأنا نجتزىء بالنشيد الثانى منها . وهى تبلغ اثنى عشر نشيداً .

فليس هذا الصل بالأفعوان بل أنت يا إنسان !

فارجع إلى وكرك !

جعلتَ نفسك أعلى فى الأرض من ربك
وخلت دربك سهلا فسِر على دربك
حسبتَ عيبك فضلا فعش على عيبك
يا صل ويحك ! هلا خرجت من ثوبك ؟!
يا آكل الأموات ورامق النيرات
يا لأعين الواهه لا تمض فى عجبك
فإنما الآلهه ليست على دربك
ما دام حب الذات ينخر فى قلبك ...

* * *

لأنت ويحك مهما بَدَّلت من ألوانك
أعمى بُليت بأعمى فلم تزَل فى مكانك
مهما صقلت حِجاك يظل مُحْلَوْلِكْ
فليس خلف ضحاك إلا دجى ليلك
تَحْكون يا شعراء آلهة فى السماء
أنتم لهن ندامى فتنشرون السلاما

ملء الثرى والفضاء !

فهات حتى نرى ما خبأت من هولك !
يا ابن السلام إذا ما دُسْنا على ذيلك . !

باقة من أشعاره

هل يا ترى نعود

هـل يا ترى نعود إليـك يا لبنـانْ
فتصـدق الوعـود ويسمح الزمـان
فنقطف العنقـود منـوعَ الألوان
هـل يا ترى نعود
إليـك يا لبنـان
ما أحسن السـهر في خـلوة الكروم
وبيننـا القمـر وقربنـا النجـوم
فهـذه الصـور تمـر كالغيـوم
هـل يا ترى نعود
إليـك يا لبنـان
زقـزقة العصفور ورعشـة الأغصان
حتى أرى الصخور نـديّة الألـوان
وعتمـة الدجـور تشـتفُّها العينـان
هـل يا ترى نعود
إليـك يا لبنـان
كم سحتُ في المعمور ما غـرني منظرْ
فبـلدي المهجـور وكوخي الأخضر
أحـلى من القصور والذهبِ الأصـفر
هـل يا ترى نعود
إليـك يا لبنـان

ما أحسن الذِّكرْ في مقلة الغريب
فهو إذا ذكر موطنه الحبيب
يرتعش النظر وعينه تغيب
هل يا ترى نعود
إليك يا لبنان

الله والشاعر

في كل آونة بعيني أشهد عظمات ملكك كلها وأعدد
وكفى بقولى الله حتى تنتشى نفسى وتشخص مقلتاى فأسجد
يا صاحب الملك الذى لا ينتهى أبداً وسدَّته الملا والسرمد
بيني وبينك ألفة ومودة أبداً تزيد ، ودائماً تتجدد ..
رحماك ! رغم تباعد بمقامنا إنى أحبك هل ترى أنا ملحد ؟
أتعد هاتيك النجوم ونورها أم خلقنا ، أم فضلك المتعدد ؟
يتخاصمون عليك فى صلواتهم واخجلتاه ! وأنت أنت الأوحد
فخذ الصلاة من الورود على الشذى ومن الطيور على المناقر تنشد
نوَّرت أعيننا بأنوار الهدى فإذا بهن مشاعل تتوقد
فبكل عين للورى لك شمعة منذورة ، وبكل صدر معبد !
فلِما خلقت الموت يا بارى الورى؟ ولما نموت ولا نعيش ونخلُد ؟
ألهمتنا الشيء الكثير . . ولم يزل هذا الغشاء ، ترى متى يتبدد ؟
إن كان يفنينا الممات فمعشر الشـ عراء من كل البرية أخلد
فى فقرهم كل الغِنىَ وثرائه إن الغنىَّ لما له مستعبد
لوحاتُ « رافاييل » لا مال يوا زيها ، ولا أقدارهن تحدد
كم قطعة تغنى النفوس ثقافة وقصيدة بكلامها يُستشهد
فالشعر فى إنجيلنا وكتابنا والشاعران هما المسيح وأحمد ..!

أحبك

أحبـــكِ للعبادة آه منـــك ... وقلبك بين تأكيد وشكِّ
إذا ملكت يدى الدنيا ســـأبقى ... فقيراً قبلمـــا تُضحين ملكى..
فأضحك دون ماسبب لضِحك ... وأحزن دون ما سبب وأبكى
ولا أدرى لماذا سال دمعى ... ولا أدرى لماذا هاج ضحكى
كأنَّ الهدب مشدود بهدب ... وقلبك شد من قلبى بسلك
فُضحنا..كيف كل الناس تدرى ... سرائرنا ، ولَمْ تحكى وأحك ؟
وكل قصيدة تُحدى وتُشدى ... على فم منشد عنى وعنك..

غن يا عصفور

غن يا عصفور غن ... لىَ ألحـــان التمنى
وانتفض فى الماء نفضا ... ت الوريقات بغصن
سلمت ريشة من لوَّ ... ن ريشات بفن
من خيوط الشمس والآ ... فاق والروض الأغنِّ
هذه روحىَ طارت ... فى فضا لحنك منى
فأرى شدوك شدوى ... وأرى لحنك لحنى..
ليت قلبى فى جناحيـ ... ـك وفى المنقار سنى !
غن يا عصفور غن ... ثم طِرْ عنك وعنى !

تاج الحسن

نم ! نم ! وسادك صدرى ... وطوع أمرك أمرى !
واحـــلم فحلمك نور ... وفضـــة فوق تـــبر
شـــعورك الشُّقر تـــاج ... بهـــالة الشمس يُزرى
وفى العيـــون سمـــاء ... زرقاء توحى وتغرى..
أهـــوَاك مـــلء عيونى ... ومبســـمى المفـــترِّ
مهما وصفتك يعيـــا ... عن وصف حسنك شعرى
أأنت موجـــة نـــور ... أم أنت موجـــة عطر ؟

إلى موسيقى

حضنتها قيثارةً كأن فيها أضلعك
أودعتَ فيها كل ما في الروح ربى أودعك
داعبتها مستلهما فأسمعتنا بدعك..
وارتعشت أوتارها مقبلات أصبعك
ألحانها درب المنى قلبي مشى فيه معك
من وتر لوتر ضيّعني وضيعك ..

الهزار المنتحر

كنت طلق الجناح غير مقيد يا هزاري تختال بين الغصون
أسرتك الأقفاص كم تتنهد في جواري بحرقة وشجون
أين تلك الأغصان من قضبانك والجداول وقهقهات الأزاهر
أين تلك الآيات من ألحانك في الحمائل وحسن صوتك ساحر

* * *

كنتَ في الدوح آمناً بصداحك متضاحك من الورى متشائم
غيّر اللحن بعد قص جناحك بنواحك فصرتَ بالهم واجم
بجناح جربت فك سراحك فتكسر بكرّة وبفرّة
خضب الريش من دماء جراحك وتحير فبت للناس عبرة

* * *

مت أسرا فكفنتك ورودك والزنابق بموكب يتهادى
ورثتك الأطيار وهي جنودك والشقائق مقطبات حدادا
إنما الذنب للجمال بصوتك في إسارك يا فتنة للنواظر
سبب الحسن شتمه عند موتك وانتحارك فمت ميتة شاعر!

وحد الله

وحّد الله ! فالمؤذن وحّد وبذكر النبي في العيد أنشد
يا رسول الأنام! أنت وعيسى خير من يصطفي ويرجى ويقصد
إيه بغداد والمآذن تشدو ودمشق فيها الصلاة تردد

وفلسطين والعـراق ومصر شرقنا كله بعيـدك عيّد
أينما سرت ركّع لصـلاة ودعاء ، كأنما الشرق مسجد !
عيدك اليوم غبطة وابتهاج لجميع الأعراب والله يشهد !
إيه قرآنك الكريم كتـاب رائع كله ، ودر منضـد
عـبر كله وقـول كريم كلمـا طال عمره يتجـدد
وكفى العُرْب فخرهم بانتساب لنبي هـو النبي محمـد !

شلالات نياجرا

الله كم كتبت يداك قصـيدة فى الكون أنت نظامها والواحى
دفق المياه على الصخور أخاله ا أوتار من قيثـارة الأرواح
تشدو فتنتفض النجوم لشدوها وتفر بين المـوج والأدواح
تلك القصور من الزجاج ملاعب للحور فى الإمسـاء والإصـباح
تلهو وترقص طيهـا برشـاقة بقوامهـا وبساقهـا الممراح !
وأرى الضباب موشحاً أجسامها بغـلالة من نسجه اللمـاح
(كهف الضباب) مراصد للجن وا غيلان والأمـواج والأريـاح
حور وَوُلْدٌ ، جنـة وجهنم فى الليـل بالأضواء والأشباح
من أخضر ، لمعصفر ، ومعندم فاعجب للعب اللون فى الألواح
حتى إذا طلع الصباح تشتتت ألوانهـا والنور كان الماحى
كوثيمة ندمانهـا ذهبـوا وما تركوا بقايا من كئوس الراح
والحور تحـلم فى الغمام وجوقة تعبت حناجرها من التصداح !
فكأنهـا باب السماء وكلنـا متسابقون إليـه ملء السـاح
باب يشير إلى النفوس : تقدمى فتجيبه : من أين لى مفتاحى ؟!

شكر الله الجر

على الرغم من أن قرية فتوح كسروان بلبنان هى الأرض التى استقبل الوليد « شكر الله الجر » أول نسمات الحياة فيها فإن « لوادى يحشوش » — مسقط رأس الصحافى الكبير المرحوم « داود بركات » — تذكارات أدبية وروحية لا يمحوها الزمان . . . فهناك فى هذا الوادى الجميل ، حيث مراشف الشفق الدامى تلتظى نوراً وناراً . .

والنهر يفرش حولنا زَبداً كمنتثر النضار
والشمس عند مدارج الـ أفق البعيد بها اصفرار
والبدر ممسوح الجبيـ ن على محياه اغبرار

هناك كان يجلس شيخ الصحافة العربية داود بركات ، وحوله التلامذة والرفاق كأنهم تلامذة صغار ، وهو يرسل الكلام جامعاً بين الدعابة والوقار . . . وفى هذه الحلقة الأدبية الغالية كان الفتى شكر الله . . .

أما قرية جبيل اللبنانية — حيث نهل الفتى شكر الله معارفه الابتدائية فى مدرسة الإخوة المريميين — فهى على صغرها بلد الذخائر والودائع ، وللعذارى فيها بعيونهن وبراقعهن السود — منذ أكثر من نصف قرن — أثر ظل باقياً فى نفس الشاعر وهو فى مهجره البعيد ، وقد أفصح عنه وهو ينشد قصيدة فى تكريم الشاعر القروى . . . فهو فى البرازيل لم ينس الهوى فى لبنان :

وليالىا معسولة الذ كرى معطرة المضاجع
والشاطىء الوردى بيـ ن جوانح الأسحار هاجع
والموج دغدغ فى الضفا ف ملائكاً جفت المخادع
والفجر كالزَّبد المفتـ ح عن زنابقه النواصع

ولقد ظل وادى يحشوش يداعب خيال الشاعر فى مغتربه ، فتراه يحن إليه ويذكره فى ساعات اليأس قائلا :

سلام على الوادى الذى قد أظلنى زمان الصبا أيام لم أعرف الكَرْبا

وذهب الصبا بحلاوته ونضارته ، وترك الشاعر وطنه سنة ١٩١٩ مهاجراً إلى البرازيل ملتمساً الرزق عن طريق التجارة ، ولكن الصحافة أغوته ، ولعله تأثر فى ذلك بقريبه داود بركات ، فأنشأ مجلة « الأندلس الجديدة » ، وبعدها أسس « الزنابق » . وظلت أمواج الحياة تراوح به وتغادى بين الصحافة والتجارة ، وهما عملان لم يمنعاه عن التغنى على قيثارة الشعر ، فأخرج ديوان « الروافد » سنة ١٩٣٤ ، وديوان « زنابق الفجر » سنة ١٩٤٥ . وقد غلب شعر الوطنية والحنين إلى الوطن عند الشاعر شكر الله الجر إلى حد أن ديوانه «الروافد» كاد يكون كله شعراً وطنياً محترق الأنفاس . وعلى الرغم من إيمانه بأن شعر الوطنية يزول بزوال المناسبة التى قيل فيها ، وبأن شعر حافظ إبراهيم الوطنى لن يبقى بقاء سائر أشعاره ، فإنه جمع فى « الروافد » قصائده الوطنية التى لا تخلو من صور فنية ، ولوحات رائعة لطبيعة الوطن وأرضه وسمائه .

ولا يخلو شعر شكر الله الجر من المناسبات العامة والخاصة ، فهو تارة يشترك فى تكريم شاعر بقصيدة ، وطوراً يهنىء أحد رجال السلك السياسى المصرى ويكرمه مع الجالية العربية فى البرازيل . . . إلا أن الرثاء يكثر فى ديوانه . ولعل حافظ إبراهيم لم ينفرد بكثرة المراثى حين قال :

إذا تصفحت ديوانى لتقرأنى وجدت شعر المراثى نصف ديوانى

فإن ديوان شكر الله تكثر فيه مرثياته للملك حسين والشاعر فوزى المعلوف ، والأديب طانيوس عبده ، وسعد زغلول ، وجبران خليل جبران ، وداود بركات رئيس تحرير الأهرام وغيرهم .

ولقد أحسن الشاعر وصف طبيعة لبنان حين ذكره مهاجراً ، كما أحسن وصف الطبيعة فى أمريكا الجنوبية ، فهو وصف يدل على مزج الحس بالشعور ، وتحويل المشاهد إلى انفعالات وانطباعات حية ، كما فعل فى قصيدته « شلال تيجوكا » التى لم نجدها فى ديوانه ، ولكنا نقلناها عن مجلة المقتطف « جزء أبريل سنة ١٩٣٢ » .

والشاعر من دعاة التجديد ، لا فى الأدب وحده ، ولكن فى حياة الأمة

الاجتماعية، وقد كان له رأى المؤيِّد فى حركة التجديد التى قام بها « أمان الله » فى أفغانستان، إلا أن الشاعر اللبنانى البليغ « أمين ناصر الدين » اتخذ موقف المعارض من هذه الحركة ، وقامت بين الشاعرين مناظرة شعرية حادة فى صحيفتى « الصفاء » و « البريد » اللبنانيتين فى أغسطس سنة ١٩٢٨ .

وعلى الرغم من روح التجديد عند الشاعر « الحر » فإنك تلمح على شعره آثار المحاكاة ، وخاصة قصيدته « المنطاد زبلن فى سماء ريودى جانيرو » فقد تأثر فيها بقصيدة شوقى فى الطيارين الفرنسيين « فدرين » و « بونيه » التى يقول فيها :

يا فرنسا نلت أسباب السماء وتملكت مقاليد الجواء

فقد حاكاه فيها حتى فى الوزن والقافية ! وفيها يقول شكر الله الحر :

أرأيت الحوت فى عرض الفضاء هاوياً من بين أبراج السماء ؟

وحُوت شكر الله الحر هنا هو « حوت » الشاعر شوقى الذى يقول :

أو كحوت يرتمى الموج به سابح بين ظهور وخفاء

باقة من أشعاره

الحديقة

غداً ستعرّى بنانُ الخريف ... أفانين أشجارك الزاهرة
وتنثر كف الشتاء هباء ... بقايا وريقاتك الناضرة
وتحجب عنك ثغور النجوم ... غمائم فى أفقها سائرة
ويغشاك عند الصباح الضباب

غداً ستلملم عنك الطيور ... الجناح إلى أربُع قاصية
فلا ما يزقزق فوق الغصون ... ولا ما يرف على الساقية
بلى قد يمر عليك الغراب ... وينعب فى الدوحة العارية
وبعض النعيب نذير الخراب !

سيجفو ظلالك أهلُ الهوى ... وتحتلك الوحشة المرعبة
فلا تسمعين خفوق القلوب ... ولا رنة القبل المطربة !
ولا تلمحين بنان الحسان ... تداعب أثمارك الطيبة !
فهل تحسبين لهذا حساب ؟

لئن يحزَننّك أن الخريف ... غداً سيبدل من نضرتك
فسوف يعيد إليك الربيع ... عريسُ الزمان سنا بهجتك
فيرقص طيرك فوق الغصون ... ويستضحك النور فى وجنتك
ويجرى بعودك ماء الشباب

ولكنَّ قلبى كما تعهدين ... تكر فصول ، وتأتى فصول
وكل الفصول لديه خريف ... وكل الليالى شتاء طويل
فماذا أرجّى وقد جف فيه ... مَعين الشباب ، وعاث الذبول
بزهر الأمانى فأمسى تراب ؟

شلال تيجوكا (*)

أشـــلال تيجوكا ماذا النواح أتبكى نظيرى نعيما عـــبر
ترى أنت عين الزمان تثر الدمـــــوع ؟ أمَ انك صوت القدر ؟
تفيض بما لا تفيض العيون وتشدو بما ليس يشدو البشر
فهلا مللت الغنـــاء الشجى وهلا اجتويت البكا والوجيب
فقد كدت تُبكى عليك الصدى لهذا الغناء وهـــذا النحيب
وفتتت تحتك صم الحجر !
غسلتُ بمائك عينى وعدت فأبصرتُ ما الناس لا تبصر
فبالله قـــل لى إلام تظـــل كذلك تجتاحك الأعصر ؟
وأنت تكر كرور الزمـــان فلا تســـتقر ولا تفـــتر
وهذا الوجود كما كان قبـــلُ شعوب تجىء وأخرى تروح
ودنيـــا تضج بسكانهـــــا فهذا يغنى ، وهـــذا ينوح
وذلك مستسلم للقـــدر
فديتـــك قيثـــارةً للطبيعـــ ـة من مقلتيها نسلت الوتر
فطهِّر بدمعـــك وجه الدجى وشنِّف بلحنك أذْنَ القمـــر
وعسِّل بكأســـك ثغر الورود فترقص ســـكرانة فى السّحر
وخل فـــؤادى يقضى ظما لدى بَرد ســـلسالك الدافق
فلستَ تروِّى قلوب العطاش إلى نهـــلات الهوى الصادق
ولو سال من جفنك الكوثرُ !
أشلال هـــذى الربى والوهاد يخمِّش فيها الظلام الصباح
أتذكر من أمســـنا ليـــلة تحلت سماها بزهر الأقاح ؟
و « ليلى » تغنى إلى جانبى غناء كترجيع ذات الجنـــاح
فأصغى النسيم إلى شـــدوها وأنصت فى عشـــه البلبلُ
فكانت كعصفورة فى الربيع تضن بعصفورها يرحـــلُ
وقـــد يفجع المرء ما يحذر

(*) هو شلال كبير بالبرازيل لا يبعد كثيراً عن عاصمتها سان باولو .

وشجوك ! سيان أضحى لد ... ىَّ احترام العهود وحفظ الوداد
وإما استحال النهـــار ظلاما ... وإما استحالت ذُكاء رماد
وهـــذا الوجود إذا ما أتى ... عليه بشرخ الشباب النفـــادْ
فما زال من قد تعشقت فيهـــا ... جمال الحياة ، احتواها الفناء
فلستُ أبالى ابتســـام الربيع ... وحزن الخريف ، ودمع الشتاء
وغصن شـــبابىَ إذ يُقصف

أحقاً أتتـــك بجنح الدجى ... من الغـــاب جنية ســـاحرة
وكنتَ قـــديماً سحابة صيف ... تمـــر بغاباتهـــا عابرة ؟
لقـــد حولتك إلى جـــدول ... لكى تســـتحم بك الماكرة !
فصرتَ وساماً بصدر الربيع ... وصرتَ حُليّاً بجيد الحقول
تردد منـــذ قديم الدهـــور ... صدى نغماتك كل الفصول
كأنك من صدرها المعزف

تفجّر ! ولوِّن خدود الرياض ... فيبتهج الـــورد فى كمـــه
فإنك إما جفـــاه الغمام ال ... حبيب الوفى على زعمـــه
تُبرِّد حَـــراً ، وتنعش نفسا ... وتنبت زهراً ، وتنضج غرسا
فتدخل قسراً على القلب حسا
وإن كان أولع فيه الجفاف

* * *

يرفرف حولك سرب الحسان ... كسرب الحَمام على ضفتيك
وكم تتلاقى أمانى الشـــباب ... وأحلامهن على جانبيـــك
فيخفق صدر ... ويحمر خد
ويرشف ثغر ... ويهصر قَـــدُّ
ويُهتك ســـتر ... وينثر ورد
فتبكى لهـــذا عيون العفاف !!

على متون الأمواج(*)

ركبنا من اليمِّ طوداً يقل الـ ... عبـاد ، فكلٌّ إلى رغبته
فياله من مشهد للـوداع ... يذيب الحديد على قسوته
فأم تضم إلى قلبهـا ... وحيداً يسـير لأمنيتـه
وأخ يكفكف دمع اخته ... وزوج يرفه عن زوجته
وعاشـقة أومأت بالبنان ... إلى عاشق غص فى عَبرته
جرى كلهم فى خضمِّ الحياة ... إلى درر غصن فى لجته
يجمِّعهم مطلب فى الثراء ... ويذريهم الكون فى فسحته..
فتجرى الحظوظ بأقدارهم ... ويجرى الزمان على فطرته
فتلقاهمُ بعـد طول الكفاح ... وكلٌّ يكد إلى بغيتـه
تَوقّل بعضٌ مراقى الفـلاح ... وبعضٌ تورط فى كبوته

* * *

فيالك من مطمع بالثراء ... يطوِّح بالنفس فى غمرته
ويالك من ضارب فى العباب ... تحـوم الأمانى على دفته
وياله معصوصف فى الرياح ... يقهقه كالرعـد فى شدته
كأن أواذيّه اللاعبـات ... صلال تنضنض فى فجوته
ويا له من أملس ناعم ... يحاك الحرير على وجنته
تخال المراكب فى عرضه ... سطوراً من الشعر فى صفحته
تجعِّده النسم السـاريات ... ويصقله الريح فى هبته !
فيبـدو لعينك ديبـاجةً ... يفوِّفها الموج فى رغـوته
وينشر من فوقهـا بردة ... شبيه الملاءة من زبدته
إذا الزُّهر شقت قميص الدجى ... لمست الأقاح على زرقته
تعوم وتغرق بيض الزوارق ... مثل الأوز على موجته ..!
فياليت شعرى أيحظى المهاجر ... فيما يرجِّيه من هجرته ؟

(*) القصيدة كاملة بديوان « الروافد » للشاعر ص ٥٥ ، طبع البرازيل .

ويا ليت شعرى أيلقى المسافر يوماً سبيلا إلى أوبتـــه ؟
أمَ ان الليـــالىَ تزرى به فتذرى الفتى الحر فى تربته ؟
فلا أمٌ تبكى على قـــبره ولا أخت تسقى ثرى حفرته . . !

الأحاجى

ضحك الصاحى من السكران لما عربدا
فعزا السكران للصاحى القلى والحسدا
أترى الصاحى أم السكران قد ضل الهدى؟

* * *

ضَحِكَ المـــالُ من الباخل لمـــا بخلا
وشكا المـــالُ من الباذل لمـــا بذلا
ليت شعرى من من الاثنين كان الأعقلا؟

* * *

إن تجد راهبـــة الدير تصلى وتصومْ
فانظر المومس فى الفحشاء تهوى وتعوم
من ترى منهن عند الله ــ ياصاح ــ العظيم

* * *

ليس فى الضدين إيمان لنفس أو مروق
إن فى الأرواح سراً يجعل الروح طليق
كل من جارى ميول النفس لم يَعْدُ الطريق . . .

قشور ولباب

أترى الأشجار تدرى أنها كانت بذورا ؟
أم ترى الأثمار تدرى أنها كانت زهورا ؟
ليس عند الأرض علم أنها كانت ضباب
لا ولا الإبريز يدرى أنه كان تراب
كل ما خلناه قشرا صار فى الأرض لباب
أترى الأرواح تمشى جوهراً خلف التراب
إن أمر البعث سر كائن خلف الوجود
ووجود المرء غصن جذعه تحت اللحود

جُورج صَوايَا

١٨٨٢

يذكرنا الدكتور جورج صوايا فى عالم الشعر بالدكتورين أحمد زكى أبى شادى، وإبراهيم ناجى رحمه الله. فكل من هؤلاء طبيب يعالج علل الأجسام قبل معالجة النفوس بروائع الحكمة التى تتنزل عليهم، والإلهام الذى يوحى إليهم.. وليس عجيباً أن يلتقى الطب والشعر فى إنسان، فقد كان ابن سينا — فوق فلسفته — طبيباً وشاعراً.

والدكتور صوايا قد جاوز السبعين بعامين، فهو من مواليد سنة ١٨٧٢ بقرية كفر حاتا من أعمال لبنان، تعلم الطب فى جامعة بيروت الأمريكية، ثم سافر إلى نيويورك، ومنها انحدر جنوباً إلى الأرجنتين حيث أقام مع أسرته فى عاصمتها بونس إيرس. ولم يستطع مزاولة مهنة الطب فى المهجر الجنوبى لأن قوانين البلاد لا تسمح بذلك إلا لمن حصلوا على إجازة من جامعاتها هى، فدأب على الدرس والتحصيل من جديد، حتى ظفر بشهادة فى الطب من إحدى جامعات الأرجنتين. وفى ديسمبر سنة ١٩٢٩ أنشأ الدكتور صوايا جريدة « الإصلاح » فى مدينة بونس إيرس، وكانت تصدر يومية، ثم حولها بعد ذلك إلى مجلة أسبوعية، ولم تكن « الإصلاح » أولى جرائده التى أنشأها فى المهجر، ففى سنة ١٩١٩ أنشأ جريدة « يقظة العرب » اليومية، وكان قبل ذلك يعالج الكتابة الأدبية فى جريدة: « القرن العشرون » التى أنشأها المرحوم لبيب الرياشى فى عاصمة الأرجنتين سنة ١٩١١.

والدكتور صوايا يجيد — غير اللغة العربية — اللغات الإنجليزية والأسبانية والفرنسية إجادة تمكنه من الكتابة بها والخطابة فيها كأحد أبنائها. إلا أنه فى اللغة العربية متسامح فى التعبير ومراعاة الأصول والقواعد النحوية واللغوية! فهو يعنى

بالفكرة تدور فى رأسه ، أو العاطفة تجيش فى صدره ، فيعبر عنها بأى طريق ، ولو كان فى ذلك مجافاة للأصول المقررة فى علم اللغة والعروض . . . ومن هنا كان ديوانه « همس الشاعر » (نظماً لقصائد إبان ثورات نفسية ، يحاك من دقائقها كلام مرسل أو موزون . . . قد يصح أن يسمى شعراً) (١)

أنا هامس فى أذْن نفسى لا يصغين أحـد لهمسى !
وإلى الجمـاد أتيت أشـ ـكو ، لا إلى الأحياء بؤسى

ولقد هاجر المترجم له من بيروت إلى نيويورك سنة ١٩٠٩ ، وما كادت قدماه تطآن أرض المهجر حتى أخذ الحنين إلى الوطن يعتمل فى نفسه ، فنظم قصيدة يقول فيها :

من مبلغ بيروت شوق مفارق كلف ، نأى عنها مطيعاً كارها
أنى أحن إلى لقـاها مثلما أصبو إلى الشيخ المعمم جارها ؟!

وظل يرسل قصائده فى الحنين إلى لبنان ، كقصيدة « شكوى العليل النائى » . ولم يخل ديوانه من شعر المناسبات والحفلات والتهنئات والمداعبات والوداع . . . أما وطنياته ومراثيه ففيها دلالة على الوفاء لأرض الآباء ، ومودات الروح مع الأصدقاء . . .

---

(١) مقدمة ديوان « همس الشاعر » للمترجم له ..

باقة من أشعاره

حديث ساهد

غادة تخطر فى ضـــوء القمر ترتدى ثوباً من الحسن قشيب
رقد الناس وقد لاح السحر وهى تشكو للدجى ظلم الحبيب

* * *

طارحت بالحب زهر الرابية وأباحت بجـواها للغـدير
شاركتهـا بالأنين الســاقية وحفيف الروض عطفاً بالزفير
فمضت للبـدر ترنو شاكية يا أمير الليل ! أنصف يا أمير !

* * *

حين هز الريح أغصان الشجر هزها الوجد كما الغصن الرطيب
فشكت لليـل أطوار البشر وهوى أحرمها العيش الخصيب
رفعت مقلتهـا نحو السما فرأت أهل السما عنهـا نيام
نادت الدهـر ولكن وجمـا وسقاها الدهر من بلواه جام
ثم قالت وعلى الخد همى الد مع : ربى إيه ما هذا النظام ؟
مقلة فى الحب يضنيها السهر وعيون عندها النوم يطيب
مهجة للرغـد والأنس مقر وقلوب داؤها أعيا الطبيب..؟

نجوى الكتاب

يا رفيق الشـباب يا محيَ الليـ ـل بقربى إن مل منى الجليس
وأنيس الغريب قد أوحشـته ساعة غاب عنه فيها الأنيس
يا صديقاً يبش فى ساعة اليسـ ـر وفى العسر. والصديق عبوس
ورشيق الحديث يفعل فى نفـ ـسى ما ليس تفعل الخندريس
يا إناء الرشـاد بين البرايا يا غذاء تقتات منه النفوس
بين لوحيك قد قضينا ربيع الـ ـعمر وهو العهد الجميل النفيس

وسجدنا لديك فى خلوة النف س نناجيك أيها القدُّوس
ينصت الليل معجباً بجوانا وينام الورى ونحن جلوس ..
أنت مرآة ذا الزمان رأينا فيك ما فيه . لم يمت رعمسيس
خالد فيك أفلاطون وهوجو والمعرى حى وجالينوس
يستوى الناس فى مقامك سيا ن لديك الرئيس والمرءوس

جسوا السطور

على جناح الأثيرِ يانفس رحماك طيرى !
وامضى لأقصى بلاد وراء هذى البحور
فاستطلعى حى قوم همُ مَحَجُّ شعورى
ورفرفى فى حماهم وارميهم بالزهور
بثى إليهم حنينى قلّى إليهم زفيرى
فوخْز شوقى إليهم مُضن كوخز الضمير
وفى الحشا حر وجد كوهج نار السعير
كم مر يوم بيوم وأشهر بشهور . .
ولا نرى غير وعد بالوصل بعد النفور
ولم يكن مطل حب يوماً بخطب يسير
مع المداد فؤادى يسيل ضمن السطور
جسُّوا السطور تحسوا نبضاً كنبض الصدور
ينساب فيها ولائى اذ سياب ماء الغدير !

يا طفل

يا زائر الدنيا ضللت مزارا أخطأت فى خطواتك السيارا
يا ليت للمريخ سرت فربما قد كنت فى مأواك آمن جارا
أو طرت فى بطن الفضا فيه العوا لم كالحصا تلقى بها لك دارا
فلربما ألفيت أرضاً لم تسِل فيها دماء الأبريا أنهارا ...
يا طفل صفحك ! إن عذرك واضح ما جئت أنت لأرضنا مختارا !

لا . .لست أنت مخيراً فمسيرا قد جئت تجهل فى الورى الأسرارا
ذرنى إذن أنبيك عما أنت لا تدرى ، فخذ نصحاً ، وخذ إنذارا
عقدان مرا بى وطحت بثالث فلدىَّ تلقى الخُبر والأخبارا
يا طفل ! إن الكون مفطور على شر ، فحاذر فى الورى الأشرارا
فإذا دعيت إلى السلام فقل إلى حرب دعوا ... فاستصحب البتارا !
وإذا ادَّعوا صدقاً فقل هذا رياً وإذا ادَّعوا دِينا فقل كفارا . . .

لا تله

يا نائماً فوق السرير تصبيه أحلام الشباب
قم ذلل الصعب العسير فالعمر يمضى كالسحاب

اسمعوا

ساعة الدهر تقرعُ أيها الصحب فاسمعوا
كل يوم أضعتمُ راحل ليس يرجع

أين المصير

يا حامل الدنيا على ظهره محدودبا ، كلاًّ ، يجد المسير
غادرت دنياك وأثقالها لو لحظة فكرت أين المصير ؟

تأملات أمام الموت

أيها الواجف من طيف الممات ينشد الغبطة فى طول البقاء
ليس لولا الموت فى الكون حياة فتوجه صامتاً نحو السكون
إن فى طول البقا طول الشقاء فانبذ العيش ورحِّب بالمنون

* * *

أيها الهاجع فى الوادى الظليل خاطراً كالحلم فى فكر الدهور
بُدِّد الحلم ، انقضى الليل الطويل فمتى اليقظة من هذا الهجوع ؟
يذبل المرء ويذوى كالزهور هل ترى ينعشه ظل الدموع ؟

* * *

أيهـــا الراكب متن الغســـقِ صامتاً يخطب بين الصامتين
هل تبينت خطوط الفلق ؟ هل بُعيد الليل قد شمت الصباح؟
هل ترى صحَّت ظنون المؤمنين أم جحود المرء أحرى والنواح ؟

* * *

أيهـــا السالك درب الانحلال عـــائداً للأرض ماء وتراب
قف وحدث واكف ذا الخلق الجدال وأمط ستر الخرافات القدم
قل لهم : هل من ثواب أو عقاب أم ترى نمضى جميعاً للعدم ؟ ؟

* * *

أيهـــا البـــالى ببطن المقبرة ما محت كف البلى الذكر الجميل
خالد فى ذا الورى ذو المأثرة مات حيا صاحب الذكر الذميم
فى صنيع المرء للخلد سبيل
وله منـــه نعيم وجحيم . . .

إلياس قنصل : وزكى قنصل

١٩١٢ – ١٩١٧

إذا كانت روافد الشعر العربى قد التقت فى ثلاثة أشقاء من أبناء المعلوف كما رأينا سابقاً ، فإنها هنا تلتقى فى شقيقين من أسرة « قنصل » السورية . وهما إلياس قنصل ، وزكى قنصل .

والأخوان من قرية « يبرود » السورية التى أمدت المهجر الجنوبى فى الأرجنتين بجالية كثيرة النشاط ، موفورة الثراء ، مرموقة المكان عند الرئيس « بيرون » رئيس الجمهورية ، وهى لا تضن بجهد فى سبيل الدعوة العربية ، وقد تولت أخيراً طبع كتاب الدكتور « بيرالتا » الذى يتحدث فيه عن العرب وآثارهم ونشاطهم منذ هجرتهم إلى الأرجنتين .

ولما تولى الشاعر إلياس قنصل إخراج ديوانه « على مذبح الوطنية » سنة ١٩٣١ مطبوعاً فى بونس إيرس ، كتب مقدمته الأستاذ «موسى يوسف عزيزة» صاحب « الجريدة السورية اللبنانية » التى أسسها بالأرجنتين سنة ١٩٢٩ ، وتنبأ له بأنه سيكون ذا شأن عظيم فى الأدب العربى . . . وما كذبت نبوءته ، فإن إلياس قنصل اليوم من الشعراء ذوى المكانة فى المهجر الجنوبى . ولقد أظهرت سنة ١٩٣١ أيضاً ديواناً ثانياً للشاعر إلياس قنصل بعنوان « العبرات الملتهبة » ، وهو ألحان من الشعر العاطفى أرسلها فى فورة العاطفة شاب فى ريعان الشباب « ألقت به الطبيعة المضطربة على شاطىء بحر الحياة ، فأخذت تتلاعب الأمواج بجسمه النحيف ، وتختلج فى نفسه الطموحة زوابع اللانهاية » .

بمثل هذه العبارات قدم الأستاذ موسى شاعرنا الشاب فى ذلك الزمان ، وقد تكون للسن الباكرة مؤثراتها فى تلك العبارة الشعرية المتحررة فى بدايتها من قيود اللغة والنحو ورصانة الأسلوب ووزنه ، ولكن يغفر للشاعر تلك الروح الشعرية الرقيقة السارية فى بواكير شعره ، وتلك الأنغام من الألم الذى قد يجد فيه المحزون سلواناً على هموم الزمان !

ويظهر أن الألم والحزن الممض وسرعة الانفعال بأحداث الحياة هى ميراث هذه الأسرة الحساسة . . . فقد قضى أمر الله الذى لامرد له أن يكون للشاعر زكى قنصل – شقيق إلياس – طفلة اسمها « سعاد » وأن يختارها الله لجواره وهى لا تزال فى لفائف مهدها ، فأقام أبوها زماناً يذيب قلبه دموعاً على «سعاد» ، ويصوغ من دموعه الحرّى قصائد فى رثاء الطفلة سعاد ، ضمها كتاب لطيف الحجم بعنوان « سعاد » ، فكان – فيما نعلم – أول ديوان من شعر العرب يرصد كله لرثاء طفلة راحلة . . .

ولم يندمل جرح الوالد الشاعر زكى قنصل على ابنته سعاد حتى بعد أن أخرج ديوانه الحزين ، فما زال ينزف دماً ، وينفث ناراً ، ولكن الأيام الجوارح كفيلة بتضميد الجراح ، وإسكات النواح . . . وما كاد الشاعر زكى يستقبل « سعاد » فى يوم مولدها بقوله :

ضحكت لىَ الدنيا فوا فرحى بمقدمك السعيد
اليـــوم أبعث من ضريـ حى ، اليوم أولد من جديد

حتى ودعها – ولم يجف مداد قصيدة الميلاد – بقوله :

أنا من أسای ومن جرا حى فى ظـــلام سرمد
قد كان يضحك لى غدى واليوم أهرب من غدى . !
ماتت أناشـــيدى الحسـ ان ، وبحَّ صوت المنشد . !

ولكن أناشيد الشاعر المجيد لا تموت ، لأن دفعة الحياة قوية فى نفسه ، فلن تؤثر فيها زعازع الأيام إلا لبعض الحين ، وبعدها – ولن يطول بنا الأمد – سنسمع أنغام هذا الشاعر الرقيق تحدو حداء الأمل فى ركب الحياة الذى يهون على الباسمين المتفائلين .

لقد كفتنا « العبرات الملتهبة » من شعر إلياس قنصل ، وكفتنا دموع الرثاء فى ديوان « سعاد » لزكى قنصل ... وما زلنا نتطلع عند هذين البلبلين الغردين إلى أنغام الحيوية الدافقة ، وأناشيد الفرحة بالحياة . . . واستقبالها – على علاتها – بوجه ضاحك طروب . .

ولد إلياس سنة ١٩١٢ ، وتعلم فى مدرسة « يبرود » الأسقفية ، وهاجر إلى إلى البرازيل سنة ١٩٢٤ . وفى سنة ١٩٣٠ انتقل منها إلى الأرجنتين ومعه أخوه زكى الذى ولد فى بلدة يبرود بالشام سنة ١٩١٧ . ولم تسلم حياة الشقيقين فى المهجر من الصراع فى سبيل الرزق ؛ فقد كتب إلىّ الشاعر زكى قنصل بأنه هو وأخوه احترفا التجارة بائعين جوالين فى الأرجنتين . . . ثم اشتركا بعد ذلك فى إنشاء مجلة أدبية اسمها « المناهل » لم تعش غير ثلاث سنوات ، ثم عاد إلياس إلى الصفق فى الأسواق سنة ١٩٣٨ . وفى سنة ١٩٥٤ دعته سورية فعاد إليها بعد غربة ثلاثين عاما !

أما زكى قنصل فلايزال فى الأرجنتين إلى اليوم ، لم تشغله التجارة عن نثار الأفكار ، ونظم الأشعار . . .

باقة من أشعار إلياس قنصل

الكآبة المفاجئة

جلست قُربى على تلك الصخورْ غـادة ذات دلال ونفـور
أسرت قلبي . . وياويل الأسير كم يعانى من عذاب وشقاء . !

* * *

هب من ناحية الشرق النسـيم ناشراً همس العذارى فى النعيم
حاملا معْـه لأرباب الشـعور كل معنى فات غير الشـعراء

* * *

حسـد البحر مقامى فاضطرب وغـدا الموج بسخط وغضب
يلطم الصخر فيرغى ويثـور ثم يقضى من كلال وعيـاء

* * *

جنحت أم الثرى نحـو الغروب يُلمح اليأس عليهـا والشحوب
فشدت إذ ذاك أسراب الطيور لوداع الشمس ألحـان المساء

* * *

كاد رسم النور يمحـوه الظلام فنأى عن وجه « مارى » الابتسام
وتوارى فجأة ذاك السرور وسمت أنظارها نحو العـلاء ..

* * *

فتساءلت ونفسى فى ذهـول أعَـلاَ الحزن محياها الجميـل
لمغيب الشمس فى لُجِّ البحور أم لداعى حزنها غابت «ذكاء» ؟ ؟

القلب المتمرد

ظلموا الحب ولا أدرى لماذا ظلموه قال قوم إنه حل ، وقوم حرموه
إن يكن حلا فكُفوا عن ملامى ودعونى أحتسى كأس الشـقاء

أو يكن إثمـا فآثام الغـرامِ يصفح الرحمن عنها فى السماء . . !
ما الهوى إلا جنون ليس يبريه دواء
إنمـا لو جاء آسٍ لست أرضى بالشفاء

الحب العميق

رياح البعاد تهـز فؤادك هـزاً عنيفاً ، ودمعك يهمى
وقد رسم الشوق رسماً جلياً على وجهك العابس المدلهمِّ
فأنت ضحية دهـر خئون وأنت فريسة حـزن وغمِّ
وفى زفراتك لفحـة حب عميق ، بمن يا غريب تفكر ؟
بأمى . . . . !

هل تذكرين ؟

أتطالعين قصـائدى أم تعرضين عنهـا ؟ وقد طوقتهـا بتوجعى
وسكبت بين سطورها قلبى الكئيبْ ومزجتهـا بتنهـدى وتفجعى
وأزحت فيها الستر عن حزنى الغريب أتطالعين قصائدى ؟ أتطالعين ؟

* * *

لو تعلمين تعاسـتى لو تعلمين مما أكابد من حنين والتياع
لعراك ـ رغم صدودك ـ الأسف الشديد وذكرتِ ماضى عهدنا قبل الوداع
وعرفتِ أنى ما أزال على العهود لو تعلمين تعاسـتى لو تعلمين . !

* * *

أنسيتِ كم أسمعتنى ذاك اليمين والليل داجٍ والخـلائق نائمات
والكون هاد ، والكواكب فى وجوم : « قسما بربى لن أخون مدى الحياة
عهدَ الهوى ، وليشهد الليل البهيم » أنسيتِ كم أقسمت ، أم هل تذكرين؟

* * *

أنسيتِ كم قبلتُ ثغـرك والجبين وضممتُ جسمك فارتعشتِ من السرور
ووددت لو نقضى ! فينسينا الممات أن الثرى يحوى المصائب والشرور
ويضم أنواع الأسى والكارثات أنسيت ذاك الليل ، أم هل تذكرين؟!

الأمل الوحيد

دسّ القضا فى فؤادى سمّ حادثه ... وهدمت صرحَ آمالى يد الزمن
فما رأيت سوى الأشواك فى طرقى ... ولا عرفتُ سوى الأرزاء والمحن
ولا هممت بشرب الراح فى عمرى ... إلا تبدّت عليها رغوة الشجن
واستصغر الدهر ما ألقى... فلوّعنى ... بحرقة البعد عن أمى وعن وطنى . !

* * *

أماه ! لا شىء فى الغبراء يبهجنى ... فلا ألام إذا مابتُّ أسوانا
أماه ! مر شبابى بالعذاب فهل ... بعد الشباب يعود العمر ريانا ؟
أماه ! لولا افتكارى فى دموعك لم ... أصبر على غصص الدنيا إلى الآنا . !

فى موطن ثان

أبعد ربوع رصّع المجد أرضها ... نرى لذة للعيش فى موطن ثان ؟
وهل بعد سوريّا تروق لشاعر ... بلاد . . وإن كانت كجنة رضوان ؟
وأحلامه مرت هناك فخلفت ... له فى حنايا القلب نبضة حنّان
تعود به الذكرى فتلفيه باكياً ... وفى صدره تغلى مراجل أحزان
يعوذ متى جن الظلام بشعره ... يُسر إليه همه دون كتمان
فللشعر نجواه إذا الحزن حفه ... وفى الشعر من أحزانه بعض سلوان
يذوب لدى ذكر المواطن قلبه ... وتعروه كالمذهول نوبة إرعان
بلاد حباها الله لطفاً ورونقاً ... فجرّت ذيول الفخر فى كل ميدان
سل الدهر عنها . . فهو ينبيك أنها ... سمت بمعاليها إلى متن كيوان . !
فما طأطأت للفاتحين جبينها ... ولا خفضت هام الخنوع لإنسان
ولا عرفت غير الأباء سجية ... ولا سكنت يوماً لظلم وعدوان . !

البدر

أخطأ الناس إذ رأوك شبيها ... بمحيّا الهيفاء ذات الدلال
أيها البدر قد تكون جميلا ... إنما ليس فيك سر الجمال !

باقة من شعر زكى قنصل

بشرى سعاد

استقبل الشاعر ميلاد طفلته «سعاد» بهذه الأبيات :

ضحك الصباح فقلت لو ... لاها لما ضحك الصباح
أهلا عروسَ الفجر أه ... لا بالصباحة والصلاح !
هاض الأسى جنحى فلم ... ا جئتِ طرتُ بلا جناح
وتكاثرت فىّ الجـرا ... ح فكنتِ برءاً للجراح !

* * *

أسعاد هل أحلى من اسـ ... ـمك بين أسماء البشر ؟
لـكأنه أهـزوجة ... نَشْوَى على شفة الوتر !
لكأنه نجـوى النسـ ... ـيم يهز أعطاف الشجر
لكأنه قُبَـل النـدى ... تنساب ما بين الزهر . !

* * *

ماذا بكاؤك يا سـعا ... د وعين أمك ساهرة ؟
غيرَى تنهنه عن سـر ... يرك كل عين شازرة
سلمت يداك ! لقد أقلـ ... ـتِ لها الأمانى العاثرة
وبعثتِ من آمالهـا ... ما ليس تدرك آخره . !

* * *

هـذا ملاكك فارتعى ... فى ظله الضافى الظليلْ
واستمتعى منـه بأز ... كى من شذا الخُلْد البليل
ما أهون الأخطار يد ... فع شرها هذا الدليل !
ما أقربَ القصد البعيـ ... ـد وأيسرَ العبء الجليل . !

* * *

يا قــرة العينين غنـ ـى واضحكى وتهللى !
وتدللى ما شـئت يا أولى فــراخ البلبل !
إنى اتخــذتك كعبتى وجعلتُ مهدك هيكلى
« ما الحُب لو تدرين إلا للحبيب الأول . . ! »

* * *

هلا شدوتِ مع البلا بل فى الصباح وفى المسا ؟
وتركت للغــربان أل حان التشاؤم والأسى ؟
فَرشت يد الرحمن در بك يا رجائى نرجسا !
وكساكِ من حلل السعا دة كل يوم برنسا !

* * *

نامى على أهــداب عي نى إن نبا بك مرقد !
أفديك من نوب الزما ن بكل ما ملكت يد
لولاك لم تحْل الحيــا ة ولم يطب لى مورد
نضّرتِ آمــالى فبـ ـشرّ على طريقى الفدفد

* * *

إنى لأقــرأ فى جبيـ ـنك سِفر ماضىّ البعيد
وأرى على عينيك با رقتين من حلمى الشريد
ضحكت لى الدنيا فوا فرحى بمقدمك السعيد !
اليوم أبعث من ضر يحى اليوم أولد من جديد !

على ضريح سعاد

وعلى ضريح الطفلة سعاد وقف الشاعر المفجوع يعصر قلبه أسى بهذه الأبيات :

رفّت رفيف الأقحوا نة وانطفت فى عمرها
ماذا جنت حتى تصيـ ـبها الردى فى فجرها ؟
يا رب ! لا تحبس فؤا دى لحظة عن ذكرهـا

أنا قد عبدتكَ بسمةً وضّاءة فى ثغـرها !
وشممتُ أنفاس الجنا ن شذية فى شعرها !

* * *

يا من يرد إلى شـفا هى بسمة الأمل الندىِ
ويعيد لى ما أفنت الأيا م من قلبى الصدى
أنا من أسای ومن جرا حى فى ظلامٍ سرمد
قد كان يضحك لى غدى واليوم أهرب من غدى
ماتت أناشيدى الحسا ن وبحَّ صوتُ المنشد !

* * *

أسـعاد جئتكِ لا بشا شة فى العيون ولا بريقْ
النـار ملء جوانحى والشوك فى عرض الطريق
دَجت الحيـاة وشاه فى عينى محيـّاها الأنيق
لا الروض زاه بعـد زغ لولى ولا عُودى وريق
ويحى ! أأغرق فى الدمو ع وليس لى أمل الغريق ؟

* * *

أين ابتسامتك النـديـ ة تمـلأ العش ابتساماً ؟
وتشيع فى ما حولهـا أرَجا كأنفاس الخـزامى ؟
أين احتجاجك يستثيـ رالضِّحك فى «بابا» و«ماما» ؟
ينسـاب دمـدمةً وينـ زل فى فؤادينا سلاما
لم تلفظى حـرفاً ولـ كن كنتِ أفصحنا كلاما !

* * *

هـذا سريرك يا سعا د فأين صاحبة السرير ؟
عينى عليـه ومهجتى ترتاد حاشـية الأثير
جـردِته ، لمـا ذهبـ ت ، من النضارة والعبير !

يا جـــدولا لا ماءَ فيـ ـه ، ولا رواءَ ، ولا خرير
هل كنتَ تحلم أن تصيـ ـر إلى الهوان ، وأن نصير؟

* * *

أسعاد ! قد ضج الصبا ـ ح على الروابى والوهادِ
قُـــومى نغنِّ مع الطيو ـ ر وَنعْـــدُ من واد لواد
كذب النعىُّ وضاع دم ـ ع النائحين على سعاد
ما غبتِ عن عينى فكيـ ـف أغوص فى ثوب الحداد ؟
إنى تحـــديت الردى وحملت شخصك فى فؤادى !

نعمة قازان

حين يختلف الرأى بين اثنين فأن قضية الود بينهما لا تفسد . . . وذلك شأن ما بين الشاعر نعمة قازان وبين جماعة المحافظين من « العصبة الأندلسية » بالبرازيل ! فالشاعر صاحب « معلقة الأرز » مسرف فى الثورة على القديم إلى أبعد حدود الإسراف ، وهو مندفع فى تيار التجديد والتحرر إلى أقصى حدود الاندفاع . . . حتى لقد اضطر زميله فى العصبة ، الكاتب الناقد البليغ توفيق ضعون أن يعلن : (أنه ليس من رأيه فى الاستهتار باللفظ والحدود والقيود اللغوية والعروضية على اختلافها) .

وعلى الرغم مما بين الشاعر نعمة قازان والناقد توفيق ضعون من بعد المذهب وانفساح هوة الرأى ، فأن الشاعر لم يقع على من يكتب له مقدمة « معلقة الأرز » غير زميله الناقد توفيق ضعون . . ! وقد يكون فى ذلك لون من التوريط ! ، حين يكون الناقد مضطراً أن يقول كل شىء ، فلا يفضى إلا ببعض الشىء ، إبقاء على ود ، أو اعتباراً لمجاملة . . . ولكن الأستاذ ضعون لم يجامل صديقه على حساب الحق الذى يراه ، والرأى الذى يعتقده ، فكتب فى الجديد والقديم ، وحمل على التجديد الذى لا يعدو أن يكون هدماً للقديم أو تشويهاً له .

وقصة ظهور « معلقة الأرز » فى البرازيل سنة ١٩٣٨ هى قصة الصراع بين القديم والجديد ، والنزاع بين المحافظة والتمرد ، والكفاح بين التصون والاستهتار . ولقد وقف للشاعر نعمة قازان جماعة من الناقدين المحافظين فى المهجر الجنوبى ، ورموه بالشذوذ والخروج عن المألوف فى الأدب واللغة ، فلم يبال بهم ، واتهموه بركاكة اللفظ وإسفاف المبانى وتهافت الثوب الذى يصوغ فيه شعره ، فمضى على طريقه ، وأخرج هذه المعلقة الشعرية المتحررة ليرد بها على الحامدين فى نظره !

ورأى الشاعر قازان فى جبران خليل جبران إمام التجديد والمجددين ، ورأى فى طريقته المبتدعة إشراقة الفجر فى العهد الجديد ، فراح ينظم له فى المعلقة

نشيداً بلغ القمة فى الدفاع عن الاستهتار اللغوى والنحوى إلى حد قوله :

فقلتم : يقول النحاة . فقلتُ لقد كان ذلك فى البصرةِ !
أقاسَ النحـــاة حدود الزمان ومرمى خيـــالى وعقليتى ؟
لقـــد حددوها لأفـــكارهم فضاقت وزمّت على فكرتى
فقلتم : يقول الكسائى . فقلت وجبران قال على صحة . . . !

ومن هنا لا يدهش القارىء إذا وجد فى شعر قازان خروجاً على اللغة ، أو شذوذاً على النحو والصرف ، أو تمرداً على العروض . . . لأن كل همه المعنى فى أى ثوب كان . .

ولو أن نعمة قازان راعى جانبى اللفظ والمعنى معاً ، وأعطى من نفسه لأسلوبه ولغته قدر ما يعطى من أفكاره وآرائه ، لجنبنا ذلك الصراع القديم الجديد الذى تدور رحاه بين أنصار المعانى وأنصار الأساليب .

على أن من النصفة للحق أن نقول إن إسفاف المبانى وركاكتها لا يغتفر إلا إذا بلغ المعنى من السمو حداً يشفع للابتذال . وقد يكون ذلك سائغاً بعض المساغ فى النثر كما صنع جبران ، أما فى الشعر حيث تكون فنية الأسلوب عنصراً فعالا من عناصر الإبداع الشعرى ، وحيث تكون موسيقى اللفظ والوزن عاملا من عوامل التحليق والابتداع فأن التجديد فى إطار الاستهتار ، هو ضرب من الهبوط بجمال الشعر إلى أدنى قرار .

وهل يذكر الذين ينادون بالاستهتار فى الأسلوب والصياغة البيانية أن المعانى — كما قال جمهرة النقاد من قديم الزمان — لقىً فى الطريق ، وأن العبرة فى التعبير عن هذه المعانى باللفظ الجليل ، والأسلوب الجميل ؟

إننا حين ندعو إلى البيان فى الشعر لا ندعو إلى قعقعة الألفاظ ، وصليل العبارات ، وهلهلة النسج الذى لا يحمل فى طياته كبير طائل من المعانى والأفكار ، ولكننا ندعو إلى اعتدال الميزان ، بين البيان والتبيان .

على أن تطرف الشاعر نعمة قازان فى الدعوة إلى الجديد المتهافت الشائه الوجه لا يحجب عيوننا ولا قلوبنا عن الشاعرية الكامنة فيه . !

من «معلقة الأرز»

تطاول قوم على شهرتى ... فقلت : خذوها بلا منة
إذا كان ذلك ما تنشدون ... من الشعر والفن واخيبتى !
وإن كان ذلك ما تنشقون ... فوا ضيعة العطر فى الزهرة !
وإن كان ذلك ما تبصرون ... فوا ضيعة النور فى الظلمة !
وإن كان ذلك ما تسمعون ... فوا ضيعة الصوت فى أمتى . !

* * *

وقفتم ببابى ولم تدخلوا ... فماذا تريدون يا إخوتى !
تغنيت بالأرز . ما حيلتى ... إذا الأرز طابت به نغمتى ؟
إذا نبت الأرز فى مهجة ... فماذا على طيِّب المنبت ؟
بلادى . أأستطيع نكرانها ... إذن فاقلعوا الحب من بزرتى
ولبنان أمى به حفنة ... سقتك السموات ياحفنتى !
وأهلى . وماذا أقول بأهلى ... وماذا أقول بمحبوبتى ؟
أقول : بقاع الدنى حلوة ... وأحلى بقاع الدنى بقعتى !

* * *

هجرتُ وللنفس أطماعها ... وإنى مع الحظ فى هجرتى
فلا المال أشبع من جوعتى ... ولا المجد أطفأ من غلتى
غريب أرانى على ضفة ... كأنى غيرى على ضفة !
فحتى السواقى إذا نغّمت ... كأن السواقى بلا نغمة
وهذى النجوم وقد شعشعت ... تلوح لعينى بلا لمعة
وهذى الأزاهر تكسو الرياض ... أزاهر لكن بلا نفحة . !
هى النفس تحيا بأحساسها ... وليس على الحس من قدرة
لقد عاشت العمرَ فى لذة ... وسوف تموت على اللذة
فلا ! لا أحب سوى قريتى ... ولا ! لا أريد سوى أمتى . !

* * *

رُبِيت طليقاً على فطرتى ... ويا ما أحيـــلى طفوليتى !
فيا ما شربتُ من النيرات ... ويا ما أكلت من « القتلة »
ويا ما تربصت فى الخيمة ... ويا ما ركضت مع الغيمة !
ويا ما سبقتُ جواد الرياح ... على غصُن أملد مهرتى !
ويا ما سرحت ، ويا ما مرحت ... ويا ما جنحت إلى الربوة !
ويا ما بكرت إلى الكرمـــة ... ويا ما سكرت من الحبة !
ويا ما كسيت بلا كسوة ... ويا ما شبعت من الكسرة !
وكنت سعيداً وأى سعيد ... أبيع السعادة « بالكلة »
وكنت مع الله فى قريتى ... فصرت بِلا الله فى غربتى
وكنتُ غنياً مع القـــلة ... فصرت فقيراً مع الكثرة
فثرُت وثارت أنانيتى ... فضعت و ضاعت ألوهيتى !
ولولا الحبيب و عودى الرطيب ... رمانى اللهيب إلى الشهوة . !
ولولا الرجاء بِعـــود الرجاء ... قذفت بنفسى إلى الهوة . !

أنشودة الغريب(*)

الأرزُ والـوادى يا رمز أمجـادى
يا كنزَ أحفـادى يا ثرى لبنـان !

* * *

يا مسبح الأحلامْ يا مهبط الإلهام
يا منهل الأقلام يا سمـا لبنان !

* * *

يا ناثر الأتراح يا شاعر الأفراح
يا ناشر الأرواح يا هـوا لبنان

* * *

يا ماخر الأبحار يا فاتح الأمصار !
يا باعث الأنوار يا ذكا لبنـان

* * *

مذبوحة العينين مكسورة الجفنين
مكمومة الخـدين يا مهـا لبنان

* * *

أغرودة الشحرور زقزقة العصفور
موسيقة الطيـور يا غنا لبنـان

* * *

روِّيت من دمِّى غُذِّيت من لحمى
يا حاضنا أمى يا ثرى لبنـان

* * *

هل يرجع الغريب للوطن الحبيب ؟
وتهتف القلوب مرحبـا لبنان ؟

* * *

الأرز والـوادى يا مهد أجدادى
يا أرض ميعادى يا ثرى لبنـان

(*) اكتفينا هنا بنشر هذه المقطوعات من « أنشودة الغريب » لضيق المقام .

المصادر والمراجع

جبران خليل جبران : لميخائيل نعيمة . بيروت ١٩٣٤

الناطقون بالضاد فى أمريكا : نشر معهد الشئون العربية الأمريكية بنيويورك ١٩٤٦

شاعر الطيارة — فوزى المعلوف : للبدوى الملثم . القاهرة ١٩٤٨

الاتجاهات الأدبية فى العالم العربى الحديث : لأنيس المقدسى . بيروت ١٩٥٢

بلاغة العرب فى القرن العشرين : لمحيى الدين رضا . القاهرة ١٩٢٤

مهمة فى قارة : لأكرم زعيتر ١٩٥٠

الرمزية والأدب العربى الحديث : لأنطون غطاس كرم . بيروت سنة ١٩٤٩

تاريخ الصحافة العربية : لفيليب طرازى . بيروت ١٩٣٣

دار الطراز فى عمل الموشحات : لابن سناء الملك . دمشق ١٩٤٩

رائد الشعر الحديث : لمحمد عبد المنعم خفاجى . القاهرة ١٩٥٣

دراسات فى الشعر العربى المعاصر : لشوقى ضيف . القاهرة ١٩٥٤

على المحك : لمارون عبود . بيروت ١٩٤٦

مجددون ومجترون : لمارون عبود . بيروت ١٩٤٨

مناهل الأدب العربى (ج ٢) ميخائيل نعيمة . بيروت

« « « (ج ٣) نسيب عريضة . بيروت

ديوان شعر النحلة : للدكتور لويس صابونجى ١٩٠١

« الحداول : لإيليا أبى ماضى . نيويورك ١٩٢٧

« الخمائل : لإيليا أبى ماضى . بيروت

« الأيوبيات : لرشيد أيوب . نيويورك ١٩١٦

« أغانى الدرويش : لرشيد أيوب . نيويورك ١٩٢٨

« همس الجفون : لميخائيل نعيمة . بيروت

« مسعود سماحة . نيويورك ١٩٣٨

« محبوب الخورى الشرتونى . نيويورك ١٩٣٧

ديوان الروافد : لشكر الله الجر . ريودى جانيرو ١٩٣٤
« فرحات : لإلياس فرحات . سان باولو ١٩٣٢
« همس الشاعر : للدكتور جورج صوايا . بونس إيريس سنة ١٩٢٩
« على مذبح الوطنية : لإلياس قنصل . بونس إيريس ١٩٣١
« العبرات الملتهبة : لإلياس قنصل . بونس إيريس ١٩٣١
« الأوتار المتقطعة : لرياض المعلوف . القاهرة
« خيالات : لرياض المعلوف . البرازيل ١٩٤٥
« من السماء : للدكتور أحمد زكى أبى شادى . نيويورك ١٩٤٩
« القرويات : لرشيد سليم الخورى . سان باولو ١٩٢٢
« القروى : لرشيد سليم الخورى . سان باولو ١٩٥٢
« الأعاصير : لرشيد سليم الخورى . سان باولو ١٩٣٣
المواكب : لجبران خليل جبران . القاهرة ١٩٢٣
عبقر : لشفيق معلوف . سان باولو ١٩٤٩
معلقة الأرز : لنعمة قازان . سان باولو ١٩٣٨
سعاد : لزكى قنصل . الأرجنتين ١٩٥٣
مجلة « المقتطف » : المجلدات ٧٥ ، ٨٧ ، ٩١
إيليا أبو ماضى: لزهير مرزا . دار اليقظة العربية . دمشق
حديث الأربعاء : لطه حسين . دار المعارف. مصر ١٩٤٦
معرض الأدب والتاريخ الإسلامى: لمحمد عبد الغنى حسن . مكتبة الآداب سنة ١٩٤٧ القاهرة .

المحتـوى

صفحة

تقديم للتصدير بقلم الأستاذ حسن جلال العروسى ٥

تصدير للشاعر الكبير الأستاذ عزيز أباظة ٧

الفصل الأول

دراسات فى شعر المهجر

هجرة العرب إلى العالم الجديد ٢٢

أسـباب الهجرة ٢٤

بين القديم والجديد ٢٦

التأثر بمعانى الحرية فى أمريكا ٣١

حنين إلى الأوطان ٣٤

الشـعر الوطنى ٣٧

الافتخار بالشرق والعرب ٣٨

الدين للديان ٤٠

بين مادية الغرب وروحانية الشرق ٤٤

الرابطة القلمية وشعر المهجر ٤٨

العصبة الأندلسية ٥٠

الصحافة وشعر المهجر ٥٠

فى محراب الطبيعة ٥٢

قرابة الفكر عند شعراء المهجر ٥٧

تأملات وسبحات ٦٢

بين الضحك والبـكاء ٦٨

صفحة

السعادة فى الحياة ٧٢
بين الحب والحرب ٧٤
القصة فى شعر المهجر ٧٦
أغراض من الشعر ٨٠
أوزان وأساليب ٨٦
الرمز والرمزية فى شعر المهجر ٩٢

93-94

الفصل الثانى

شعراء المهجر الشمالى

أيليا أبو ماضى : ترجمته ٩٧
باقة من أشعاره ٩٩
ابتسم ٩٩
تأملات ١٠٠
ابسمى ١٠٢
الكريم ١٠٢
الغابة المفقودة ١٠٢
الطين ١٠٤
المساء ١٠٦
ابن الليل ١٠٩
هى ١١٠
فى القفر ١١٢
الدمعة الخرساء ١١٣
ليل الأشواق ١١٥
الفراشة المحتضرة ١١٧
كن بلسما ١١٩
الشاعر فى السماء ١١٩

صفحة

الغبطة فكرة ١٢١
كم تشتكى ١٢٢
الطلاسم ١٢٣
ميخائيل نعيمة : ترجمته ١٢٩
باقة من أشعاره : النهر المتجمد ١٣١
أخى ١٣٣
لو تدرك الأشواك ١٣٤
ابتهالات ١٣٦
الطريق ١٣٧
بين الحماجم ١٣٨
من أنت يا نفسى ١٣٩
الخير والشر ١٤١
قبور تدور ١٤١
الطمأنينة ١٤٢
يا بحـــر ١٤٣
أغمض جفونك تبصر ١٤٤
من ســـفر الزمان ١٤٤
إلى دودة ١٤٥
نسيب عريضة : ترجمته ١٤٧
باقة من أشعاره ــ النهاية ١٤٩
منـــاجاة ١٥٠
يا أخى ــ أيا نجمة ١٥٢
رباعيـــات ١٥٢
على طريق إرم ١٥٤
ســـفر الدهور ١٥٦
أم الحجار السود ١٥٩

صفحة

رشيد أيوب : ترجمته ١٦١
باقة من أشعاره – لعل غـدى ١٦٣
الجندى والغدير ١٦٣
وولى ما عرفناه ١٦٣
فراشـتى ١٦٤
غروب شمس الحيـاة ١٦٥
هل تذهبين ١٦٦
النسـر ١٦٦
النفس الهـاربة ١٦٧
خليـانى ١٦٨
قصـرى ١٦٩
هى الدنيا – نفس مكروب ١٧٠

جبران خليل جبران : ترجمته ١٧١
باقة من أشعاره – ماذا تقول الساقية – بالأمس ١٧٣
البـلاد المحجوبة ١٧٥
من قصيدة « المواكب » ١٧٦

مسعود سماحة : ترجمته ١٧٩
باقة من أشعاره – الله ١٨١
لست منى ولست منك ١٨٢
أجلت بميدان الحياة ظنونى ١٨٣
الفقير ١٨٤
الربيـع ١٨٥
لو ملكت الدنى ١٨٦

محبوب الخورى الشرتونى : ترجمته ١٨٧
باقة من أشعاره – حلم جميل من ذهب ١٨٩
جمال الربيع ١٩٠

صفحة

الحمامة الضائعة ١٩١
ليس للقلب فى الهـوى لغتان ١٩٢
الغنى والفقر ١٩٢
قالوا تحب العرب ١٩٢
وأى ضعيف لا ينوء بأحمـال ١٩٣
أحمد زكى أبو شادى : ترجمته ١٩٤
باقة من أشـعاره — نيويورك ١٩٧
ربيع الحر ١٩٨
الاحتمال ١٩٩
من وحى الخريف ٢٠٠
الألوهة والكون ٢٠٠
الصـعود ٢٠١
فى أتلانتيك سيتى ٢٠٢

الفصل الثالث

شعراء المهجر الجنوبى

ألياس فرحات : ترجمته ٢٠٥
باقة من أشعاره — السكرة الخالدة ٢٠٩
عجـل الذهب ٢١٠
الراهبـة ٢١١
لولا ضميرى ٢١٣
يا عيـد ٢١٣
بين البدر والبحر ٢١٤
خصلة الشـعر ٢١٥
النحـلة ٢١٧
خيال الوطن ٢١٨

صفحة

موطنى ٢١٩
منابع الشعر ٢٢٠
يا نجمة الليل ٢٢١
تعال ٢٢٢
حياة مشقات ٢٢٢
الشاعر القروى : ترجمته ٢٢٥
باقة من أشعاره — الولادة الحديدة... ... ... ٢٢٨
اجعل الأرض ٢٢٨
الفتنة الكبرى... ... ... ٢٢٩
بين الحقول ٢٣٠
عناق الوجود ٢٣٠
يارب... ... ... ٢٣١
الشتاء ٢٣١
المتكبرون ٢٣٢
الفرح ٢٣٢
منشودتى ٢٣٣
أنشودة الغريب ٢٣٤
لا تنسنى ٢٣٥
الغريب والشمس — إطالة الحياة ٢٣٦
أبناء المعلوف : فوزى وشفيق ورياض ٢٣٧
على بساط الريح — لفوزى المعلوف ٢٤١
لا المجد يرضينى — لغز الوجود ٢٤٩
من عبقر — لشفيق المعلوف ٢٥١
باقة من شعر رياض المعلوف — هل يا ترى نعود... ... ... ٢٥٣
الله والشاعر ٢٥٤
غن يا عصفور ٢٥٥
تاج الحسن — إلى موسيقى ٢٥٥

صفحة

الهزار المنتحر ٢٥٦
وحـــد الله ٢٥٦
شلالات نياجرا ٢٥٧
شكر الله الجر : ترجمته ٢٥٨
باقة من أشعاره ــ الحديقة ٢٦١
شلالات تيجوكا ٢٦٢
على متون الأمواج ٢٦٤
الأحاجى ــ قشور ولباب ٢٦٥
جورج صوايا : : ترجمته ٢٦٦
باقة من أشعاره ــ حديث ساهد ٢٦٨
نجـــوى الكتاب ٢٦٨
جسوا الســـطور ٢٦٩
يا طفـــل ٢٠٩
لا تله ــ تأملات أمام الموت ــ أين المصير ٢٧٠
ألياس قنصل : وشقيقه زكى قنصل ٢٧٢
ترجمة حياتهما ٢٧٢
باقة من أشعار إلياس ــ الكآبة المفاجئة ٢٧٥
القلب المتمرد ــ الحب العميق ــ هل تذكرين ٢٧٦
الأمل الوحيد ــ فى موطن ثان ــ البدر ٢٧٧
باقة من شعر زكى قنصل ــ بشرى ســـعاد ٢٧٨
على ضريح سعاد ٢٧٩
نعمة قازان : ترجمته... ... ... ٢٨٢
من معلقة الأرز ٢٨٤
أنشودة الغريب ٢٨٦
المصادر والمراجع ٢٨٧
المحتـــوى ٢٨٩

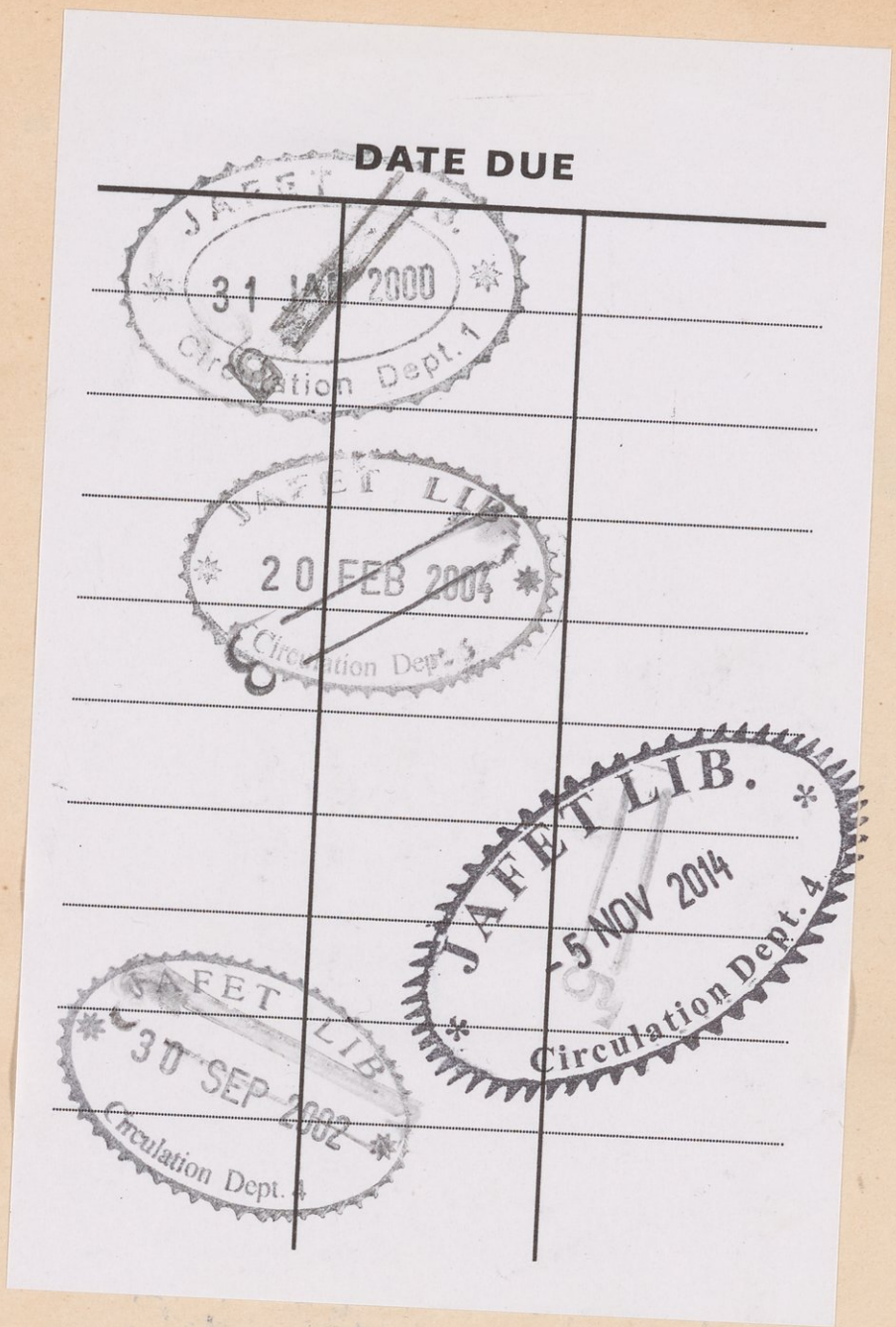
DATE DUE
31 JAN 2000
Circulation Dept. 1
20 FEB 2004
Circulation Dept. 4
JAFET LIB.
5 NOV 2014
Circulation Dept. 4
30 SEP 2002
Circulation Dept. 4

حسن ،محمد عبد الغنى
الشعر العربى فى المهجر
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
01033840